جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة

كلية: العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم: علم النفس

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: D.PS/3C/06/14

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث

في: علم النفس.

تخصص: علم النفس العيادي.

العنـــــــــوان

نوعية التقمصات لدى المراهق المدمن

"الإدمان على المخدرات نموذجًا"

دراسة عيادية لخمس حالات من خلال المقابلة ورائز تفهم الموضوع

من إعداد:

الطالب: محند سمير

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	المؤسسة	الصفة
برو محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة	رئيسا
اسماعيلي يامنة	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة	مشرفا ومقررا
شلبي محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة عبد الحميد مهري ـ قسنطينة 2	ممتحنًا
قنون خميسة	استاذ محاضر "أ"	جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة	ممتحنًا
بوضياف نوال	استاذ محاضر "أ"	جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة	ممتحنًا
مكيري كريم	استاذ محاضر "أ"	جامعة أكلي محند أولحاج ـ البويرة	ممتحنًا

السنة الجامعية: 2017/ 2018

جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة

كلية: العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم: علم النفس

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: D.PS/3C/06/14

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث

في: علم النفس.

تخصص: علم النفس العيادي.

العنـــــــــوان

نوعية التقمصات لدى المراهق المدمن

"الإدمان على المخدرات نموذجًا"

دراسة عيادية لخمس حالات من خلال المقابلة ورائز تفهم الموضوع

من إعداد:

الطالب: محند سمير

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	المؤسسة	الصفة
برو محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة	رئيسا
اسماعيلي يامنة	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة	مشرفا ومقررا
شلبي محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة عبد الحميد مهري ـ قسنطينة 2	ممتحنًا
قنون خميسة	استاذ محاضر "أ"	جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة	ممتحنًا
بوضياف نوال	استاذ محاضر "أ"	جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة	ممتحنًا
مكيري كريم	استاذ محاضر "أ"	جامعة أكلي محند أولحاج ـ البويرة	ممتحنًا

السنة الجامعية: 2017/ 2018

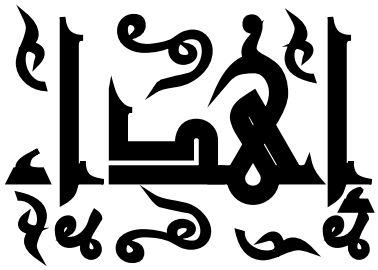

"إليك أنت أيها القارئ"

شكر

" رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين " النمل 19

الشكر الجزيل موصول للبروفيسور إسماعيلي يامنة؛ أولا لتفضلها بقبول الاشراف على هذا العمل، ثم الدعم والنصائح التي أمدتنا بهما، فكانت معينا لنا طول هذه المغامرة العلمية بموفور رصيدها العلمي، فلها منا كل الثناء.

الشكر موصول للبروفيسور حبيباش عبد الرحمن؛ طبيب الأمراض العقلية ورئيس مصلحة مكافحة الادمان بالمستشفى الجامعي فرانتز فانون بالبليدة، الذي ساعدنا نظريا وتطبيقا، ووفر لنا أفضل الظروف لإتمام هذه الاطروحة.

الشكر موصول لكل أساتذة لجنة التكوين في الدكتوراه و لجنة القراءة ولكل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث ولو بكلمة طيبة.

ملخص البحث:

التقمصات لدى المراهق المدمن على المخدرات:

يعد الادمان مشكلة نفسية وسلوكية خطيرة تؤثر على الفرد والمجتمع من حيث تماسك بنائه ونشاط أفراده، فهو سلوك مدفوع برغبة قهرية نحو التكرار وذلك ما يعطيه طابع الاعتماد، إذ أن الفرد لا يستطيع التخلي عن ادمانه بسهولة.

وتظهر اشكالية الادمان بصورة ملاحظة في مرحلة المراهقة، تلك المرحلة الهامة من النمو النفسي والجسدي، التي تتميز بتغيرات كثيرة وعمل نفسي دينامي صعب، يعيشه المراهق كوضعية اكتئابية للتخلي والحداد عن واقع الطفولة واستثمار مواضيع جديدة.

في هذا العمل اتجهنا نحو الربط بين نوعية التقمصات والتوجه نحو سلوك الادمان على المخدرات لدى المراهق، فكان هذا البحث من خلال المنهج العيادي وتقنية دراسة الحالة، أين طبقنا المقابلة العيادية نصف الموجهة ورائز تفهم الموضوع في دراسة عيادية على خمس حالات، وتوصلنا في النهاية إلى النتائج التالية:

- إشكالية الادمان لها علاقة باضطرابات على مستوى الطفولة مثل إساءة المعاملة، الاهمال وطرق التربية؛
- التوجه نحو الادمان له علاقة بالصراعات الأسرية، وطريقة التعامل مع المراهق عند اكتشاف تعاطيه للمخدرات؛
- تعتبر مرحلة المراهقة مرحلة نمو حساسة تظل عرضة لانفجار اضطرابات سلوك المرور إلى الفعل؛
- للمراهق المدمن على المخدرات صعوبات علائقية ونمط علاقات سندي وحياة نفسية تتجه نحو الاستثمار النرجسي؛
- للمراهق المدمن على المخدرات تقمصات نفسية تتسم بالهشاشة؛
- يستعمل المراهق المدمن على المخدرات دفاعات نفسية صلبة تميل نحو التجنب.

الكلمات المفتاحية: التقمصات ـ المراهقة ـ الإدمان على المخدرات.

Résumé :

L'identification chez l'adolescent toxicomane :

L'addiction est un problème psychologique et comportemental qui affecte sérieusement l'individu et la société en termes de cohérence de sa construction et l'activité de ses membres. L'adolescent est entraîné par un comportement compulsif répétitif ce qui lui donne un caractère dépendant

La problématique de la toxicomanie apparaît fréquemment à l'adolescence, c'est un stade important de développement psychologique et physique, qui se caractérise par de nombreux changements physiques avec un travail psychique et dynamique difficile, vécu par l'adolescent comme une situation dépressive parce qu'il y a un deuil de l'enfance et un investissement de nouveaux objets.

Dans cette recherche, nous avons établi un lien entre l'identification et le comportement de la toxicomanie chez l'adolescent. Cette recherche à été faite à travers la méthode clinique et la technique des études de cas, où nous avons appliqué l'entretient clinique semi directif, ainsi que le test de TAT avec cinq cas cliniques. Nous avons obtenu les résultats suivants:

- La problématique de la dépendance a une relation avec l'enfance, comme les abus et l'abandon parental sans oublier les méthodes éducatives;
- La problématique de la dépendance, a une relation avec les conflits familiaux et leur façon de traiter l'adolescent au début de son usage des drogues;
- l'adolescence est considérée comme une étape sensible ; l'adolescent reste vulnérable à l'explosion des troubles du passage à l'acte;
- l'adolescent toxicomane, a des difficultés relationnelles, et son mode des relations anaclitiques, avec une vie psychologique centrée sur l'investissement narcissique;
- l'adolescent toxicomane a des identifications psychologiques fragiles;
- l'adolescent toxicomane utilise des défenses psychologiques solides, avec des procèdes de l'évitement.

Mots clés: L'identification – l'adolescence – la toxicomane.

فهرس المحتويات	الصفحة
إهداء	
شكر	
ملخص البحث	
مقدمة البحث	1
الفصل التمهيدي	
1 ـ إشكالية البحث	5
2 ـ فرضيات البحث	9
3 ـ أسباب اختيار الموضوع	10
4 ـ اهداف البحث	10
5 ـ تحديد مفاهيم البحث	11
6 ـ دراسات سابقة	13
الجانب النظري:	
الفصل الأول: التقمصات	
تمهيد	21
1 ـ تطور مفهوم التقمص في كتابات فرويد	21
2 ـ تعريف التقمص	23
3 ـ مفهوم التقمص في الأعمال بعد الفرويدية	26
4 ـ تطور السياق التقمصي	34
5 ـ مراحل النمو النفسي الجنسي	36
5 ـ 1 ـ المراحل قبل التناسلية	36
5 ـ 2 ـ المراحل التناسلية	42
خلاصة	46
الفصل الثاني: المراهقة	
تمهيد	48
1 ـ نظرة تاريخية	48
2 ـ تعريف المراهقة	49
3 ـ المراهقة: أزمة أم سيرورة	51

4 ـ المراهقة والبلوغ	52
5 ـ ديناميات المراهقة	53
5 ـ 1 ـ المراهقة كإحياء للطفولة	53
5 ـ 2 ـ المراهقة كعمل حداد	54
5 ـ 3 ـ تغير صورة الجسد	55
6 ـ مراحل النمو العلائقي	57
7 ـ المراهقة: رحلة نحو تجارب جديدة	61
8 ـ التقمصات لدى المراهق في الكتابات التحليلية	64
8 ـ 1 ـ كاستمبرغ Kestemberg	64
8 ـ 2 ـ لوفر Laufer	65
8 ـ 3 ـ بيتر بلوس Peter Blos	66
8 ـ 4 ـ فيليب جامي Philipe Jeammet	66
8 ـ 5 ـ فيليب غوتون Philipe Gutton	67
8 ـ 6 ـ رايمون كان Raymond Cahn	68
خلاصة	69
الفصل الثالث: الإدمان	
تمهيد	71
1 ـ مفهوم الاعتماد	71
2 ـ المخدرات	73
3 ـ التناول السيكاتري لمفهوم الإدمان	75
4 ـ فرويد ومشكلة الإدمان	77
5 ـ الإدمان في الكتابات بعد الفرويدية	78
6 ـ التناول الميتاسيكولوجي الحديث	80
6 ـ 1 ـ وجهة النظر الطبوغرافية	80
6 ـ 2 ـ وجهة النظر الاقتصادية	81
6 ـ 3 ـ وجهة النظر الدينامية	82
7 ـ الشخصية الإدمانية	83
8 ـ الإدمان كسلوك مرور إلى الفعل	84

9 ـ المراهقة والإدمان	87
خلاصة	89
الجانب التطبيقي:	
الفصل الرابع: منهجية البحث	
تمهيد	92
1 ـ الدراسة الاستطلاعية	92
2 ـ مكان اجراء البحث	93
3 ـ وصف مجموعة البحث	93
4 ـ منهج البحث	94
5 ـ أدوات جمع البيانات	95
5 ـ 1 ـ المقابلة العيادية	95
5 ـ 2 ـ رائز تفهم الموضوع TAT	97
خلاصة	104
الفصل الخامس: عرض، تحليل ومناقشة النتائج.	
تمهيد	106
1 ـ عرض الحالة الأولى	107
2 ـ عرض الحالة الثانية	120
3 ـ عرض الحالة الثالثة	134
4 ـ عرض الحالة الرابعة	148
5 ـ عرض الحالة الخامسة	163
6 ـ خلاصة الحالات	177
7 ـ مناقشة النتائج في ضوء فرضيات البحث	180
خلاصة	191
خاتمة البحث	192
اقتراحات	196
قائمة المراجع	198
الملاحق	205

فهرس الجداول	الصفحة
جدول رقم: (1) خصائص مجموعة البحث	93
جدول رقم: (2) مجمل السياقات الدفاعية للحالة 1	116
جدول رقم: (3) مجمل السياقات الدفاعية للحالة 2	130
جدول رقم: (4) مجمل السياقات الدفاعية للحالة 3	144
جدول رقم: (5) مجمل السياقات الدفاعية للحالة 4	158
جدول رقم: (6) مجمل السياقات الدفاعية للحالة 5	172
جدول رقم: (7) السياقات الدفاعية للحالات الخمس	178

فهرس الأشكال	الصفحة
شكل رقم: (1) توزيع استعمال السياقات الدفاعية للحالة 1	116
شكل رقم: (2) توزيع استعمال السياقات الدفاعية للحالة 2	130
شكل رقم: (3) توزيع استعمال السياقات الدفاعية للحالة 3	144
شكل رقم: (4) توزيع استعمال السياقات الدفاعية للحالة 4	158
شكل رقم: (5) توزيع استعمال السياقات الدفاعية للحالة 5	172
شكل رقم: (6) توزيع نسب السياقات الدفاعية	178

مقدمة:

تعد مشكلة الإدمان أحد المشكلات النفسية والسلوكية التي ما فتئت تنتشر بشكل كبير في أوساط المجتمع، لتلقي بآثارها الخطيرة على بنائه وتماسك نسيجه، فأضحت تهدد الصحة العامة، وتشكل عبئا ثقيلا على الحياة النفسية للمدمن، ذلك أنها تخلق لنا كائنا منشغل فقط بسلوكه ويسعى إليه بكل الطرق، يقدم في سبيل الحصول على المادة المرغوبة كل ما يملك وما لا يملك، ومع مرور الزمن يصبح الاعتماد المشكلة الرئيسية، أين يجد الفرد نفسه في دوامة الحاجة الدائمة للمادة المخدرة ومضاعفة الجرعة لتمنحه نفس التأثير، وهذا ما يحيلنا الى الصبغة العلائقية بين المدمن والمادة، فالسلوك الادماني يمثل محاولة لطلب السند والمساعدة، ويتسم بكونه ذو طابع قهري يجعل من الفرد مدفوعا بالحاجة نحو تكرار السلوك من أجل الحصول على خبرات اللذة والراحة الذي يمثله اللقاء مع المادة الإدمانية، فاللجوء الى المادة لا يكون من أجل المادة في حد ذاتها، وإنما للخبرات السارة التي يعيشها من خلالها.

وتختلف السلوكات الإدمانية وتتنوع باختلاف الموضوع، وتشترك في كونها تأخذ بانشغال المدمن وتملأ حياته النفسية، فاذا كان موضوع بحثنا هذا يدور حول الإدمان على المخدرات الأكثر انتشارا، فان هناك إدمان دون مخدرات Addiction son drogue مثل السلوكات الغذائية، الشراء القهري، اللعب المرضي والإدمان على الأنترنيت.

يحتل مفهوم الاعتماد قيمة نظرية محورية في فهم اشكالية الإدمان، أين يمكننا من نسج علاقة بين الاعتماد على المادة والاعتماد على الموضوع من وجهة نظر علائقية، وهو يمثل اضطرابا معقدا ذا آلية بيولوجية تؤثر على الدماغ، وفي قدرته على التحكم في تعاطي تلك المواد، فالاعتماد غير محكوم بعوامل بيولوجية فحسب، بل بعوامل نفسية، اجتماعية، ثقافية وبيئية أيضا.

والملاحظ أن الفئة الأكثر توجها نحو تعاطي وادمان تلك المواد النفسية هي فئة المراهقين، تلك المرحلة التي تتميز بشيء من الهشاشة، نظرا للعمل النفسي الدينامي الصعب الذي ينجز خلالها، وما يصاحبه من تغيرات على مستويات مختلفة من حياته، تلك التغيرات تجعل الأسس التي بناها الفرد في مرحلة الطفولة محل اختبار، واكثر عرضة لانفجار اضطرابات المرور إلى الفعل مثل الإدمان على المخدرات، فالمراهقة تضع الفرد تحت ضغط التغيرات النفسية والفيزيولوجية الناتجة عن البلوغ، لذلك فهو مجبر على إعادة بناء ذاته، والبحث عن رموز جديدة للهوية والحداد على مرحلة الطفولة بكل ما ترمز اليه من اعتماد على الآخر، والبحث عن الاستقلالية المنشودة، وفي ظل هذا العمل تظهر تساؤلات مقلقة

حول هويتهم من خلال الصراعات التي يعيشونها حول ماهيتهم، وهي مرحلة لإعادة بناء وهيكلة التقمصات، وبناء تقمصات جديدة خارج إطار الأسرة، من خلال إعادة تنظيم بناء الأنا الذي يعيش تغيرات البلوغ، وادماج هذا النضج الفيزيولوجي ضمن نظامه العلائقي الليبيدي.

ان هذه المرحلة من اختلال التوازن وما يصاحبها من أعراض تتجمع تحت تعبير أزمة المراهقة، فتجعل المراهق عرضة لظهور اضطرابات على حياته النفسية، اذ ان مرور المراهق بدون مشاكل يمكن أن يترجم كسيرورة مرضية، فالمراهق في حاجة الى مرافقته خلال تلك الفترة العمرية، وتقديم مزيد من التقبل والصبر والوقت ليتمكن من عبور المرحلة بسلام والدخول في مرحلة رشد بشكل سوي وناضج.

كما تمثل خبرات الطفولة، المعاملة الوالدية، طريقة التربية، بنية الأسرة ونوعية العلاقات بين أفرادها، ضف إلى ذلك قدرة الطفل على ارصان عقدة الأوديبية وبناء تقمصات أكثر مرونة، عوامل لها قيمة في فهم إشكالية الإدمان، ومدى استعداد الفرد للتوجه نحو الاعتماد على مواد خارجية، مدفوعا بمدى هشاشة أو نضج شخصيته، اذ أن البناءات التي يحققها الفرد في مرحلة الطفولة هامة لتحديد مآله في مراحل لاحقة من عمره، لذا فقد كان تناولنا في هذا البحث من خلال التركيز على أهمية مرحلة المراهقة في التوجه نحو الإدمان، وكذلك من خلال التركيز على نوعية التقمصات التي تبني شخصية الفرد، ففي ظل هذه المتغيرات يمكن أن تتضح أكثر إشكالية الإدمان من حيث الأسباب والمآل.

ومن أجل تناول أكثر علمي لدراسة هذا الموضوع، فقد بدأناه بعرض إشكالية البحث والتساؤلات التي نهدف للإجابة إليها، ثم عرض للفرضيات التي بنيناها، ثم قسمنا بحثنا هذا إلى قسمين: جانب نظري وآخر تطبيقي عملي.

تناولنا في الجانب النظري عرضا لفصل التقمصات من حيث التعريف والتطور، لنركز على السياق التقمصي من خلال مراحل النمو النفسي الجنسي، ثم انتقلنا إلى فصل المراهقة من حيث المفهوم والتغيرات، وهل تعتبر تلك المرحلة كسيرورة أم أزمة؟ ثم ديناميات العمل النفسي الذي ينجز خلالها، وآراء تحليلية متفرقة حول المفهوم، لنختم بفصل الإدمان، أين انتقلنا من المفهوم مركزين على الاعتماد كحجر أساسي لفهم إشكالية الإدمان، ثم عرض للتناولات السيكاترية والسيكوديناميةمع عرض مشكلة الإدمان كسلوك مرور إلى الفعل وخصوصيتها لدى المراهق.

في الجانب التطبيقي، بدأنا بعرض مفصل للمنهجية المتبعة في البحث في فصل منفرد، أين أوردنا المنهج المتبع، أدواته وطرق تحليلها، وخصائص مجموعة البحث التي عملنا معها، لننتقل إلى

الفصل الثاني من خلال عرض، تحليل ومناقشة النتائج التي توصلنا إليها لنخلص في الأخير بأهم نتائج البحث والملاحظات التي شدت انتباهنا العلمي.

"الأجوبة في العلم ليست مهمة بقدر الأسئلة، ولا أرى من العيب أن لا تعرف الإجابة، الكثير من الأطفال يسألون، وليس من العار أن يرد الآباء بـ: لا أعرف الإجابة، والآن دعنا نتعلم سويا كيف يمكن أن نحصل عليها." لوراس كراوس

الفصل التمهيدي

- إشكالية البحث؛
- فرضيات البحث؛
- أسباب اختيار الموضوع؛
- أهداف البحث؛
- أهمية البحث؛
- تحديد المفاهيم؛
- الدراسات السابقة.

1 ـ إشكالية البحث:

تعتبر المراهقة L'adolescence موضوعا خصباً للبحث، تتمحور حوله الكثير من الدراسات في مختلف الميادين كالأنتربولوجيا، علم الاجتماع، الطب وعلم النفس، هذا الأخير الذي يعد ميدان دراساتنا عرف اهتمام باحثيه بموضوع المراهقة رغم تباين آرائهم باختلاف المنظور الذي ينظرون به.

وهي إحدى المراحل الحاسمة في حياة الفرد، كونها سيرورة انتقالية تُعبر عن الخروج من الطفولة، موازاة مع بدايات البلوغ أين تظهر تحولات تأخذ بالحياة الطفلية إلى حالاتها النهائية والعادية، وما تحمله من تغيرات على مستويات مختلفة من النمو: النفسية، العلائقية والجسدية، ومن خلال الاطلاع على التراث العلمي السيكولوجي، لاحظنا بأن الدراسات التنظيرية لهذه المرحلة من ناحية التوظيف النفسي أنتجت مفاهيم ترى المراهقة كسيرورة نمو، وأخرى تراها كمرحلة أزمة تركيزاً على الطابع الصراعي الذي تنطوي عليه فيما ذهبت أخرى إلى اعتبارها كمرحلة تغير تتميز بظهور قدرات جديدة في عملية توازن متدرج مع الواقع.

فنجد باحثين من أمثال **جوتون** Gutton الذي يكتب بأن المراهقة سيرورة نفسية تجعل من المراهق تحت ضغط التغيرات النفسية والفيزيولوجية الناتجة عن البلوغ، لذلك فهو مجبر على إعادة بناء ذاته رغبة في البلوغ والبحث عن رموز جديدة للهوية (Gutton ,2002 ,55)

في حين يرى **جامي** Jeammet بأن المراهقة مرحلة هامة تفرض على الفرد تغيرات على مستوى التوازن بين العالم الداخلي والعالم الخارجي، أين يعيد تنظيم التوازن بين النرجسية، العلاقة مع الموضوع الارتباط والاستقلالية، هذا العمل النفسي الشاق من شأنه أن يؤدي إلى هشاشة العالم الداخلي، كما أن العلاقة مع العالم الخارجي تتغير في هذه المرحلة. (Jeammet, 2001 ,1)

أما الباحثة **كاستمبرغ** Kestemberg من خلال مقالها **الهوية والتقمصات لدى المراهقين،** فتنظر إلى المراهقة باعتبارها منظم نفسي organisateur psychique يتم من خلالها إعادة تنظيم الأنا الذي يعيش تغيرات البلوغ، مما يجعل من المراهق أمام مهمة إستدخال هذا النمو الفيزيولوجي ضمن نظامه العلائقي والليبيدي في مواجهة خطر انكسار التوازن بين استثماراته النرجسية والموضوعية. (Kestemberg, 1999 ,47)

إن الإرصان النفسي الجيد لهذه السيرورة النفسية التطورية يتوقف على نوعية العلاقات مع المواضيع البدائية والتقمصات التي تم إستدخالها، لذلك فإن نجاح المراهق في هذا المسار العلائقي يتوقف على نوعية التقمصات التي يحملها وقدرته على إرصان مواضيعه البدائية.

ودراسة التقمصات من وجهة النظر الميتاسيكولوجية جد مرتبط ببناء الشخصية، إنها شرط التنازل عن الموضوع وفي نفس الوقت الاحتفاظ به، من حيث أنه عملية تعويض ناتجة عن فقدان موضوع كان يستثمره الأنا، هذا الفقدان يمثل الدافع إلى التقمص كي يتمكن الفرد من التعويض، عن طريق إدماج صفة من صفات الموضوع المفقود بالأنا، فالتقمصات مرتبطة بالجانب البنائي، بناء يتم داخل الفرد لاستدخال سمات من الخارج، من خلال سيرورة نفسية لاشعورية مستمرة.

فالتقمص له دور أساسي في إرصان العقدة الأوديبية، أين يكون السياق التقمصي هو مخرج هذا الصراع، حيث يجعل الطفل من والده مثالا يُقتدى به، فهذا الميكانيزم يأتي "لإصلاح الإحباط والجرح النرجسي الذي يتعرض له الطفل لاستحالة تحقيق رغباته الليبيدية هذه الاستحالة مرتبطة بالممنوع والمحرم الذي يحول دون تحقيق الرغبات مع المحارم". (شرادي نادية، 2011، 191)

إن هذه السيرورة تظهر فيما بعد في المراهقة التي تعيد إحياء الأوديب الطفلي حيث يكون على المراهق نزع استثماراته من المواضيع الوالدية المحرمة ثقافيا، ليبحث عن مواضيع خارجية، ولنوعية التقمصات في هذه المرحلة دور أساسي في تقوية الأنا لمواجهة مختلف الصراعات التي قد يتعرض لها الفرد طوال حياته.

وخلال المراهقة يظهر دور التقمصات في السماح بإرصان الطاقة الليبيدية الناتجة عن تغيرات البلوغ وإيجاد التناسق الداخلي، إذ كلما كانت التقمصات جيدة كلما نجح الفرد في إرصان تغيرات سيرورة المراهقة، وعلى النقيض فان هشاشة التقمصات قد يؤدي بالمراهق إلى البحث عن سلوكات التفريغ. (Marty. Chagnon, 2006, 8)

ومن بين سلوكات التفريغ نجد سلوك المرور إلى الفعل le passage à l'acte الذي يعد مخرج عنيف يحققه التوظيف النفسي الذي تنعدم لديه وسائل التحرر وإرصان صراعاته الداخلية، كما يمكن اعتباره هروب من علاقة غير محتملة، حيث يؤكد **جامي** Jeammet أنه كلما تعمقنا في دراسة المرور إلى الفعل وجدنا فقر في التصورات التي يبعث إلى صراعات نموذجية، وهذا راجع إلى بزوغ الفعل مكان العمل النفسي والمتمثل في التصورات التي تساهم في إرساء تنظيم متوازن. (Jeammet. Ph, 2002, 65)

ويظهر المرور إلى الفعل من خلال الملاحظة العيادية لدى المراهقين الذين يعانون من اضطرابات سلوكية مع عدم القدرة على التعبير عنها بالكلام ومن خلال بناء تصورات نفسية، هذا الوجه من القصور سببه عدم التمكن من الكلام أو رفضه أصلا، ومن جهة أخرى فان خصائص مرحلة المراهقة التي تتسم بكونها مرحلة نمو مضطرب، تتميز بالاختلال لما يصاحبها من تغيرات على مستويات مختلفة: صورة الجسد، عمل الحداد على الطفولة وخصائصها، تحديد نهائي للهوية وإعادة بناء وهيكلة التقمصات، هذه الديناميات النفسية من شأنها أن تجعل المراهق في حالة ضعف وعرضة لظهور اضطرابات مختلفة عند تعرضه إلى صراعات نفسية.

إن المرور إلى الفعل يتجلى من خلال السلوك الاندفاعي كقوة انفجارية لدى الفرد، وهو يصف الطبيعة التلقائية للفعل تحت أثر الاندفاع، ويظهر ميول لا يقاوم إلى ارتكاب أفعال دون التفكير في عواقبها، ويعتبر السلوك الانتحاري، الاغتصاب والإدمان على المخدرات من أنواع المرور إلى الفعل، "فكثيرا ما يعبر المراهق عن مشكلاته وصراعاته عن طريق سلوكات المرور إلى الفعل مثل الإجرام، اضطرابات التغذية، ومحاولات الانتحار والإدمان". (Jeammet. Ph, 2002, 66)

ويشير سلوك الإدمان Addiction الى محاولة لطلب السند والمساعدة، يبحث عنها الفرد في المادة الإدمانية، ليعيش الشعور باللذة والحنان الذي يمثله اللقاء مع موضوع الحب الأولي، إذن فهذه السلوكات هي تعويضية، فاللجوء الى المادة لا يكون من أجل المادة في حد ذاتها، وإنما للخبرات السارة التي يعيشها من خلالها، فالمدمن لا يزال ضمن إشكالية اكتشاف هويته التي لم تتحقق كوحدة مستقلة.

يرى **بيرجوري** Bergeret Jean من خلال تنظيره حول بنيات الشخصية بأن الاتجاه نحو الإدمان لا يتم من منطلق حاجة ظاهرة بشكل قليل أو كثير عند فرد ما، بل يتم أيضا على مستوى السجل الدفاعي الكامن كمحاولة للدفاع والضبط ضد القصور والخلل الذي يمس البنية العميقة، وما يميز المدمنين هو غياب العمل النفسي الليبيدي الذي من شأنه أن يقوم بإرصان العنف الأساسي مع مطالب مصبوغة بالقلق، مع ظهور الطابع السندي للعلاقات. (Bergeret. J, 1982, 25)

وتختلف اضطرابات الإدمان وتتنوع من ادمان على مادة معينة مثل المخدرات موضوع بحثنا، وإدمان بدون مادة مثل الإدمان على الانترنيت، ادمان الشراء، ادمان اللعب وغيرها، هذه السلوكات ذات التبعية القهرية تصنف ضمن اضطرابات الانحراف حسب Françoise Neau فهذه الاختلالات مؤسسة

على كيفية التنظيم الليبيدي خلال النمو النفسي الجنسي من خلال طريقة توزيع الليبيدو على كل من الأنا والموضوع، ومدى تكامل النزوات الجنسية تجاه الموضوع الواحد. (بن خليفة. م،2007، 58)

هناك الكثير من الدراسات التي توضح الدور المحوري للأسرة في فهم عوامل الخطر والحماية في توجه المراهقين نحو الإدمان (Benoît Gauthier et al, 2010) هذا التوجه نحو الإدمان على المخدرات لدى المراهقين حسب دراسة Novacek et al 1991 يشير إلى صعوبات في التكيف مع الحياة، وعدم القدرة على التحكم في انفعالاتهم، أو تطوير صورة إيجابية نحو الذات، فيما بينت دراسة Pentz 1983 أن سلوك الإدمان على المخدرات يعد ميكانيزم تعامل لدى الأشخاص الذين لديهم صعوبة في استعمال ميكانيزمات أكثر تكيفا وتنوعا.

ولأن إشكالية الإدمان مرتبطة بصعوبات كبيرة في الجانب العلائقي، علاقة الفرد بمحيطه الأسري والموضوعي، فقد كان السلوك الإدماني بمثابة حل متضارب لإشكالية علائقية يحاول المراهق من خلاله التحكم في الاعتماد الذي يميز استثماراته العلائقية باللجوء إلى المخدر كموضوع خارجي انتقالي، فالإدمان حسب Mercelli et Braconnier 2011 يعتبر كحماية للأنا الذي يتميز بالهشاشة والمُهدد في كماليته، ان هذه المواد تمثل مواضيع خارجية خالية من الصراع يستطيع التحكم فيها وتحافظ على هويته.

وقد توصلت دراسة: شربي 2012؛ إلى أن المدمنين لهم إدراك خاطئ حول إشكالية الإدمان مع تدهور المعاش النفسي لديهم، مع استخدام ميكانيزمات مختلفة حسب كل حالة، فيما خلصت دراسة: خرشي 2009؛ إلى أن الأسر التي يُظهر خلالها المراهق سلوكات مرور إلى الفعل، هي أسر تؤدي وظائفها على نحو سيء، والعرض المطور من طرف المراهق له دور في التعبير عن الأزمة التي تمر بها الأسرة، ومن خلال عرضنا الموجز لهذه الدراسات، يتضح لنا بأن الجانب العلائقي له وزن ثقيل في دراسة مشكلة الإدمان.

انطلاقا من هذا البناء المعرفي وتكمله له، فنحن إذ نتجه إلى دراسة التقمصات لدى المراهق المدمن، فإننا نعي بأن العديد من الاضطرابات النفسية لدى المراهق، تنطوي على عدم القدرة على التكيف الفعال مع الذات، ومن ثم مع العالم الخارجي الموضوعي، فهذه المرحلة النمائية جد هامة في النضج النفسي للفرد، ثم أن المراهقة تبقى المرحلة الأكثر عرضة لظاهرة إدمان المخدرات الذي اخترناه نموذجًا

للسلوكات التي قد يسلكها المراهق، ضف إلى ذلك فإنه كلما كانت سن بداية تعاطي المواد المخدرة مبكرة، كلما كان الفرد أكثر عرضة لخطورة التبعية على المدى الطويل.

وقد ارتأينا القيام بهذا البحث من خلال سلك المنهج العيادي الذي يهدف إلى معرفة السير النفسي والبناء الجديد للوقائع النفسية، وباستخدام الاختبارات الإسقاطية التي تسمح للمفحوص بإسقاط خبراته، استثماراته ودفاعاته أين يعكس صراعاته العامة من خلال إعادة تنشيط مستوى معين من الإشكالية، وتنشيط الذكريات المرتبطة بالهوامات الأولى نظراً لطابع الغموض الذي يميز تلك الاختبارات.

في الأخير؛ ومن خلال هذا التناول الميتاسيكولوجي، وانطلاقا من اعتبار المراهقة مرحلة هامة تشهد عمل نفسي كبير يظهر خلالها دور التقمصات في إرساء التوازن النفسي، وكيف أن الفشل في إرصان تقمصات جيدة ومرنة قد يؤدي إلى سلوكات تفريغية، ورغبة منا في دراسة نوعية التقمصات لدى المراهق المدمن على المخدرات، وسعيا إلى الوصول إلى نتائج علمية من وراء هذا البحث، فإننا نبدأ بطرح التساؤلات التالية:

- ما نوعية التقمصات لدى المراهق المدمن على المخدرات؟
- ما مميزات الإنتاج الإسقاطي لدى المراهق المدمن على المخدرات؟

2 ـ فرضيات البحث:

تكتسي الفرضية العلمية قيمة بالغة في بناء البحوث، إذ أنها تسمح بالانتقال من الجانب التجريدي إلى الجانب الملموس للطريقة العلمية، وتصوراتنا حول الواقع لا تكون لها قيمة إلا بعد نجاحنا في جعلها فرضيات لنتمكن فيما بعد من اختبارها، إن هذا الواقع الذي نتجه إلى دراسته لا يؤكد بالضرورة ما جاء في فرضية الانطلاق، لكنه يأخذ مدلوله ومعناه الحقيقي حتى ولو سارت هذه الفرضية في الاتجاه المعاكس، فالفرضية يمكن نفيها أو تأكيدها من خلال المعطيات المحصل عليها من الميدان، وفي بحثنا هذا نحاول أن نبني فرضيات للإجابة المؤقتة على أسئلة البحث التي طرحناها في الإشكالية، وكانت صياغتها كالآتي:

- يظهر لدى المراهق المدمن على المخدرات تقمصات هشة.
- يستعمل المراهق المدمن على المخدرات سياقات دفاعية.

3 ـ أسباب اختيار الموضوع:

إن إطلالة متفحصة على النظرية التحليلية التي هي خلفيتنا النظرية في هذا البحث، تجعلنا نقف على مدى القيمة الكبيرة التي تحتلها مرحلة المراهقة كمرحلة عمرية والعمل النفسي الشاق الذي يُنجز خلالها، ومشكلة الإدمان الذي عرف انتشاراً كبيرا، إذ يمكن القول بأن هذا الموضوع هو موضوع الحاضر، وانطلاقا من هذا الدافع النظري الذي يُغري أي باحث متلهف للمعرفة العلمية، وسعيا منا إلى الإشباع العلمي الذي يتجسد في دراسة موضوع شيق بأسلوب علمي وميداني، وانطلاقا من التناول النظري، كانت هذه الخطوة منا لدراسة موضوع التقمصات لدى المراهق المدمن على المخدرات.

كذلك فان الملاحظات العيادية التي استقيناها من الواقع، أين تعد مرحلة المراهقة الأكثر توجها نحو سلوكات الإدمان، هو ما أثار لدينا روح التساؤل، ودفعا للبحث عن الأسباب التي تجعل المراهق أكثر عرضة للإدمان.

4 ـ الأهداف المرجوة من البحث:

تُبنى البحوث أساسًا من أجل التوصل إلى جملة من الأهداف، لذلك فإن الهدف الرئيسي لهذا البحث هو الوقوف على نوعية التقمصات لدى مجموعة بحثنا من المراهقين المدمنين على المخدرات، ضف إلى ذلك التعرف على ديناميات الشخصية لديهم وميزات توظيفهم النفسي، والتي تتضح من خلال انتهاجنا للمنهج العلمي العيادي واستخدام وسائله.

توضيح خصائص المراهقة وديناميياتها ومدى الهشاشة الذي تتميز به كعامل مسهل للاتجاه نحو سلوكات المرور إلى الفعل، ومن ثم التركيز على مفهوم المرافقة كطريقة تعامل مع المراهق تساعده على تجاوز هذه المرحلة بهدوء

لفت الانتباه إلى أهمية خبرات الطفولة، طرق التربية الخاطئة وهشاشة الجانب التفاعلي بين أفراد الأسرة في التوجه نحو البحث عن موضوع اعتماد خارجي.

يندرج هذا البحث ضمن تحقيق أهداف العلم من حيث الفهم، التفسير، التنبؤ والتحكم، أين نتجه نحو فهم سلوك الإدمان، وتفسير ظاهرة توجه فئة المراهقين نحو الإدمان بشكل أكبر، ثم التنبؤ من خلال الحياة الطفولية وطرق التفاعل الأسري في علاقتها بالتوجه نحو سلوك الإدمان لدى المراهق، فاذا عرفنا أسباب إشكالية الإدمان وتطورها، استطعنا التحكم في سلوك الادمان من حيث الوقاية والعلاج.

5 ـ أهمية البحث:

يكتسي هذا البحث أهمية بالغة من حيث انه يتوجه نحو دراسة مرحلة نمو هامة، وتحدد مصير الفرد في حياة الرشد، ومن هنا فإننا بدراسة مرحلة المراهقة نعطيها قيمة في مدى توافق الفرد مع ذاته ومع الاخر في حياته.

يمثل موضوع الإدمان، والادمان على المخدرات بصفة ادق موضوعا خصبا للدراسة، لذا فتوجهنا نحوه من خلال هذا البحث يسلط الضوء على هذه الإشكالية، من حيث الأسباب والدوافع التي تجعل الفرد يتجه نحوه، فاذا تمكننا من فهم الأسباب كان من الممكن ان نساهم في التقليل منها.

من الناحية الممارسة الميدانية للوقاية وعلاج السلوكات الإدمانية، فهذه الدراسة تشكل إضافة من حيث انها تقوم بسبر اغوار شخصية المراهق المدمن، وتعطي له ملمح وبروفيل نفسي، يساهم في عملية التكفل الجيد.

6 ـ تحديد المفاهيم:

6 ـ 1 ـ التقمصات:

التقمص حسب تناول معجم مصطلحات التحليل النفسي هو: "عملية نفسية يتمثل الشخص بواسطتها أحد مظاهر أو خصائص أو صفات شخص آخر، ويتحول كليا أو جزئيا تبعا لنموذجه." (لابلانش، بونتاليس، 2002، 198)

كما نقرأ في معجم التحليل النفسي: "التقمص ليس مجرد سيرورة تعريف، بل أيضا عملية بناء لهوية الأنا." (Pierre Fedida, 1974, 87)

اجرائيا: يظهر مدى مرونة أو هشاشة التقمصات من خلال القدرة على التفاعل المتكيف مع الذات ومع الآخر، والقدرة على تجاوز الاستثمارات الأوديبية والتوجه نحو استثمار مواضيع حب جديدة، في علاقات غنية، مستقرة ومستقلة بعيدا عن الطابع السندي، ويتم قياسها اجرائيا بواسطة رائز تفهم الموضوع من خلال: تعريف شخصيات اللوحات من حيث الأجيال والجنس، وإقامة علاقة بينهم، ثم القدرة على ارصان الإشكالية الأوديبية والاكتئابية، ونتائج المقابلة العيادية مثلما تظهر من خلال الاستثمار العلائقي.

6 ـ 2 ـ المراهقة:

هي مرحلة هامة من الحياة تفرض على الفرد تغييرات على مستوى التوازن بين الداخل والخارج، تتسم بتغير العلاقة مع الوالدين وتغير العلاقة مع الجسد، فالمراهقة تعيد تنظيم التوازن بين النرجسية، العلاقة بالموضوع، الارتباط والاستقلالية، وهذا ما يؤدي إلى هشاشة العالم الداخلي، كما أن العلاقة بالعالم الخارجي تتغير في هذه المرحلة. (Jeammet. Ph, 2001, 1)

اجرائيا: نعتمد معيار السن في تحديد هذه الفترة، من سن الـ 11 إلى 21 سنة، هذه المرحلة العمرية ترافقها خصوصيات تتعلق بالجسد وأخرى نفسية تتعلق بطريقة استثمار صورة الجسد، طريقة اللباس، استعمال تعابير خاصة بين جماعة الرفاق.

6 ـ 3 ـ الإدمان على المخدرات:

تضع الجمعية الأمريكية للطب العقلي APA الإدمان ضمن الاضطرابات المتعلقة باستهلاك العقاقير مستخدمة مصطلح الاعتماد بدل مصطلح الإدمان، وهو الاعتماد على مادة كيميائية إلى الحد الذي تنشأ معه حاجة فيزيولوجية أو نفسية أو كلتاهما، ويظهر ذلك من خلال جملة من الأعراض التالية: التحمل، الانشغال الدائم بالحصول على المادة وتعاطيها، تعاطي المادة رغم توقع حدوث عواقب ضارة محتملة والجهود المتكررة للتوقف عن التعاطي أو التحكم فيه، مع ظهور أعراض الانسحاب حينما لا يتم الحصول على المادة، هذه الأعراض تؤثر على النشاط الاجتماعي أو المهني بسبب استهلاك المادة. (APA, 2003,222)

اجرائيا: المراهق المدمن هو ذلك الشخص في الفئة العمرية من 11 إلى 21 الذي يتناول المخدرات، ويُظهر أعراض الاعتماد، من خلال التحمل بزيادة الحاجة إلى المادة المخدرة، يرافقها أعراض من الانشغال الدائم والعزلة، بحيث أن التوقف عن التناول يؤدي إلى ظهور أعراض الانسحاب.

6 ـ 4 ـ الإنتاج الاسقاطي:

هو مجموع الإجابات والقصص التي قام بارصانها الفرد انطلاقا من الاختبار الاسقاطي، والتي ظهرت من خلال بروتوكول تفهم الموضوع، في صورة سياقات دفاعية تتوزع بين الرقابة، المرونة، التجنب والسياقات الأولية، مع الايماءات، الإستثارات الحركية، انتقاد المادة، والطلبات التي واجه بها المفحوص المادة الإسقاطية.

ويسمح لنا الإنتاج الاسقاطي من خلال التقنيات الإسقاطية بمعرفة العلاقة مع الواقع ومع الموضوع، والقدرة على تنظيم عالمه الداخلي والخارجي، باختصار يسمح بفهم الجانب النرجسي وكيفية استثمار تصورات الأنا، والعلائقي للمفحوص من خلال تصورات العلاقات ونوعية استثمار التصورات العلائقية.

6 ـ 5 ـ المرور إلى الفعل:

يعرف المرور إلى الفعل على أنه مجمل "الأفعال التي تتخذ في الأغلب طابعا اندفاعيا يتفرق نسبيا عن أنظمة الدوافع المعتادة لدى الشخص، فيضل معزولا نسبيا عن مجرى نشاطاته، كما أنها تتخذ شكل عدوانية موجهة نحو الذات أو نحو الآخر". (لابلانش، بونتاليس، 2002، 187)

ويشير إلى التفاعل مع الذات أو مع الآخر من خلال الفعل والعدوانية وليس بواسطة الكلمات في موقف لا حاجة فيه الى الدفاع بالسلوك، مع حضور كلام خالي من المعنى ينطوي على صعوبات على مستوى سيولة التصورات واستمراريتها، وضعف في ارصان القلق والصراعات.

7 ـ الدراسات السابقة:

فيما يلي سوف نعرض لمجموعة من الدراسات والأبحاث التي تناولت إشكالية الإدمان في علاقتها بمتغيرات وجوانب أخرى، غير تلك التي تناولناها في هذا البحث، ونختم بما استخلصناه منها.

7 ـ 1 ـ دراسة (ليلى شربي): 2013، الميكانيزمات الدفاعية وتقدير الحياة الذاتية عند المدمنين:

أجريت هذه الدراسة من طرف ليلى شربي أبيلا، على عشر حالات من المدمنين ذكور تتراوح أعمراهم بين 21 و42 سنة، بمركز الوقاية وعلاج المدمنين فرانس فانون بالبليدة.

وسعت هذه الدراسة إلى إظهار وفهم التوظيف النفسي لدى المدمنين، من أجل ذلك استعملت المنهج العيادي، ووسائل المقابلة العيادية واستبيان الميكانيزمات الدفاعية واستبيان نوعية الحياة الذاتية، توصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

إدراك خاطئ لدى مجموعة البحث بإشكاليتهم الإدمانية وتدهور معاشهم النفسي اجتماعي، مع استعمال مختلف ومتنوع للميكانيزمات الدفاعية لدى المبحوثين حسب كل حالة، حيث أن استخدام ميكانيزمات تكيفية يساعد نوعية الحياة الذاتية، فكلما كانت الدفاعات تكيفية كانت نوعية المعاش جيدة.

صعوبة التحدث عن بنية نفسية عصابية أو ذهانية لدى المدمنين، ولكن هناك بنية خاصة بالمدمنين هي البنية الإدمانية structure toxicomaniaque.

7 ـ 2 ـ دراسة (صوان عبد الوهاب): 2010، العلاقة بالموضوع والادمان:

أجريت هذه الدراسة من طرف صوان عبد الوهاب، على مجموعة بحث تتكون من 6 حالات ذكور يتراوح سنهم بين 19 و36 سنة، وقد أجريت هذه الدراسة في وسط خارجي بعيد عن المؤسسات والمستشفيات.

هدفت إلى التعرف على دور البعد العلائقي في تفسير الإدمان، في إطار التوظيف النفسي المختلف، من خلال سلك المنهج العيادي واستعمال أدوات المقابلة العيادية نصف الموجهة واختبار الروشاخ، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

إنكار المبحوثين للاعتماد من خلال تصورات تدور حول القدرة في تحكم في المخدر والقدرة على التحكم في الذات تحت تأثير المخدر مع اضطراب الأنماط العلائقية؛

الهشاشة في التوازن بين الاستثمارات النرجسية والموضوعية، أين تسود التصورات المتعلقة بالآخر الرقابة، وتسود السياقات ضد الاكتئابية تصورات الذات كطرف في نمط علائقي؛

يعد السلوك الإدماني حل متضارب لإشكالية علائقية، يحاول فيه الشخص التحكم في الاعتماد الذي يميز استثماراته العلائقية بالرجوع إلى المخدر كموضوع انتقالي.

7 ـ 3 ـ دراسة (إسماعيلي يامنة): 2009، دور الإرشاد النفسي في علاج المدمنين على المخدرات.

أجريت هذه الدراسة من طرف إسماعيلي يامنة، على مجموعة بحث تتكون من 20 حالة يتراوح سنهم بين 15 و26 سنة، باعتبارهم الأكثر اتجاها نحو تعاطي المخدرات، وتم اجراء هذا البحث بمصلحة الوقاية والعلاج من الإدمان بمدينة البليدة.

هدفت هذه الدراسة إلى إبراز دور العوامل النفسية الكامنة وراء حالات الإدمان وضرورة التكامل بين العمل الطبي والنفسي من حيث التشخيص والعلاج في التعامل مع هذه المشكلة، وتوصلت إلى النتائج التالية:

استعمال بعض الأساليب التربوية الخاطئة مع الطفل من شأنها تفجير بعض السلوكات الاجرامية أو الإدمانية لدى المراهق والراشد مستقبلا؛

الإدمان مدفوع بأسباب نفسية مثل الحاجة إلى الحنان، الاهتمام والرعاية، لأن المدمن في مرحلة المراهقة يجد نفسه وحيدا في أفكاره غريبا، فيلجأ إلى الإدمان للهروب من الفراغ المؤلم، ويواجه بالرفض والتمرد لكل ما هو حوله بغرض إثبات نفسه؛

أن المدمن يفتقد إلى العلاقة الإيجابية مع الوالدين وإلى التفاعل الأسري والاستقرار داخل الأسرة، حيث أن سوء العلاقة الوالدية سواء مع الأم أو الأب يساهم في الإحساس بالقلق وعدم الاستقرار مما يسهل لجوء الفرد إلى الإدمان على المخدرات، لذلك كان توطيد العلاقات الأسرية بين الآباء والأبناء كفيل بالحد من ظاهرة الإدمان على المخدرات، ويساهم الإرشاد النفسي في التكفل والوقاية من هذه المشكلة.

تلعب جماعة الرفاق دورا كبيرا في التأثير على اتجاهات الفرد وإيجاد صراع بين قيمه واتجاهاته ودوافعه وحاجاته إلى الجماعة مما يشكل دافعا قويا للانقياد إلى الإدمان على المخدرات.

7 ـ 4 ـ دراسة (زين العابدين): 2009، القمع النفسي في حالة تقطيع الذات عند الشباب الراشد المدمن على المخدرات:

أجريت هذه الدراسة من طرف زين العابدين فارس على عينة قصدية تتكون من 60 حالة قسمت إلى مجموعتين المجموعة الأولى من المدمنين ذوي سلوكات تقطيع الذات، في حين المجموعة الثانية من المدمنين دون سلوكات تقطيع الذات، يتراوح أعمارهم بين 20 و40 سنة، بمركز الطب العقلي وعلاج الإدمان بالمستشفى الجامعي بسيدي بلعباس.

هدفت الدراسة إلى معرفة الدور الذي يلعبه ميكانيزم القمع ومدى تأثيره في سلوكات تقطيع الذات لدى الشباب المدمنين في ظل التنظيم الدفاعي، مستعملة المنهج الوصفي المقارن، ووسائل المقابلة الشخصية واستبيان النوع الدفاعي (DSQ-40)، ومقياس الألكستيميا (TAS) واستبيان الألم لسانت أنطوان، وتوصلت الدراسة للنتائج التالية:

استعمال ميكانيزم القمع لدى المدمنين ذوي سلوكات تقطيع الذات، ويعبر تقطيع الذات كتكيف مع الوضعيات الخطيرة في ظل استعمال أساليب دفاعية غير ناضجة، وهم يتميزون بعدم القدرة على التعبير

عن مزاجهم وانفعالاتهم وأحاسيسهم وحوارهم خال من العواطف والكلمات (الألكستيميا)، وهؤلاء المدمنين لا يعون بآلامهم رغم أفعال التقطيع التي مارسوها.

7 ـ 5 ـ دراسة (عنو عزيزة): 2008، التنظيم العقلي عند الراشدين المدمنين على المخدرات:

أجريت هذه الدراسة من طرف عنو عزيزة، على عينة قصدية من المدمنين الراشدين عددهم 100، تتراوح أعمارهم بين 25 و35، بالمستشفى الجامعي فرانس فانون بالبليدة وبمصلحة الوقاية والعلاج للمخدرات بالجزائر العاصمة، وسعت هذه الدراسة إلى التعرف على التوظيف العقلي لدى المدمنين.

استعملت هذه الدراسة المنهج العيادي، ووسائل بحث تتمثل في المقابلة العيادية نصف الموجهة، واختبار تفهم الموضوع TAT، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

من خلال المقابلة العيادية ظهر أن استجابات المبحوثين تراوحت بين وجود سيولة في التصورات، وظهور تصورات ووجدانات مضطربة، وضعف في تناول محاور المقابلة، مع غموض وكف في استجاباتهم، واضطرابات على المستوى العلائقي، وأيضا ضعف في تناول محاور المقابلة لأن المخدر شغل الساحة العقلية لديهم، مع انعدام الدينامية العلائقية.

فيما أظهرت نتائج اختبار تفهم الموضوع TAT، سيطرة سياقات الكف مع ظهور سياقات من النوع الفوبي، في حضور سياقات المرونة لتدل على صراع بين شخصي وصعوبات علائقية بين المدمن ومحيطه، وسياقات الرقابة التي تشير إلى صراع ضمن نفسي وضعف الأنا الأعلى والرقابة، سياقات أولية تتعلق بالعدوانية.

بصفة عامة، توصلت الدراسة إلى أن للمدمنين صعوبة في إدراك إشكاليات اللوحات وإرصان الصراعات التي تثيرها مع تقمصات قليلة، حيث أن هؤلاء الأفراد عجزوا عن القيام بعملية الإستدخال والإسقاط، ما جعلهم يرتبطون بالمواضيع الخارجية ارتباطا وثيقا، وقد بينت الدراسة أيضا أن المبحوثين يمكن إدراجهم ضمن عصابات السلوك، وانعدام التنظيمات العصابية والذهانية ضمن عينة البحث، لتؤكد أن المدمنين لا يدخلون في التنظيمات الذهانية ولا العصابية.

7 ـ 6 ـ دراسة (Mcardle et al): 2002، بنية وروابط الأسرة واحتمال توجه المراهق نحو الإدمان على المخدرات:

أجريت هذه الدراسة من طرف Mcardle et al على عينة تكونت من 3984 مراهق، في مرحلة عمرية تتراوح بين 14 و15 سنة يعيشون مع أباءهم، وهدفت إلى التعرف على مدى وجود علاقة بين نوعية الروابط الاسرية وتوجه المراهق نحو تعاطي المخدرات، وخلصت إلى ما يلي:

أن نوعية الروابط الأسرية لها دور أساسي في مدى التوجه نحو التعاطي؛

ان غياب السند العائلي لدى هؤلاء المراهقين عند معايشتهم لمشاكل في حياتهم يمكن أن يؤدي بهم الى مشكلة التعاطي وسلوكات الجنوح؛

ان المشاكل السلوكية لدى الآباء تعد عوامل خطر في توجه المراهق نحو استعمال المخدرات،

دور الأسرة خلال تطور إشكالية تعاطي المخدرات لدى المراهق له دور في احتمال الإدمان أو العلاج. (Benoît Gauthier et al, 2010)

7 ـ 6 ـ دراسة (Fredman et Musgrove): 1994، العائلة وادمان المخدرات:

أجرى هذه الدراسة كل من Fredman et Musgrove على 12 حالة في مركز لتأهيل مدمني المخدرات.

هدفت الدراسة إلى فحص وتحليل مفاهيم هؤلاء المدمنين عن أسرهم، وتوصلت إلى أن الصفات المشتركة بينهم هو نقص التماسك والتواصل الأسري، مع عدم وجود دور واضح للآباء، وفرط أو قلة في تأدية دورهم، لتختم بأهمية الرابط الأسري في التقليل من احتمال التوجه نحو مشكلة الإدمان.

7 ـ 7 ـ دراسة (Hops): 1990، تأثير المتغيرات العائلية على تعاطي المخدرات لدى المراهقين:

تجاوزت هذه الدراسة مجرد التأثير المباشر لتعاطي الوالدين للمخدرات على المراهقين، إلى متغيرات أخرى لها تأثيرات غير مباشرة مثل المتغيرات الديموغرافية، الاجتماعية، الاقتصادية والعلاقة التي تربط المراهق بوالديه.

أجريت الدراسة على 128 عائلة تضم مراهقين متعاطين للمخدرات، وتم جمع المعلومات من خلال الملاحظة المباشرة للتفاعل الأسري، والصراع الذي يسود كل أسرة.

بينت نتائج هذه الدراسة أهمية الصراع العائلي لدى المراهق في التوجه نحو تعاطي المخدرات سواء المسموحة أو غير المسموحة، كذلك فان التفاعلات القسرية والاكراهية من طرف الوالدين على المراهق توثر في توجهه نحو زيادة تعاطي المخدرات، الدراسة أوضحت أيضا أن العائلات ذات والد واحد (الأم) تنتج أعلى عددا من المدخنين، ضف الى ذلك فان استعمال أحد الوالدين للمخدرات يساهم في تعلم أبنائهم لهذه العادة.

7 ـ 8 ـ خلاصة الدراسات:

من خلال هذه الدراسات يمكن أن نستخلص النتائج التالية:

- هناك صعوبات علائقية لدى المدمنين، حيث يمثل السلوك الإدماني حل متضارب لإشكالية علائقية؛
- من الصعب التحدث عن بنية نفسية عصابية أو ذهانية لدى المدمنين، ولكن هناك بنية خاصة بالمدمنين هي البنية الإدمانية structure toxicomaniaque؛
- يظهر لدى المدمنين عدم القدرة على التعبير عن مزاجهم وانفعالاتهم وأحاسيسهم وحوارهم خال من العواطف والكلمات؛
- تبنى إشكالية الإدمان على طفولة تتسم باستعمال أساليب تربوية، وتفتقد إلى علاقة إيجابية مع الوالدين وإلى التفاعل الأسري والاستقرار داخل الأسرة؛
- ظهور تصورات ووجدانات مضطربة، مع غموض وكف في استجابات المدمنين.
- لإشكالية الإدمان علاقة ببنية الأسرة، وتصرفها خلال بداية تعاطي المراهق للمخدرات يحدد مدى تطور ذلك السلوك إلى إدمان أو إقلاع.

"العلم هو المجال الوحيد الذي يسمح لنا بحب ما نهدم، وأن نجعل الماضي يستمر مع نفيه في نفس الوقت، كما نستطيع أن نوقر أستاذنا مع معارضته." غاستون باشلار

الجانب النظري

الفصل الأول:

التقمصات

- مفهوم التقمص في كتابات فرويد ؛
- تعريف التقمص؛
- مفهوم التقمص في الأعمال بعد الفرويدية؛
- تطور السياق التقمصي ؛
- مراحل النمو النفسي الجنسي .

تمهيد:

يعد مفهوم التقمصات أحد المفاهيم المهمة في نظرية التحليل النفسي، وأحد الميكانيزمات الدفاعية التي يستعملها الأنا في مهمة حفظ التوازن في الجهاز النفسي، وقد نال هذا المفهوم اهتمام فرويد في كتاباته التحليلية فأولاه مكانة خاصة.

وتبنى شخصية الفرد من خلال التقمصات التي يكونها في الصغر، عن طريق علاقاته التفاعلية مع أولى مواضيع الحب، ومدى مرونة تلك التقمصات هوما يحدد مآل ومستقبل تكيف الفرد مع الواقع النفسي، ثم ليمنحه موارد يستعملها في تفاعلاته مع العالم الخارجي الموضوعي.

وفي هذا الفصل سوف نعرض بصورة مفصلة لمفهوم التقمص، والمفاهيم التحليلية الأخرى التي بنيت على هذا المفهوم، ثم نعرض السياق التقمصي لتوضيح سيرورة نشأة التقمصات النفسية من خلال مراحل النمو النفسي الجنسي.

1 ـ مفهوم التقمص في كتابات فرويد:

استخدم فرويد مفهوم التقمص في أولى رسائله إلى فليس، أين يعطيه معنيين، الأول هو التقمص الهستيري في حديثه عن الأعراض التي تتكون عن طريق تقمص جانب من الآخر "فهو الذي يمكن المرضى من أن يعبروا بأعراضهم، لا عن خبراتهم فقط بل عن خبرات عدد كبير من الناس فوق ذلك، حتى كأنهم يتألمون نيابة عن جمهور بأكمله من الناس، ويملؤون بمفردهم أدوار الرواية جميعا". (حب الله عدنان، 2004، 198)

والتقمص النرجسي، أين يرى فرويد في النظرية العاملة للأعصبة في حديثه عن الميلانخوليا بأن اللوم الذي يوجهه الفرد لنفسه، هو في الواقع ينصب على موضوع آخر فقده أو فقد اعتباره لديه، ومن هنا يقوم الفرد بسحب الليبيدو من الموضوع الذي استثمره وكأن هذا الموضوع قد انتقل إلى داخل الأنا من خلال سيرورة نطلق عليها اسم التقمص النرجسي. (فرويد، 1962، 229)

وتطرق فرويد أيضا إلى مفهوم التقمص في عمله حول الأحلام، أين يرى بأن عمل التقمص في الأحلام يقتضي ظاهرة تتم بين شخصين يرتبطان في سمة مشتركة ليشكلا شخص واحد في المحتوى الظاهر. (Joseph Sandler, 1987, 21)

وقد أخذ مفهوم التقمص ينال أهمية أكبر في أعمال فرويد، ففي مدخل إلى النرجسية 1914 يرى بأن طريقة اختيار الموضوع يكون من خلال إعطاءه هوية تقترب من المثالي، أين يكون الموضوع بالنسبة للفرد مطابق له تماما، محبوب، ويشكل جزء منه. (Donnet, Pinel, 2002, 17)

اما في كتابه علم نفس الجماهير وتحليل الأنا 1921 فيرى بأن "التقمص هو الظاهرة الأولى لتعلق وجداني بشخص آخر، ويلعب هذا التقمص دورا هاما في عقدة أوديب" (فرويد، 2006، 79)

هذه الأهمية ظهرت بشكل جلي في بناء النظرية الموقعية الثانية 1923 حيث يكتب في الأنا والهو: "يتكون الأنا في الأغلب من التقمصات التي تحل محل الإستثارات النفسية التي كانت تصدر عن الهو، والتي توقفت بعد ذلك" (فرويد، 1982، 78)

فالتقمصات ظاهرة أساسية في تكوين الشخصية: تتصرف أولى التقمصات دائما باعتبارها منظمة خاصة في الأنا، وتتميز عن بقية الأنا بأن تأخذ صورة أنا أعلى، بينما يصبح الأنا فيما بعد حينما ينمو وتشتد قوته أقدر على مقاومة تأثيرات هذه التقمصات، لقد كان الأنا الأعلى أول تقمص." (فرويد، 1982، 78)

وتساهم التقمصات في نشأة الأنا الأعلى من خلال تقمص شخصية الأب باعتباره مثالا، وكل تقمص من هذا النوع إنما هو بمثابة تجرد من النزوة الجنسية، أو بمثابة إعلاء للنزوة أيضا. (فرويد، 1982، 87)

فالأنا كما تناوله فرويد في كتاباته نابع أولا وأخيرا من التقمصات التي كونها، والتي تصبح فيما بعد الوصل بين الذات والعالم الخارجي، فالانسجام الذي يحصل ما بين العديد من هذه التقمصات هو الذي يؤدي إلى السلامة النفسية للأسوياء، وتضاربها يؤدي إلى الصراع وحالات العصاب. (حب الله عدنان، 2004، 205)

وقبل أن نذهب إلى تعريف التقمص، من المهم أن نشير إلى الاختلاف بين المحللين والمترجمين العرب في ترجمة مفهوم L'identification، ففي حين نجد جورج طرابيشي الذي ترجم كثير من مؤلفات فرويد إلى العربية يستعمل مصطلح التماهي من الفعل تماهي والمصدر ماهية، وهو نفس المصطلح الذي يستخدمه عدنان حب الله، هذا المصطلح لقي نجاحا كبيرا في مجالات عدة غير التحليل النفسي، إلا أن المصريين يستخدمون بدلا عنه مصطلح التعيين الذي اقترحه مصطفى صفوان، وهو مأخوذ من عبارة الشيء عينه الذي تعبر في اللغة العربية عن فكرة المثيل، فيما استعمل سامي علي مصطلح التوحد

المشتق من الفعل توحّد، لكن استخدام هذا المصطلح يصطدم بوجود مصطلح التوحد l'Autisme الذي يشير إلى اضطراب نمائي في الطفولة، في حين نجد عزت راجح يستخدم مصطلح التقمص – وهو المصطلح الذي نعتمده في دراستنا هذه – وهو مصطلح مسرحي في اللغة العربية الحديثة يشير إلى تقمص دور شخصية ما، والتقمص مشتق من فعل لبس قميص.

وخلال هذه الدراسة سوف نحاول أن نستخدم ترجمة واحدة لمفهوم L'identification وهي التقمص، توحيدا وتجنبا للوقوع في إشكالية تباين المصطلحات.

2 ـ تعريف التقمص:

مثلما كتب فرويد، فالتقمص هو الشكل الأكثر بدائية للتعلق الوجداني بموضوع معين، يعرفه لابلانش وبونتاليس بأنه: "عملية نفسية يتمثل الشخص بواسطتها أحد مظاهر أو خصائص أو صفات شخص آخر، ويتحول كليا أو جزئيا تبعا لنموذجه." (لابلانش، بونتاليس، 2002، 198)

كما نقرأ في معجم التحليل النفسي: "التقمص ليس مجرد سيرورة تعريف، بل أيضا عملية بناء لهوية الأنا." (Pierre Fedida, 1974, 87)

وهو عملية تعويض ناتجة عن فقدان موضوع معين كانت تربطه بالأنا صلات ليبيدية وثيقة، إذ أن فقدان الموضوع يمثل في حد ذاته الدافع إلى التقمص كي يتمكن الفرد من التعويض، عن طريق إدماج صفة من الصفات بالأنا يخاطب بها الآخر. (عدنان حب الله، 2004، 207)

تشير هذه التعاريف إلى أن التقمص يرتبط بالجانب البنائي، بناء يتم داخل الفرد لاستدخال سمات من الخارج، وهذا يقتضي سيرورة نفسية لاشعورية مستمرة لدى الفرد، هذه العملية تختلف عن التقليد الذي يعد عملية شعورية.

ويرجع أصل التقمصات إلى خصائص الأنا، ونتيجة للعلاقات الموضوعية للطفل الذي يتخلى عنها من أجل أن يكبر، فهو يقوم بحداد على مواضيع حبه الأولية في الواقع، ويستدخلها في ذاته وتبقى كمعنى علائقي، فالأنا يُبنى إذن من هذه السيرورة. (Tony Anatrella, 1988, 148)

فسيرورة التقمص تشير إلى ذلك العمل النفسي الذي يسمح بالاحتفاظ بالعلاقة بالموضوع المفقود وحماية الأنا من القلق. (J. Florence, 1978, 149)

فحسب أندري غرين A Green2002 يتحدد التقمص من خلال إستدخال الاستثمارات اللبيدية للموضوع في الاستثمارات اللبيدية للأنا النرجسي، لكي ينمو ويتطور، ومن خلاله يحفظ الأنا الموضوع في ذاته ويتدعم به، ويضيف إن دراسة التقمصات جد مرتبط ببناء الشخصية، إنها شرط التنازل عن الموضوع والاحتفاظ به.

والتقمص من وجهة نظر نفس مرضية psychopathologique يعد كعرض ثم كهوام وأيضا كميكانيزم دفاعي ضد فقدان الموضوع، وأخيرا نمط علائقي مع الآخرين. (J. Chagnon, 2008, 81)

وتشير هذه السيرورة إلى الاشتراك مع شخص أخر في سمة من السمات، و"يفترض السياق التقمصي على الفرد التخلي عن مواضيعه الأوديبية المحرمة واستبدالها بمواضيع خارجية غير محرمة حتى ينمو متوازنا" (شرادي نادية، 2011، 193)

فالطفل هنا ينتقل من الذاتية إلى الموضوعية، فالسياق التقمصي يسمح له بالتفرقة بين الذات والموضوع، أي بين الأنا وغير الأنا. (Perron. R, Perron – Borelli M, 1997, 358)

ومثلما يكتب فرويد في الأنا والهو فإن: "التقمص هو الشرط الوحيد لتخلي الهو عن مواضيع حبه". (فرويد، 1982، 39)

فنحن نتقمص الأشخاص الذين نحبهم والذين نكون قريبين منهم، ونلجأ إلى ميكانيزم التقمص لمساعدتنا على تسوية انفصالنا عن مواضيع الحب، وفي هذه السيرورة للتقمص وظيفة تشكيل بنية مهم للنمو. (Joseph Sandler, 1987, 197)

من المهم أن نفرق بين التقمص والمحاكاة، أين يرى فروم From أن هناك فرق بين الإستدخال والتقمص والمحاكاة، إذ يستخدم الإستدخال L'interjection والتقمص L'identification كمترادفين غالبا، غير أنه من الصعب الجزم بأنهما يدلان على العملية نفسها، وعلى كل حال فلا يجب استخدام تعبير التقمص استخداما فضفاضا عندما يكون من المفضل الحديث عن المحاكاة. (فروم، 1989، 39)

فمن خلال سيرورة التقمص يتم إستدخال لاشعوري لمعنى الآخر في الذات، في حين أن المحاكاة تقوم فقط بإعادة موقف معين، فالتقمص يغير الشخصية في أعماقها، في حين تقوم المحاكاة بمجرد تهيئة الأنا دون تغير في بنيات الشخصية.

ويشير فرويد إلى أن هناك ثلاث مصادر للتقمص:

- المصدر الأول: تتعلق الأنا بموضوع الحب (الأم والأب) وترتبط به ارتباطا عاطفيا، تتقمصه وتتشبه به، وتريد أن تحل مكانه، ويصبح مثالا تحذو حذوه وتقتدي به؛
- المصدر الثاني: يحدث التقمص على أثر نكوصي محل تعلق لبيدي بموضوع ما، وهذا عن طريق إستدخال الموضوع في الأنا؛
- المصدر الثالث: يحدث التقمص دون أن يكون هناك أي ارتباط عاطفي أو اختيار لبيدي تجاه الموضوع الذي تتقمصه. (فرويد، 2006، 74)

وكلما كانت السمات المشتركة أوسع نطاقا وأكثر تعددا كان التقمص أكمل تطابقا، ومن أجل أن يحدث ميكانيزم التقمص يجب أن يكون الموضوع الذي سيتقمصه الأنا موضوعا مفقودا ارتبط به دافع عدواني يدعو إلى ازاحته والحلول مكانه، مثل عملية امتلاك الموضوع ثم دمجه في ذاته.

فالتقمص حسب فرويد له صفة ازدواجية مرتبطة بالتعبير عن الحب نحو الموضوع، والرغبة في إطاحته والحلول مكانه، كما لو كان التقمص إنتاجا للمرحلة الأولى من النمو النفسي، أي المرحلة الفمية أين كان الفرد يحصل على الموضوع الذي يرغبه من خلال أكله، أي إزالته. (فرويد، 2006، 82) ففي البدء الأب هو ما نريد أن نكون، وفي الحالة الثانية هو ما نريد أن نمتلك. (فرويد، 2006، 81)

إذن ما يميز التقمص هو التعلق العاطفي بموضوع الحب، ثم محاولة الحصول عليه من خلال دمجه في الذات كي يصبح مثله.

فالطفل الصغير يبدي اهتماما كبيرا بأبيه، يود أن يصبح مثله وأن يقوم مقامه من كافة النواحي، إنه يجعل من والده مثاله، وهذا الموقف من الأب أو من كل رجل بوجه العموم، وبالتزامن مع تقمص الأب يأخذ الطفل الصغير بتوجيه رغباته اللبيدية نحو الأم، ويظهر نوعين من التعلق، تعلق بالأم بصفتها موضوعا جنسيا، وتقمص الأب باعتباره نموذج يجب محاكاته والتشبه به، وتبقى هاتان العاطفتان متجاورتان لزمن ما دون أن تؤثر واحدة في الأخرى، لكن مع الزمن تقترب هاتان العاطفتان من بعضهما إلى أن ينتهي بهما الأمر إلى التلاقي، ومن هذا التلاقي تنجم عقدة أوديب.(فرويد، 2006، 83)

فالطفل يتبين أن الأب يسد عليه الطريق نحو الأم، فيتصف تقمصه بالأب بطبيعة عدائية، ويتداخل في نهاية الأمر مع الرغبة في أخذ مكانه، ويكون التقمص منذ البداية ذو طبيعة وجدانية مزدوجة Ambivalence فقد يكون متجها نحو التعبير عن الحب أو الرغبة في الإلغاء. (فرويد، 2006، 80)

أما بالنسبة للبنت فتوجه رغباتها اللبيدية نحو الأب، وتصبح منافسا للأم، ترغب في أن تحل مكانها وترغب في الحصول على طفل من الأب، وتقمص الأب بالنسبة للطفل الذكر وتقمص الأم بالنسبة للبنت، يمثل المخرج الوحيد السوي للتخلص من عقدة أوديب.

وعندما تتحطم عقدة أوديب يصبح الطفل مضطرا إلى التخلي عن أمه كموضوع جنسي، وفي هذه الحالة ممكن أن يحدث احتمالان، إما أن يتقمص الأم وإما أن يتقمص الأب، والاحتمال الأخير هو الذي يمكنه من أن يصبح سويا، ويمكنه في نفس الوقت من الاحتفاظ بشعور الحنان تجاه أمه، وعندما تنتهي عقدة أوديب تبرز الصلابة في طبعه الذكري، كما أن البنت في حال تحطم عقدة أوديب تتقمص أمها وتكون النتيجة أن يتثبت لديها العنصر الأنثوي. (عدنان حب الله، 2004، 204)

إن أهمية التقمص كعملية بناء للأنا وكميكانيزم دفاعي، جعلت الأبحاث النظرية والتطبيقية تتجه نحو دراسته، وهوما أنتج لنا مفاهيم أخرى تقترب منه وتكمل المسيرة الميتاسيكولوجية له.

3 ـ مفهوم التقمص في الأعمال بعد الفرويدية Poste-Freudienne

لقد ظهرت الكثير من الدراسات والبحوث بعد فرويد حول مفهوم التقمص، وهي تنظر إليه كميكانيزم دفاعي وأيضا كميكانيزم نمائي تطوري، وفيما يلي سوف نعرض لاستعمال هذا المفهوم وتطوره في الكتابات التي جاءت بعد فرويد:

3 ـ 1 ـ التقمص الإسقاطي:

ميلاني كلاين M Klein: العمل المتبادل بين الإستدخال l'introjection والاسقاط la projection يبني العالم الداخلي وفي نفس الوقت يرسم صورة عن الواقع الخارجي.

أدخل مصطلح التقمص الاسقاطي من طرف ميلاني كلاين M Klein لتشير به إلى ميكانيزم يتلخص في هوامات، يقوم الشخص فيها بإسقاط شخصيته بصفة جزئية أو كلية داخل الموضوع بغية التحكم وإلحاق الضرر، والهدف من ذلك هو إلصاق الصفات الذاتية بآخر أو تشبيهها به بشكل إجمالي أوكلي. (Chagnon. J. Y, 2008, 90)

هو ميكانيزم أساسي في البناء الشخصي، يخص المرحلة الفمية أين يقوم الفرد بإسقاط شخصيته وذاته داخل الموضوع بهدف الامتلاك، والتحكم وحتى التدمير.

ترى هانا سيغال Hanna Segal بأنه ميكانيزم دفاعي، وشكل أولي للمشاركة الوجدانية Empathie وأيضا كنموذج أكثر قدما لتكوين الرمز. (Joseph Sandler, 1987, 28)

من خلاله يستمد الفرد قدرا من المساعدة من عملية الاسقاط، حيث لا يعتقد أن به ميولا عدوانية، بل يعتقد أنه لا يسبب أي أذى للآخرين، ومن ثم يختار شخصا آخر ليسقط عليه تلك العدوانية، وفي هذه الحالة فان الشخصية التي يعكس عليها داخله عادة ما تبدو مشوهة وتفقد جزءا من ذاتها، تسمى عملية فقدان الهوية وإسقاطها على شخص آخر بالتقمص الإسقاطي وهي تتم بغرض الدفاع ضد العدوان. (روبرث هنشل وود وآخرون، 2003، 134)

وتعتبر كلاين هذا الميكانيزم كسيرورة دفاعية ضد قلق فقدان الموضوع ومخرج لنزوات الموت، يقوم بموجبه الأنا بأبعاد التجارب غير المحتملة خارجه، من خلال شطر نفسه وإسقاط تلك الأجزاء المنشطرة على المواضيع الخارجية.(Chagnon. J. Y, 2008, 90)

ووصفت ميلاني كلاين في كتابها تحليل الأطفال عام 1932 هوامات هجومية على داخل جسد الأم وفق اختراق سادي له، لكنها لم تقدم مصطلح التقمص الإسقاطي إلا في مرحلة متأخرة من عام 1946 للدلالة على شكل خاص من التقمص الذي يرسخ النموذج الأول للعلاقة العدوانية مع الموضوع. (Joseph Sandler, 1987, 27)

للتقمص الاسقاطي أهداف متعددة، يمكن توجيهه نحو الموضوع المثالي لتجنب الانفصال، أو نحو موضوع سيء للتحكم في مصدر الخطر، أين تسقط أجزاء من الذات على الآخر، الأجزاء السيئة من أجل التخلص من الموضوع وهدمه، فيما يتم اسقاط الاجزاء الجيدة لتجنب الانفصال، أو تكون غطاء للأشياء السيئة الداخلية أومن أجل تحسين صورة الموضوع الخارجي. (Joseph Sandler, 1987, 27)

فحسب ميلاني كلاين وجوان رفيير فإن هوام التقمص الإسقاطي يظهر كثيرا في فئات مرضية مثل الفوبيا، وعمله يكمن في أن الفرد ينقل الجوانب السيئة من ذاته ويسقطها على الموضوع مما يشكل لديه قلق كلما حضر الموضوع أوتم تخيله.

وخلال كتاب الحب والكراهية، ترى ميلاني كلاين أن القدرة على تقمص شخص آخر هي عنصر من العناصر الأكثر أهمية في العلاقات الإنسانية بصورة عامة، وهي شرط لنحب حبا حقيقيا، وإذا كنا قادرين على أن نتقمص الشخص المحبوب فليس بوسعنا إلا أن نهمل عواطفنا الخاصة ورغباتنا، ونضحي

بها إلى حد معين، وأن نجعل ايضا اهتمامات الآخر وانفعالاته خلال بعض من الزمن تنتقل إلى المستوى الأول. (ميلاني كلاين، 1993، 71)

خلاصة القول؛ أن التقمص الإسقاطي هو إبعاد كل الصفات غير المرغوب وجودها في الذات إلى الخارج، وإسقاطها على مواضيع الحب الخارجية بهدف التحكم فيها ومحاولة تحطيمها لأنها تشكل منبع قلق شديد للذات.

3 ـ 2 ـ تقمص المعتدي L'identification à l'agresseur

انا فرويد Ana Freud: من خلال تقمص المعتدي يتحول الفرد من مهدَّد إلى مهدِّد.

تم التنظير لمفهوم تقمص المعتدي كميكانيزم دفاعي من طرف آنا فرويد Ana Freud 1936 وفيرنكزي Ferenczi 1913، وأبراهام Abraham 1924، الذين كتبوا عن التقمصات بشكل شامل بعد صدمة ما (فقدان، اعتداء) فالفرد عندما يخبَر وجود خطر خارجي يقوم بتقمص المعتدي، سواء بالرجوع إلى سجله العدواني أو بمحاكاة الشخص المعتدي عليه جسديا أو معنويا، أو بعض رموز القوة التي تميزه.

وتقمص المعتدي عملية نفسية يحاول الفرد من خلالها التكيف مع وضعية العدوان والتهديد الموجه نحوه، أين يتجه نحو تقليد العنف المرتكب ضده ويكرره ضد الآخرين في عملية لاشعورية للتخفيف من حدة مشاعر الخوف والضعف التي يعيشها، ومن خلاله يتحول من ضحية إلى معتدي.

وتصف **آنا فرويد** في كتابها الأنا وميكانيزمات الدفاع، أنواع مختلفة من الميكانيزمات منها تقمص المعتدي، الذي يلجأ إليه الفرد من أجل السيطرة على القلق من خلال الامتثال لسمات المعتدي، واستدخال صفاته، ويتخذ تقمص المعتدي ثلاث أشكال:

- تقمص حركات المعتدي: تظهر لدى الأطفال في تمثيل دور الغول أو الذئب مثل تكشير، مخالب، مظاهر تبث الرعب في الضحية؛
- تقمص عدوان المعتدي: الإفراط في تبني القسوة وفرضها على الأفراد الأضعف؛
- تقمص أدوات المعتدي: مثل السكين، سلاح ناري. (علي إبراهيم، 2014، 51)

وقد تجتمع هذه الأوجه الثلاث في ميكانيزم تقمص المعتدي، أوقد تظل جزئية، ولكن في الغالب أن يضع الفرد نفسه مكان من تقمصه بشكل إجمالي من حيث التجربة النفسية.

وفي نفس السياق يرى ابن خلدون في المقدمة أن: "المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب، في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها." (ابن خلدون، 2001، 184)

هذا المفهوم تناوله فيرنكزي Ferenczi في أعماله حول الصدمة النفسية والاعتداءات الجنسية على الأطفال، أين لاحظ تقمصهم للشخص الذي اعتدى عليهم. (Chagnon. J.Y, 2008, 89) أين يرى بأن الخوف هو السمة الأساسية في ميكانيزم تقمص المعتدي، فالفرد يحاول عند تعرضه للصدمة أن يحمي نفسه بالمقاومة، غير أن الخوف وسلطة الراشد يقوم بكف تلك المقاومة، مما يجعله يتجه نحو الاستسلام لإرادة المعتدي متناسيا ذاته، ومن خلاله تتضح حركتين: يقوم الفرد في الأولى باستدخال المعتدي لحماية نفسه من الخطر فيصبح المعتدي موضوعا داخليا وينسى هويته، وفي الثانية يظهر نضج سريع تحت ضغط الصدمة، أين ينشطر جزء من ذاته ويبدأ في تأدية الدور الوالدي مع الجزء الآخر. (Damiani, 1997, 100)

غير أنه في حالة التثبيت على التقمص مع المعتدي فان مصير سيرورة التقمص مآلها الفشل. (Ch. Houvenot, 2003, 223)

ويؤكد إريك فروم From أن ظاهرة تقمص المعتدي ترجع إلى عدد من الميكانيزمات، منها الميل إلى التخلي عن استقلال النفس البشرية ودمجها في شخص آخر للحصول على القوة التي تنقص النفس البشرية، وأشد الأشكال المميزة لهذا الميكانيزم نجدها في الرغبة في الخضوع، أي في الرغبات المازوشية والسادية بدرجات متفاوتة لدى الأسوياء والعصابيين، وكلا هذين الميلين هروب من وحدة لا تطاق. (إريك فروم، 1972، 66)

فالمازوشية تقوم بربط التقبل ليس كأمر نرجسي فقط بل كأمر شبقي، واسقاط المعاناة على الآخر تمكن من اعادة إستدخال المعاناة في الذات، وهذا نوع عادي من التقمص الإسقاطي، وهنالك امكانية أخرى أين يسمح الانشطار حب / كراهية من حفظ المحبوب، ويظهر هذا لدى بعض المراهقين الذين يحافظون على كراهية المربيين وحفظ حبهم لآباءهم. (M. Betrand, 2009, 14)

3 ـ 3 ـ مرحلة المرآة le stade de miroir

جاك لاكان J Lacan: في أول إغواء بالصورة، تُرسم أولى لحظات التقمص.

قدم جاك **لاكان** بحثه الشهير حول مرحلة المرآة تحت عنوان: "مرحلة المرآة بوصفها مُشكِّلة لوظيفة ضمير المتكلم المنفصل أنا"، هذه المرحلة قصد بها الفترة التي يمر بها نمو الفرد ما بين الشهر السادس والشهر الثامن عشر، عندما ينظر لصورته في المرآة ويبرز تساؤل أولى حول ملامح تلك الصورة.

إن مرحلة المرآة ليست لحظة من لحظات النمو النفسي فحسب، بل وظيفة لعلاقة الفرد بصورته في المرآة التي تمثل النموذج الأول للأنا، فالفرد يخبر في مرحلة المرآة رؤية ذاته وانعكاساتها وتصور ذاته على نحو مختلف عن حقيقتها، وهو منظور أساسي يشيد حياته التخيلية.

ويرى لاكان بأن نظرة الفرد للشكل الكلي للجسد في المرآة، تعطيه سيطرة متخيلة على جسده، وهو أمر سابق على السيطرة الواقعية على الجسد. (نيفين زيور، 2000، 108)

وهو يصف أثر العلاقة المرآوية بالإغواء Captation، فالصورة المرآوية تسحر الفرد وتغويه، وهي نقطة تحول وتطور لأن للفرد سيطرة على صورته في المرآة، أي يحصل على ذاته، وهكذا فان ما يحدث هو الحصول على السيادة والسيطرة على ذاته.

"إن اكتشاف الطفل لصورته في المرآة يمثل المهد لكل التقمصات التي تحصل فيما بعد" (حب الله عدنان، 2004، 205)، فالصورة التي يكتسبها الفرد لها أثر عميق على ما يحدث من تغيرات في ذاته تنبع من صدمة الاكتشاف، بعد كان غارقا في التجزئة الجسدية، ولا يملك فكرة موحدة ومنسقة عن جسده.

فالفرد يولد في حالة جسدية غير ناضجة، جسده مقطع مبعثر، وتتميز رغباته البدائية بحالة من الفوضى، ومن خلال صورة شخص آخر، يلمح الطفل إشارة تكامل جسده ويحصل على أولى قدر من التحكم في حركته، أين تصبح مرحلة المرآة موحدة للجسد الممزق. (نيفين زيور،2000، 109)

ويبقى الفارق بين الشكل التصوري وواقع التجزؤ الجسدي يرافقه طوال حياته كمثال يصبو إلى الوصول إليه باعتباره النواة المكونة للأنا المثالي.

ويعلق **لاكان** أهمية كبيرة على مرحلة المرآة، على اعتبار أنها تمثل المرحلة الأولي التي يتم من خلالها تقمص الشكل الخارجي للجسد، فيخرج بواسطتها من حالة التمزق ويحقق وحدة وظائفه.

تمكن هذه المرحلة من ترميز الجسد كنواة للأنا، وتحدد معالمه في المكان والزمان، وتصبح هذه الصورة بمثابة التقمص النرجسي الأول الذي يعكس الذات في ازدواجية من حيث تطابق الوعي على الصورة وتطابق الصورة على الوعي، في نشوة نرجسية تحاول الإفلات من الزمان تصبو إلى الاتحاد. (حب الله عدنان، 2004، 71)

ان مرحلة المرآة ليست إلا خطوة أولى نحو الاستقلالية المتدرجة للفرد، تقوده نحو التعرف على صورة قابلة لأن يتقمصها وتسمح له بعد ذلك بأن يكون كفرد، وأن يدرك الأم كموضوع شامل. (فكتور سميرنوف، 1985، 77)

فتكون الأنا مرهون بعلاقة ثنائية يصبح حبيسها، هذه المرحلة التصويرية البحتة لها طابع خيالي وهمي، قبل أن تصبح نقطة انطلاق لتكوين نواة الأنا الذي يخاطب بها الآخر، فالطفل لا يرى في الآخر أو صورة المرآة أو في أمه إلا الشبه الذي يميزه عن ذاته، وهذا لا يدعو للغرابة لمن يراقب الأطفال في هذه المرحلة، فاذا ضُرب طفل آخر يبكي كما لو ضرب هو، وإذا أعتدي على أحدهم يبكي كما لو أعتدي عليه، فهذا يشير إلى أن الطفل لا يميز بين صورته وصورة الآخر التي أصبح مرهونا بها.

ويتساءل **لاكان**، ماذا دهى الطفل لكي يؤخذ بهذه الصورة التي يصادفها في المرآة وتصبح تلازمه مدى الحياة؟

يجيب: بأن الطفل عندما يلتقي بصورته في المرآة يشعر لأول مرة بالغرابة محاولا لمسها وتحديد معالمها كما لو كانت آخر، وبعدها يعمد إلى اللعب بهذه الصورة؛ يتحرك تتحرك أمامه، يخفيها كما يظهرها، يضحك عليها ثم يضربها، إلى أن يتمكن من السيطرة عليها، سيما بعد أن يأتيه الاعتراف من آخر بأن هذه الصورة هي أنت. (حب الله عدنان، 2004، 70)

بعد اكتشافه لصورته يظهر فرحة ونشوة كبيرتان بمجرد أن تتراءى أمامه، فيصبح مأخوذا بها، يشير إليها كطرف ثالث يعرف عنها باسمه، وتصبح هذه الصورة المثال المتكامل الذي يصبو إليه في ظل عدم تكامل نموه في هذه السن.

وحسب لاكان تتحقق مرحلة المرآة من خلال ثلاث مراحل:

- المرحلة الأولى: يدرك الطفل صورته في المرآة، فيرى ذاته منعكسة بوصفها كائنا حقيقيا، يمكن الاقتراب منه، ويبدي أمام هذه الصورة إثارات مرحلية، إلا أن كل شيء يبدو أنه يشير إلى وجود هذه

المرآة، وهذه الصورة هي صورته التي يتعرف عليها بوصفها خاصة بآخر، وصورة الآخر هذه تدل على أنها تلك الخاصة بجسده؛

- المرحلة الثانية: يدرك الفرد أن الآخر في المرآة ليس كائنا واقعيا، وإنما مجرد صورة ولا يسعى إلى الإمساك بالصورة أو البحث عن الآخر خلف المرآة، فهو يعرف أنه لا يوجد شيء خلف المرآة؛
- المرحلة الثالثة: التعرف على الآخر ليس بوصفه صورة فحسب، وإنما الآخر هو حاصل صورته، هنا يدرك الطفل أن الانعكاس في المرآة هو صورة وهذه الصورة هي له. (نيفين زيور، 2000، 130)

من خلال هذه المراحل وتفاعل الفرد مع الصورة، تلعب صورة الجسد مشيد لهوية الفرد بواسطة الجسد الحقيقي، ومن خلال هذه السيرورة يقوم الطفل بتقمص شكل كلي لجسده في صورة خارجية، ثم يتقمص تلك الصورة، والتي رغم أنها ليست هي ذاته، إلا أنها تسمح له بالتعرف على ذاته، هذا التعرف يتحقق على مستوى التخيل ومن هنا يصبح التقمص الذاتي البدائي لمرحلة المرآة هو مصدر كل التقمصات الذاتية التالية للفرد.

3 ـ 4 ـ الأم المرآة la mère miroir

وينكوت Winnicott: قوة الطفل الفطرية لا تمكنه من أن يغدو طفلا متكاملا إلا إذا اقترنت بالعناية الأمومية.

طور وينكوت تنظيره الخاص حول نشأة الجانب النفسي للفرد، حيث يرى أن مفهوم الاعتماد لدى الطفل هو مفهوم أساسي، فالملاحظة والنظرية يجب أن تتمحور حول الطفل في ارتباطه بالمحيط، وليس على مجرد الجانب الجسمي للفرد فقط، ومن خلال هذا التنظير قام باقتراح نظريات حول نمو التميز والتفرد النفسي والجسدي لدى الطفل، أين وضع في أولى المقام مفهوم التقمص.

من خلال الاهتمام الأمومي الأولي، تقوم الأم بتقمص الطفل الصغير لتستطيع أن تتصرف بطريقة جد تكيفية مع طفلها، هذا الاهتمام الذي يظهر من نهاية الحمل وخلال الأسابيع التي تعقب الولادة، تسمح للأم أن تكون مخلصة لطفلها، وتتناقص شدة هذا الاهتمام مع الحركية الجسدية للطفل، أين يتمكن من اكتساب مشاعر مستمرة كافية بوجوده. (B. Petrovic, 2005, 21)

ويعد وينيكوت من الرواد الذين ركزوا بشكل هام على الجانب العلائقي بين الأم والطفل في تطور شخصية الطفل، أين يرى بأن الأم عامل مسهل لنمو طفلها، فالطفل خلال علاقة الاعتماد الطفلية لا يستطيع تقدير نوعية العناية التي تقدمها له الأم، هو فقط قادر على أن يتمتع بها أو أن يتألم من نقصها،

في هذه المرحلة يجب على محيط الطفل أن يجيب على حاجات الطفل النفسية والجسدية بشكل يهيأ علاقة يستطيع الطفل الاعتماد عليها، فالاهتمام الذي تعطيه الأم يجعلها حسب تعبير وينيكوت "جيدة كفاية" La mère suffisamment bonne، أي بشكل يسمح للطفل بالتأقلم مع الحياة دون خوف على صحته النفسية.

هذه الأم الجيدة كفاية يجب أن تستجيب بشكل فاعل لحاجات الطفل، ففي البداية تكون استجاباتها شاملة، ثم مع نمو الطفل وقدرته على مواجهة المحيط، عليها أن تتكيف مع هذا النمو ويصبح اهتمامها بحاجاته أقل، والقدرة على التغير الذي يعيشه الطفل.

وخلال فترة الاعتماد هذه يُبنى الأنا من خلال التجارب التي تسمح للطفل بتكوين عالمه الداخلي وعلاقاته مع المحيط، وتحديد صورة جسده وتمييز نفسه عن الغير وتمييز أشياءه عن أشياء الغير، من هنا يكوّن الطفل حقيقته النفسية. (فكتور سميرنوف، 1985، 181)

ويتكلم **وينيكوت** عن الأم المرآة la mère miroir، أين يرى بأن ردود فعل الأم تجاه الاثارات المؤقتة للطفل تعد بمثابة دليل على وجوده، فهي تسمح له بأن يحس ويشعر بالوجود مثل جزء منها، فالأم هي وظيفة مرآتية une fonction de miroir، وهذا يشير إلى التقمص الأولي في نظرية وينيكوت التي قام ببناءها انطلاقا من أعمال **جاك لاكان** حول مرحلة المرآة، ولكن بطريقة مختلفة، فثبات ودوام رد فعل الأم نحو اسقاطات طفلها يسمح له أخيرا بادراك وجوده واخلافه عنها. (B. Petrovic, 2005, 21)

ويركز **وينيكوت** أيضا على مفهوم الذات أين يرى بأنه عندما لا تكون الأم جيدة كفاية، يكون هنالك خطر نمو ذات زائفة Faux self لدى الطفل، ويرى بأن الذات الحقيقية Vrai self هي الشخص الذي يُبنى بشكل أساسي من خلال نشاط نزعاته الفطرية (Winnicott, 1970, 125)، وهي مرحلة بدائية من السلوك التلقائي والفكرة الشخصية، ووحدها الذات الحقيقية يمكن أن تكون مبدعة وتحس أنها كذلك، فيما تقوم الذات الزائفة بإخفاء الذات الحقيقية في المحيط، فهي حالة إحساس بالتصنع والفراغ، لأنها تقوم بإرصان مجموعة من العلاقات المصطنعة بواسطة الإستدخال، لتصل بطريقة ما إلى أن تظهر كحقيقة، فالطفل يستطيع أن يتشبه بالضبط بالأم أو أي أحد يشغل مكانهما في تلك المرحلة. (B. Petrovic, 2005, 22)

ويرجع سبب ظهور ذات زائفة إلى التفاعلات المبكرة، أين تكون الأم غير جيدة كفاية، ففي الوقت الذي يجب عليها أن ترد على السلوكات التلقائية لطفلها، فهي تحجب عاطفتها ولا تعطي أي معنى

لامتثال الرضيع، هذا الامتثال يفهم كضرورة للرضيع ليتمكن من تقمص الأم، وهو يخاطر بفقدان حبها إذا لم يقم بذلك. (B. Petrovic, 2005, 22)

من خلال فكر **وينيكوت** يظهر لنا بأن تجربة الاعتماد التي يرتكز عليها الطفل في بناء أناه وتكوين المواضيع، فالاهتمام الأمومي لا يقتصر فقط على الاعتناء بالطفل فقط، بل يعد كتجربة ذاتية شاملة تعطي للطفل الإحساس بالثقة الضرورية لبناء استقلاليته، ويبدو لنا وجود حتمية تقمصية يجب أن يقوم بها الطفل، حيث عليه أن يمتلك في خاصيته عناصر نفسية كعلامة على امتثاله، وانكار وجوده المستقل، هذه الطريقة يقوم بها الطفل أين يكون مرغما على تعريف نفسه بواسطة الخارج، أي بواسطة الأم والمحيط الخارجي.

لقد رأينا من خلال هذا التناول بأن اهتمام الباحثين بمفهوم التقمص قد أعطاه ثراءً كبيرا، وسمح لنا بمعرفة أدق بطريقة نمو وتشكل الشخصية، ففي الوقت الذي ركزت ميلاني كلاين على التقمص الاسقاطي الذي يسمح بإسقاط جانب من الذات على الخارج، جاءت أنا فرويد وفيركنزي بمفهوم تقمص المعتدي ليشير إلى تقمص صفات شخص آخر في موضع قوة، فيما ركز جاك لاكان على أهمية مرحلة المرآة التي تسمح للطفل ببناء صورة عن ذاته، ويأتي وينيكوت ليبين أهمية العناية الأمومية في تكون شخصية لطفل السوية، وبعد هذا سوف ننتقل إلى عرض تطور السياق التقمصي من خلال مراحل النمو النفسي الجنسي فيما يلي:

4 ـ تطور السياق التقمصي:

يمر السياق التقمصي بمراحل متعددة لها علاقة بالحياة الجنسية الطفلية التي جرى تجاهلها لوقت طويل بسب الأحكام المسبقة التي تهدف إلى الحفاظ على أسطورة "براءة الطفل"، وبسبب عدم معرفة مظاهر هذه الحياة أيضا، حيث يرى فرويد بأن النسيان الطفلي يلعب دورا هاما في إهمال الاهتمام بالحياة الجنسية في فترة الطفولة.

ويستند فرويد في دراسته للحياة الجنسية لدى الطفل على ثلاث نقاط أساسية:

- الحياة الجنسية لا تبدأ عند البلوغ، وإنما تظهر عقب الميلاد بمظاهر واضحة؛
- من الضروري التمييز بين مفهومي الجنسي والتناسلي، فالأول هو المفهوم الأشمل، ويضم أنواعا متعددة من النشاط لا شأن لها بالأعضاء التناسلية؛

- تتضمن الحياة الجنسية وظيفة الحصول على اللذة من مناطق جسمية، وهي وظيفة تترتب فيما بعد لخدمة التناسل. (فرويد، 2000، 35)

فيمكننا أن نميز علامات للنشاط الجنسي ترتبط بالظواهر النفسية التي نجدها فيما بعد في حياة الحب لدى البالغين مثل التعلق والغيرة.

وهكذا فإن **فرويد** يحدد الحياة الجنسية الطفلية باعتبارها كل ما يتعلق بنشاطات الطفولة الأولى الهادفة إلى اللذة التي يمكن الحصول عليها (فكتور سميرنوف، 1985، 98) فمفهوم الحياة الجنسية في التحليل النفسي لا يقتصر على وظائف الإنجاب والنشاط التناسلي فحسب، بل يشمل مجموعة من السلوكات المرتبطة بمصيرها اللاحق باللذة والتناسلية.

إن التصور الذي صاغه التحليل النفسي عن مراحل النمو النفسي– الجنسي، هو تصور نسبي يسهم في توجه أفضل نحو فهم الوقائع النفسية من الناحية العملية، حيث تنساب المرحلة تلو الأخرى، ولدراسة تلك المراحل سوف نبدأ بتوضيح أساسي في هذا الشأن يخص الجانب النفسي للطاقة الجنسية والذي يسمى الليبيدو libido، وهو مشابه للجوع بشكل عام، إنه يشير إلى القوى التي تتظاهر بها النزوة الجنسية، فحسب **فرويد** في النظرية العاملة للأمراض العصابية فاللبيدو هو "طاقة الدوافع الجنسية التي تعمل في الحب وهو يتعلق بالمظهر الدينامي للحياة النفسية للدافع الجنسي." (فرويد، 1962، 212)

وتجدر الإشارة الى أنه رغم وجود مناطق لذة ذاتية لدى الطفل تتغير مع الزمن، فإن الحياة الجنسية الطفلية تحوي تراكيب تدفعها للبحث عن أشخاص آخرين كموضوع جنسي، فالميل إلى العدوان والنظر تظهر كدوافع مستقلة يدعوها **فرويد** بالدوافع الجزئية، هذه الميول تدمج فيما بعد في الحياة الجنسية لدى الراشد.

فيما يلي سوف نعرض مراحل النمو النفسي – الجنسي، حسب النظرية التحليلية، وكيفية بناء الشخصية من خلال ميكانيزم التقمص.

5 ـ مراحل النمو النفسي الجنسي:

عرفت النظرية التحليلية مفهوم المرحلة اللبيدية بكونها مرحلة نمو مختصة في تنظيم الليبيدو تحت أولوية منطقة شبقية وسيطرة نمط من العلاقة الغيرية، وقد قام فرويد في كتابه ثلاث مباحث في نظرية الجنس trois essais sur la sexualité بتوضيح تطور تلك المراحل مميزا مراحل قبل تناسلية، تدل على سيطرة مناطق محددة على مركز اللذة، ومراحل تناسلية، ومفهوم المرحلة الذي تتكلم عنه النظرية التحليلية يركز على تتابع المناطق التي يركز عليها الليبيدو وأشكال العلاقات التي تستمد اللذة من الذات أو من المواضيع الخارجية.

5 ـ 1 ـ المراحل قبل التناسلية Les Stades Prégénitaux

5 ـ 1 ـ 1 ـ المرحلة الفمية La Phase oral

أول منطقة تظهر بوصفها منطقة تنشد اللذة وتعرض مطالبها اللبيدية على النفس هي الفم، وتبدأ هذه المرحلة من الميلاد إلى الفطام (J. Bergeret, 1979, 9)

إن العلاقة الوثيقة بين الطفل وثدي الأم ينظم المرحلة الأولى من الحياة العاطفية حول الوظيفة الغذائية، فالتغذية تشمل وظيفتين مزدوجتين، تشبع حاجة فيزيولوجية وتثير لذة ليبيدية، ويكون لكلا النشاطين موضوع واحد، ويعتبر **فرويد** أن لذة الرضاعة تثير انتباه الطفل ثم تجعله ينام، فعندما نرى الطفل المشبع يترك الثدي ويتراخى بين ذراعي أمه وينام بابتسامة سعيدة، لا يمكن أن نتوانى عن القول بأن هذه الصورة تبقى نموذج الإرضاء الجنسي الذي سيعرفه فيما بعد. (فرويد، 1983، 100)

إن الهدف في هذه المرحلة يتمثل في إدماج الموضوع، ونموذج أولي لما سيكون عليه لاحقا التقمص الذي يلعب دورا هاما في النمو النفسي. (فرويد، 1983، 72)

وأثناء هذه المرحلة يكون من الصعب التمييز بين حب الموضوع والتقمص، ونستطيع فقط أن نفترض أن حب الموضوع بالميول الشبقية يأخذ فيما بعد يصدر عن الهو الذي يشعر وكأنها حاجات، ويفطن الأنا الذي لا يزال ضعيفا إلى حبه للموضوع، وهو إما أن يستسلم لهذا الحب، وإما أن يحاول أن يقي نفسه منه بعملية الكبت فالتقمص هو الشرط الوحيد لتخلي الهو عن موضوع حبه (فرويد، 1982، 48، 49)

ومن أكثر المظاهر التي نلاحظها في هذه المرحلة هو ظاهرة مص الإبهام، حيث ينحرف الإرضاء من نشاط مرتبط في الأصل بأخذ الغذاء، وينفصل عنه ليصبح البحث عن لذة مستقلة عن الوظيفة الغذائية (فرويد، 1983، 55)

ويظهر المص لدى الرضيع والذي قد يستمر خلال مراحل نمو أعلى، وقوامه حركة إيقاعية تكررها الشفاه دون أن تهدف إلى تناول الغذاء، ومن الجلي أن الطفل ينشد من وراء هذا الفعل لذة سبق وأن خبرها، وهي تعود لذاكرته ويسعى إلى تجديدها، ذلك النشاط الأولي والأساسي بالنسبة للطفل أي مص ثدي الأم أو ما ناب عنه، وهو الذي علمه ذلك، ومنذ ذلك الحين اكتسبت الشفتان دور المنطقة الشبقية.

ويميز أبراهام Abraham 1966 بين مرحلتين ثانويتين ضمن المرحلة الفمية هما:

- مرحلة ما قبل تناقض العاطفة: يتعلق النشاط في هذه المرحلة كليا بالمص للحصول على اللذة، وهي تتلاءم مع الإدماج الهوامي للشيء الذي يصبح فيما بعد نموذجا للسياق التقمصي، فالطفل غير قادر بعد على تمييز الشيء الخارجي عن جسمه، حيث لا يوجد تمييز بين الطفل وثدي الأم الذي يغذيه، في هذه المرحلة لا يعبر الطفل عن حب ولا عن كراهية، فنفسه حرة من أي تناقض عاطفي.
- مرحلة التناقض العاطفي: تبدأ مع ظهور الأسنان الأولى حوالي الشهر السادس، حيث يكتمل المص شيئا فشيئا بالعض، فالأسنان هي الأداة الأولى التي يمتلكها الطفل لمواجهة العالم الخارجي بحيوية، وتتوافق هذه المرحلة الفمية – السادية مع ظهور المشاعر المتناقضة والمتعارضة تجاه الموضوع الذي يصبح موضوع الإشباع الليبيدي وموضوع للعدوانية أيضا.

مع نهاية المرحلة الفمية تظهر أزمة خاصة، هي أزمة الفطام، مما يمكن الطفل من تثبيت علاقة التغذية ويبدأ هكذا بالشكل الأولي لصورة الأم التي ترتكز عليها المشاعر الأكثر بدائية التي ترتبط الفرد بالعائلة ومن ثم بمحيطه الاجتماعي، فحسب **جاك لاكان** فإن الفطام هو في الغالب صدمة نفسية، يترك في النفس الإنسانية الأثر الدائم للعلاقة الإحيائية التي يوقفها، فهذه الأزمة الإحيائية ترافقها أزمة نفسية. (فكتور سميرنوف، 1985، 102)

ويؤثر الشكل الذي تحل به أزمة الفطام على إقامة العلاقات الغيرية، أين توصل **أبراهام** إلى تأثير التجارب الفمية على تكوين طبع الفرد، حيث اكتشف طبعا فميا تختلف أشكاله من سمات الشخصية

المطبوعة بالتفاؤل والثقة إلى مظاهر التبعية والعدوان وقلة الصبر، وذلك حسب التجربة العاطفية المعاشة خلال التجارب الفمية الأولى. (فكتور سميرنوف، 1985، 104)

5 ـ 1 ـ 2 ـ المرحلة الشرجية La Phase Anal

سمى فرويد الطور قبل التناسلي الثاني لانتظام الليبيدو بالمرحلة السادية – الشرجية التي تبدأ مع السيطرة على العضلات عند عملية الإخراج، وبالتالي لذة الإخراج أو الاحتفاظ بالمحتويات المعوية التي تكون خاضعة لتحكم الطفل، في نفس الوقت الذي تبدأ فيه الخطوات الأولى، أي عندما يتمكن من السيطرة على العضلات والمشي مما يعبر عن بداية الاستقلالية، وتبدأ هذه المرحلة من العام الثاني إلى الثالث. (J. Bergeret, 1979, 13)

وسميت هذه المرحلة بالسادية الشرجية نظرا لرغبة الطفل في ممارسة نوع من السيطرة على الجسد وعلى الآخر، فحسب **فرويد** يلعب المحتوى المعوي بالنسبة للغشاء المخاطي دور الجسم المهيج ذو دلالات هامة، فالطفل يعده بطبيعة الحال جزءا من جسده، وهو في نظره هدية إن قدمها يثبت بها طاعته، وإن أمسكها عصيانه وعناده، ما يمكننا من القول بان ذلك المحتوى يصبح موضوعا للتبادل مع الآخر والتعبير الرمزي. (فرويد، 1983، 61)

ويضيف **فرويد** في موجز التحليل النفسي، أن الدوافع السادية تزداد بشدة خلال هذه المرحلة أين تدمج الدوافع العدواني في الليبيدو، على اعتبار أن السادية هي مزيج من الدوافع اللبيدية الخالصة والدوافع العدوانية. (فرويد، 2000، 37)

الملاحظ في هذه المرحلة أن علاقة الطفل بالموضوع تتسم بطابع التملك، فكل موضوع يرغبه يمارس عليه حقوقه، وكل موضوع يتحول إلى ملكيته الأكثر بدائية، أي برازه، أين تكون هذه العلاقة ذات تناقض فهو يمكن أن يحتفظ بهذا الموضوع لنفسه أو أن يحبسه، ومن جهة أخرى يمكن أن يرفض الموضوع بإبعاده أو طرحه. (فرويد، 1983، 72)

ومن خلال كتابه تحليل الأعصبة القهرية، رجل الجرذان، يرى **فرويد** أن هناك سمات لدى الأشخاص الذين لعبت عندهم المرحلة الشرجية دورا خاصا، تلك السمات هي البخل، النظام، العناد، التصلب في الرأي، حيث أن النظام هو استمرار لمتطلبات الوالدين، والعناد هو تسوية بين العدوانية والسلبية، وتصلب الرأي يشكل انتفاضا ضد الممنوعات.

5 ـ 1 ـ 3 ـ المرحلة القضيبية La Phase Phallique

مع بدايات السنة الثالثة، يتخلى الطفل عن التركيز الليبيدي على المنطقة الشرجية ويستبدلها باهتمامات أخرى جديدة تؤكد اهتمامه بالمنطقة التناسلية، وهي تشير حسب **فرويد** على نحو ما إلى الشكل النهائي للحياة الجنسية بل وتشبهها شبها كبيرا، حيث يكتب: "مع هذه المرحلة تبلغ الجنسية الطفلية ذروتها وتقترب من اضمحلالها، ومن الآن فصاعدا يختلف مصير الصبيان عن مصير البنات، فقد بدا الفريقان ونشاطهما الذهني موقوف على البحث الجنسي، وكلاهما اشترك في افتراض وجود القضيب عند الجميع، ولكن طرق الجنسين تفترق الآن." (فرويد، 2000، 38)

وتتميز هذه المرحلة بالاستمناء الطفلي لدى الذكر المصحوب بهوامات من النوع الجنسي، أما البنت فتدرك فشلها في منافسة الطفل وتدرك خلوها من القضيب، أو على الأصح تفاهة بظرها، مما يخلف أثارا دائمة في نموها. (فرويد، 2000، 39)

وحسب **فرويد** هناك ثلاث أطوار للاستمناء الطفلي، أول هذه الأطوار يناظر زمن الرضاعة، والثاني يقابل الفترة القصيرة التي يتفتح خلالها النشاط الجنسي حوالي السنة الرابعة، والطور الثالث هو وحده الذي يتطابق مع استمناء البلوغ التي استأثر وحده حتى الآن باهتمام الباحثين، وهذا النشاط الجنسي يترك آثارا عميقة لا شعورية في الذاكرة، ويبدو أنه أحد الأسباب لفقدان الذاكرة الطفلية التي ترتبط بفاعلية هذا السن وبهواماته الجنسية (فرويد، 1983، 63)

تمثل هذه المرحلة فرصة أولية لاختيار الموضوع، حيث يكتشف الطفل هويته الجنسية، يظهر خلالها فضول جنسي طفولي يتم من خلاله إدراك الفروق التشريحية بين الجنسين، فبعد تحرياته يدرك الطفل الحقيقة العضوية للقضيب ويبدأ في طرح تساؤلات حول وجوده العضوي لديه ولدى الآخرين، وفي نفس الوقت يبحث عن أصل الأطفال وكيفية الحمل والولادة، ففي هذه المرحلة نلاحظ ميكانيزم التقمص مع واحد من الوالدين وأحيانا مع كلاهما، والبقاء في وضعية سلبية، وكذا إسقاط عدوانيته على الآخرين وهو ما يظهر في السلوك السادي والضوضاء ومشاعر الرفض لأن يكون ضمن علاقة. (J. Bergeret, 1979, 20)

في هذه المرحلة يعاني الطفل من أعظم صدمة في حياته عندما يلتقي بالتهديد بالخصاء، فيما يلي سوف نشرح هذا الأمر بالتفصيل:

5 ـ 1 ـ 4 ـ عقدة الخصاء Complexe de Castration

تتحدد عقدة الخصاء انطلاقا من اكتشاف الفرق التشريحي بين الجنسين، وتكون متقاربة مع عقدة أوديب، وتمثل المخرج من هذه العقدة، وقد لمح فرويد إلى هذه العقدة في كتابه تفسير الاحلام 1990، دون أن يعطيها دور مهم في البنية النفسية إلا فيما بعد في حالة هانز الصغير.

ويعتبر **فرويد** أن عقدة الخصاء جزء من النظرية الجنسية الطفلية التي تعتقد بأن العالم مكون من جنس واحد يمتلك القضيب، وتتزعزع فيما بعد هذه النظرية عندما يتبين أن هنالك طرفا آخر ينقصه هذا العضو، فتبدو له أولوية الذكر عندها يأخذ هذا العضو يأخذ اهتمامه ويجعل منه موضوعا شبقيا ولا يمكن أن يتصور أن هنالك جنسا آخر ينقصه هذا العضو. (فرويد، 1983، 69)

وموضوع الخصاء يستمد طاقته من مورد آخر مرتبط جنبا إلى جنب بصورة الأنا، فكل تهديد يطال القضيب يضع الأنا في خطر. (حب الله عدنان، 2004، 111)

أما بالنسبة للبنت، ففي أول مرة تسمح لها مشاهدة الجهاز التناسلي للأخ أو أي طفل آخر تعرف أنها محرومة من هذا العضو، وتتمنى الحصول عليه، هذه الرغبة تحصيل حاصل لمعرفة التباين بين الجنسين، وله آثاره البعيدة في التكوين الجنسي للمرأة، لهذا الاكتشاف آثار على البنت هي:

- جرح نرجسي: شعور بالنقص تجاه الرجل مع رد فعل احتقار للرجال عاملة، ومن هنا طور **أدلر** نظريته حول عقدة النقص متنكرا لمفهوم عقدة الخصاء؛
- الغيرة: قد لا يكون لها ما يبررها في الواقع الخارجي، وقد تكون منقولة إلى موضوع آخر؛
- عدوانية تجاه الأم: على اعتبار أنها أخرجتها إلى هذا العالم دون أن يتم تكاملها مثل الطفل الذكر، فقد ولدتها ناقصة. (حب الله عدنان، 2004، 115)

يأخذ هوام الخصاء ينتقل إلى علاقات الطفل بوالديه، فعندما يعاكس الأب رغبات الطفل في مجالات تربوية، ويحاول أن يضع حدا لنزواته، تتكون لدى الطفل فكرة أن الأب سيتصدى حتما للرغبة المحرمة نحو الأم، وقد يكون فقدان الذكر هو القصاص الذي سيطاله نتيجة هذا الانتهاك، وأمام هذا التهديد يصاب الطفل بارتباك شديد وصدمة تضعه أمام خيارين، إما الحفاظ على استثماره النرجسي لعضوه، وإما الحفاظ على تعلقه الشبقي بالأم، وأمام هذا التأرجح ينتصر الخيار الأول إذا سارت الأمور بطريقة سوية، فيتخلى عن علاقته الشبقية بالأم ويحتفظ بعضوه بما يمثله من ثقل نرجسي، وهكذا يتقمص

الأب كنتيجة حتمية لحل عقدة الخصاء، ويدمج سلطة الأب في ذاته عبر تركيبة نفسية تمثل النواة الأولى للأنا الأعلى. (حب الله عدنان، 2004، 117)

فالتقمص يأتي لإصلاح الإحباط والجرح النرجسي الذي تعرض له الطفل لاستحالة تحقيق رغباته اللبيدية، هذه الاستحالة مرتبطة بالممنوع الذي يحول دون تحقيق الرغبات مع المحارم، هذا الممنوع يعني التهديد بالخصاء. (R. Perron, M. Perron– Borelli, 1994, 97)

وحسب **دولتو** Dolto هنالك فرق بين قلق الخصاء وعقدة الخصاء، فالقلق الذي يستيقظ عند ملاحظة اختلاف الجنسين هو قلق واع ينشأ عندما يتبين للطفل نقص القضيب عنده أو عند غيره، وهو ينطلق من تصور خاطئ للواقع – هوام البتر– إنه تفسير لا يفلت منه أي ولد لأن الخطر الذي يخترعه يبرر من جهة بالقوة السحرية التي يرجعها للراشد، ومن جهة أخرى بدونيته الحقيقية تجاههم، وفي هذه الأزمة يعي الطفل ضيقه ويحاول رفضه.

إن عقدة الخصاء لا تظهر من التهديدات الحقيقية التي يعد حدوثها أقل احتمالا، حيث صيغت تفسيرات أخرى لتحديد أصلها، أين يرى البعض في هوام الخصاء إحياء للتجارب الصدمية القديمة التي تعرض لها الطفل، سحب ثدي الأم والفطام، متطلبات المرحلة الشرجية، صدمة الميلاد التي قام بالتنظير لها Otto Rank، كل هذه التجارب تدور حول تصورات أو مواضيع.

وقد يأخذ هوام الخصاء رموزا متعددة في حياة الراشد الواقعية مثل: الخوف من المستقبل، الخوف من المرض، الخوف من العمليات الجراحية، وفي الحلم رموزا متعددة مثل: قلع الأضراس، بتر الأطراف، العماء كما حصل في أسطورة أوديب، وقد يلبس الأب المهدِد بالخصاء صور مقنعة مختلفة مستقاة من الأساطير أو المخاوف الطفلية أو الحيوانات كما يحصل في فوبيا الحيوانات. (عدنان حب الله، 2004، 111)

إن هذه المراحل قبل التناسلية الثلاث التي تكلمنا عنها لا تتميز عن بعضها البعض تميزا دقيقا، فقد تظهر واحدة منها إلى جانب أخرى وقد تتداخل معها، أو قد تتلاقى جميعها، وخلالها يأخذ كل عضو في البحث عن اللذة لنفسه.

5 ـ 2 ـ المراحل التناسلية Les Stades Génitaux

5 ـ 2 ـ 1 ـ عقدة أوديب Complexe d'Oedipe

عقدة أوديب هي أزمة يصبح الطفل خلالها لأول مرة منخرطا في مثلث عاطفي، أين تصطدم رغبته الجنسية بأحد الوالدين المختلف عنه جنسيا، مع رغبته في إزالة الوالد من نفس الجنس باعتباره منافسا وعائقا في وجه هذا الحب، هذا هو الشكل الايجابي للأوديب الذي قد يظهر في بعض الظروف بالشكل السلبي. (فكتور سميرنوف، 1985، 189)

هذان الشكلان يتعايشان بدرجات مختلفة في كل أزمة أوديبية، وإن انجذاب الطفل تارة نحو الأم وتارة أخرى نحو الأب هو مظهر ثابت خلال هذه المرحلة، مرحلة تتغلب فيها الهوامات اللاشعورية على عناصر الواقع.

تظهر هذه العقدة ما بين السنة الثالثة والخامسة، حيث تبلغ ذروتها، لكي تنحل ويدخل بعدها الطفل مرحلة الكمون، وتعود لتستيقظ في مرحلة المراهقة لتنتقل إلى اختيار موضوع جنسي جديد، ويحدد الشكل الذي تنحل به هذه العقدة نوعية العصاب أو الحياة السوية وما ينتج عنها من رغبات سوية أو منحرفة، "فأوديب يبنى الراشد ويهيكله." (R. Perron, M. Perron– Borelli, 1994, 20)

وقد تكلم فرويد عن هذه العقدة من خلال كتاباته حول الأحلام، أين توصل لهذا اكتشافه هذا من خلال العمل العيادي مع العصابيين وأيضا من خلال تحليله الذاتي.

وفي كتاب تفسير الأحلام 1900 وفي فصل حلم موت الأحباء تساءل **فرويد** عن السبب الذي يجعل من الفرد يوجه عداء لاشعوريا لوالديه، رغم أنه يكن لهما الحب والولاء، وينطلق من مبدأ أن الحياة الطفلية تتميز بنرجسية كبيرة لأنها لم تدخل الحياة الاجتماعية بعد، وهكذا يتمنى الطفل زوال كل شخص يقف عائقا أمام تحقيق رغباته، وهنا يتطرق **فرويد** لأول مرة إلى الحديث عن أسطورة الملك أوديب الذي قتل أباه لايوس ملك تيبيس وتزوج أمه يوكستا، على غير علم منه، هذا هو قدره لأن النبوءة قد حددت ذلك قبل ولادته دون أن يكون له الخيار، وعند معرفته بذلك دفعته جريمته إلى ترك الجاه والمُلك وفقئ عينه ليسير معدما تائها في البراري.

فحسب **فرويد** فان أوديب الملك عندما قتل أباه وتزوج أمه يحقق أمنية كل طفل، وبشاعة هذا العمل هوما يدفع بالكبت إلى أن يحول دون شعورنا بذلك، فوضعنا – حسب **فرويد**– لا يختلف عن وضع

أوديب، فنحن نعيش في لاشعورنا مأساتنا ولا نواجهها خوفا من تجاوز معطياتنا الأخلاقية، وأسطورة أوديب توضح ما حدث لكل منا، فالإنسان منذ الطفولة تتكون لديه هوامات جنسية تدل على اضطرابات في علاقاته مع الوالدين، أين يكشف التحليل النفسي أن الطفل بحكم أنانيته عندما تنتابه دوافع جنسية تكون الأم أول موضوع له، لكنه يكتشف أن الأب يشكل عائقا للوصول إليها، من هنا يبدأ الصراع الداخلي، صراع بين حب هذا الأب وكرهه كونه عائق يقف تحقيق رغباته، ينتابه شعور بالغيرة ويتمنى زواله لكي يحل مكانه، هذه الأسطورة – حسب **فرويد** – تعبر عن هوام كل فرد، ونجد فيها قول الأم يوكستا لابنها أوديب تخفيفا عنه قبل أن يدرك الحقيقة: كم من إمرء قبلك ضاجع في الحلم أمه، ولكن يسهل عبء العيش لمن لم يلق إلى ذلك بالا. (فرويد، 1994، 277: 279)

بعيدا عن الأسطورة، تقوم هذه السيرورة النفسية الصعبة على مجموعة من الشروط التي ترجع إلى النمو الليبيدي، أين تزيد حساسية المنطقة الشبقية خلال المرحلة التناسلية، اكتشاف الاستمناء وظهور الفضول الجنسي، الهوامات المتعلقة بالحياة الجنسية، تخلص الطفل من العلاقة الثنائية، وجوده أمام موضوع خارجي، هذه الشروط هي ما تمكنه من الوصول إلى علاقة مع الموضوع. (فكتور سميرنوف، 1985، 190)

ويلعب التقمص دورا هاما في عقدة أوديب، فالطفل يبدى اهتماما بالأب ويود أن يصبح مثله وأن يقوم مقامه من كافة النواحي، إنه يجعل من والده مثاله، في حين تتقمص البنت أمها، وبفضل هذا السياق التقمصي يتمكن الطفل من الإحساس بجنسه وتحديد هويته الجنسية، وتتوقف الصحة النفسية على نوعية هذه التقمصات التي لها دور – كما لاحظنا – في تقوية الأنا وتجاوز الصراعات التي قد تعترض الفرد في حياته.

5 ـ 2 ـ 2 ـ مرحلة الكمون La Phase de Latence

تعتبر مرحلة الكمون مرحلة راحة وتقوية الوضعيات المكتسبة، هذا يقتضي فترة كمون في النمو الجنسي، تبدأ من سن 5 – 6 سنوات إلى البلوغ، تتميز بتضاؤل النشاطات الجنسية لدى الطفل الذي يغض الطرف نسبيا عن المسائل الجنسية ويتجه نحو اللعب والتحصيل المعرفي واستلهام القيم والمبادئ الاجتماعية والخصوصيات الثقافية داخل مجتمعه. (J. Bergeret, 1979, 35)

هذه المرحلة التي تتميز حسب **فرويد** بإهمال التوظيفات الموضوعية وتستبدل بعملية تقمص فتؤلف نواة الأنا الأعلى الذي يستعير من الأب الصرامة ويديم حضر العلاقة المحرمية. (فرويد، 1999، 169)

وتشتق هذه المرحلة أصلها من أفول عقدة أوديب، حيث تتطابق مع زيادة حدة الكبت الذي يؤدي إلى نسيان السنوات الأولى، فحل عقدة أوديب يرافقه انفصال غيري يمكن الطفل من التسليم بالافتراق عن تلك المواضيع دون هدمها، ويسمح له بتحرير الطاقة الليبيدية المهيأة لاستثمارها في مواضيع جديدة، وتعتبر هذه المرحلة أساسية بالنسبة للأنا، أين تسمح له بتجنيد ميكانيزماته المنظمة والمحققة للتوازن، عندها يصبح الطفل أكثر حرية من أجل تطوير فضوله ونشاطاته وتعرفه على المحيط والأشياء، من خلال تحويل طاقته الجنسية نحو غايات غير جنسية.

حسب **دوبري** Debray 2000 عدم قدرة الطفل على تحقيق الرغبات الجنسية مع المحارم بسبب عدم النضج الوظيفي تجعله يتحول إلى حقل المعارف، فيسترجع عندئذ قدرا معتبرا من الطاقة الاستثمارية التي كانت مثبتة في عقدة أوديب.

ورغم أنها تتميز بالهدوء النسبي وكبت كثيف للاهتمامات الجنسية، وتدل على نمط جديد من النشاط الليبيدي، إلا أنها ليست مطلقة –مثلما قد يقال عنها– فالألعاب الجنسية تبقى بين الأطفال ولو بشكل سري، وتؤدي إلى شعور بالذنب، وتساهم النشاطات المدرسية في كف تلك النشاطات، وتؤكد موقف الطفل الضعيف أمان الراشدين.

5 ـ 2 ـ 3 ـ مرحلة البلوغ La Phase de Puberté

يتكلم **بيرجوري** عن هذه المرحلة باعتبارها أزمة، أي أزمة مراهقة، تبدأ مع نهاية مرحلة الكمون، والسمة النفسية الرئيسية فيها، هي تكيف الشخصية مع الشروط الجديدة الناتجة عن التحولات الجسدية، حيث تعبر كل الظواهر النفسية الخاصة بالبلوغ كمحاولات لبناء التوازن المختل. (J. Bergeret, 1979, 36)

وتأتي هذه المرحلة كحصيلة للمراحل الجنسية السابقة، وحصيلة للنمو النفسي – الجنسي السليم، فمع بداية البلوغ تظهر تحولات تأخذ بالحياة الجنسية الطفلية إلى صورتها النهائية والسوية، فقد كانت النزوة الجنسية شبقية ذاتية في جوهرها، أما من الآن فصاعدا فستكتشف الموضوع الجنسي، وقد كانت تصدر عن نزوات جزئية وعن مناطق شبقية تبحث عن قدر من اللذة باعتباره الهدف الوحيد للجنسية، أما

الآن فيظهر هدف جنسي جديد، تتضافر على تحقيقه جميع النزوات الجزئية، بينما تخضع المناطق الشبقية لزعامة المنطقة التناسلية.(فرويد، 1983، 81)

ويشكل البلوغ الفرصة الأخيرة أمام المراهق لحل الأزمة الأوديبية بكل عفوية، فتجاوز الاستثمارات الأوديبية أو التمسك بها له أثر على مصير شخصية الفرد من حيث تكيفها، لاسيما في مرحلة المراهقة التي تشهد إحياء الصراعات الهوامية البدائية التي كانت هادئة، أين يتعرض المراهق أثناء نموه إلى تحولات عميقة تؤدي إلى تغيرات في السلوك والتصورات.

من خلال هذه المرحلة يتحرر الفرد من المواضيع الطفلية المحرمة ويتجه نحو مواضيع خارجية، ونجاحه في هذه السيرورة يتوقف على نوعية تقمصاته، وقدرته على إرصان واستدخال مواضيع حبه البدائية دون شعور بالذنب، في حين أن فشله في هذا العمل قد يؤدي به إلى التمسك بالرباط الطفولي، وسوف نعود إلى موضوع البلوغ والمراهقة في فصل قادم بأكثر تفاصيل.

إن تشكل هذه المراحل لانتظام الليبيدو يوضح السياق التقمصي الذي يسلكه الفرد في حركة نمائية تطورية تمكنه من إستدخال النماذج الوالدية في شخصيته واكتساب هويته الجنسية، والقدرة على بناء حياة علائقية غنية مع الآخر، كل هذا يتوقف على جودة العمل الذي قام ببنائه خلال هذه المراحل.

خلاصة:

استخدم فرويد مفهوم التقمص في أولى كتاباته، ثم ما لبث هذا المفهوم أن أخذ قيمة كبيرة في بناء النظرية التحليلية، وهو ينظر إليه على أنه الظاهرة الأولى لتعلق وجداني بشخص آخر، ويلعب دورا هاما في عقدة أوديب، فالتقمص يرتبط بالجانب البنائي، بناء يتم داخل الفرد لاستدخال سمات من الخارج، وهذا يقتضي سيرورة نفسية لاشعورية مستمرة لدى الفرد، هذه العملية تختلف عن التقليد الذي يعد عملية شعورية.

إن وزن هذا المفهوم في النظرية التحليلية جعله محل اهتمام الباحثين بعد فرويد، أين خصصوا له الكثير من الدراسات والبحوث، وهي تنظر إليه كميكانيزم دفاعي وأيضا كميكانيزم نمائي تطوري، أين نجد كتابات كلاين M. Klein التي اهتمت بالتقمص الإسقاطي لتشير العمل المتبادل بين الإستدخال والاسقاط الذي يبني العالم الداخلي وفي نفس الوقت يرسم صورة عن الواقع الخارجي، ثم أعمال أنا فرويد Ana Freud حول تقمص المعتدي أين يتحول الفرد من مهدَّد إلى مهدِّد، ليبني جاك لاكان J. Lacan مفهوم مرحلة المرآة أين يرى بأن أولى لحظات التقمص ترسم في أول إغواء بصورة الطفل في المرآة أو الآخر، وأعمال وينيكوت Winnicott من خلال مفهوم الأم المرآة والذي ركز بشكل هام على الجانب العلائقي بين الأم والطفل في تطور شخصية الطفل.

ويمر السياق التقمصي بمراحل متعددة لها علاقة بالحياة الجنسية الطفلية التي يرى فرويد أنها تبدأ مع الطفولة، ومن خلال مراحل النمو النفسي الجنسي تنشأ التقمصات، أين تشكل عقدة أوديب أزمة يصبح الطفل خلالها لأول مرة منخرطا في مثلث عاطفي، فأوديب يبنى الراشد ويهيكله من خلال التقمصات الوالدية، ولنوعية هذه التقمصات دور في تقوية الأنا وتجاوز الصراعات التي قد تعترض الفرد في حياته.

الفصل الثاني:

المراهقة

- نظرة تاريخية لمفهوم المراهقة؛
- تعريف المراهقة؛
- المراهقة؛ أزمة أم سيرورة؛
- المراهقة والبلوغ؛
- ديناميات المراهقة؛
- مراحل النمو العلائقي؛
- المراهقة رحلة نحو تجارب جديدة؛
- التقمصات لدى المراهق.

تمهيد:

تمثل المراهقة مرحلة جد هامة من مراحل النمو الانساني، وهذا راجع إلى تلك التغيرات الكبيرة التي تطرأ خلالها على جوانب مختلفة من الشخصية: نفسيا، اجتماعيا وجسديا، وهي مرحلة إعادة إحياء لصراعات الطفولة أين يجد الأنا نفسه في مواجهة تغيرات ناتجة عن النمو الجسدي والبلوغ، هذه التغيرات يجب أن يدمجها في شخصيته من أجل أن يتمكن من التكيف مع الوضع الجديد.

وسوف نعرض في هذا الفصل لمفهوم المراهقة من خلال الآراء التحليلية المختلفة التي ركزت على الجانب الدينامي والعمل النفسي الذي يتم خلالها، بين من ينظر إليها كسيرورة وآخرين كأزمة، ثم الفرق بين المراهقة والبلوغ، لنركز فيما بعد على ديناميات المراهقة والنمو العلائقي خلالها لنختم بخصوصية التقمصات في مرحلة المراهقة.

1 ـ نظرة تاريخية:

يعد ستانلي هول Stanley Hall 1904 أول من ألف عملا ضخما من مجلدين يشرّح فيه هذه المرحلة، بعنوان "المراهقة سيكولوجيتها وعلاقاتها: الفيزيولوجية، الأنتربولوجية، الجنس، الإجرام، الدين والتربية" ومن خلال هذا المؤلف فتح أفاق واسعة لهذا المفهوم، وسمح بطرح تساؤلات دفعت بتوجه الباحثين إلى دراسة هذه المرحلة الهامة.

وقد أعطت النظرية الجديدة لستانلي مكانة خاصة للمراهقة، فهو ينظر إليها كموجة كبيرة من النمو الإنساني تهدف إلى الانتقال إلى مرحلة أعلى، فهي "ولادة جديدة" و"لحظة بهجة وسعادة"، كما يؤكد على أن المراهقة تمثل الأزمة الثالثة بعد أزمة الميلاد وأزمة الطفولة، وهي تفرز السمات الأكثر تطورا والأكثر حداثة في حياة الإنسان.

وفي نظرية التحليل النفسي، نجد أن فرويد يتكلم عن البلوغ وليس عن المراهقة، أين يرى بأن البلوغ هو تلك الدفعة من النمو التي تأخذ بالحياة الجنسية الطفلية إلى طابعها النهائي (فرويد، 1983، 81) غير أن الكثير من علماء التحليل النفسي اهتموا فيما بعد بهذا المفهوم من أمثال إيريكسون، بلوس، كاستمبرغ، رايمون كان، غوتون، فيليب جامي، وأعطوه مكانة خاصة في أبحاثهم.

منذ عام 1950 بدأ يزداد اهتمام المحللين النفسانيين بمفهوم المراهقة، فأصدر بلوس P. Blos في الولايات المتحدة أول مؤلف تحليلي يتمحور حول المراهقة عام 1962 بعنوان: "المراهقين، محاولات

أبحاث في التحليل النفسي"، وفي فرنسا نجد المحللة ذائعة الصيت إفيلين كاستمبرغ E. Kestemberg التي تكلمت عن المراهقة باعتبارها منظم نفسي Organisateur Psychique، هذا التعبير كان أفضل من مصطلح الأزمة الذي استخدم لوصف هذه المرحلة، وإمكاناتها النمائية وتغيراتها رغم التطورات السلبية التي قد تصادفها. (Emmanuelli, 2009, 22)

إن الكثير من الكتابات تقدم المراهقة كظاهرة عالمية، وتغفل هامش التفاوت الناتج عن اختلاف المجتمعات والثقافات ودورها في نشأة الفرد، فحسب فلوران Florin فإن تطور المراهق أمر تابع للمفهوم الذي يصبغه المجتمع على المراهقة (فلوران، 2013، 103) إنه لمن المهم أن نشير إلى أن خصوصيات ومميزات كل مجتمع تنعكس على المراهق، حيث نجد أن هناك اختلاف في تحديد المرحلة العمرية للمراهقة، وطريقة مواجهة هذه المرحلة، وهناك أيضا حتى من الثقافات التي لازالت تنكر وجود مرحلة المراهقة.

إن الفرق الموجود بين مراهق وآخر، بين ثقافة وأخرى، يظهر في شدة الأزمة وفي الأشكال التي تتخذها والحلول التي تعطى لها، فالمراهقة لها طابع خاص يتعلق بالبيئة والوسط الاجتماعي الذي يحتضنها. (Reymond-Rivier. B, 2002, 119)

2 ـ تعريف المراهقة:

يعد مفهوم المراهقة مفهوما جد معقد، فهي مرحلة مرور période de passage من حالة الطفولة إلى الرشد، تتحدد من خلال أهمية التحولات الجسدية، بالمقابل هي نمو طبيعي يقرّب الطفل من الرجل أو إلى المرأة من الجانب الجسدي، وإدماج الجانب الاجتماعي في نظامه الداخلي، وهي حالة من اختلال التوازن تظهر من خلال مجموعة من الأعراض التي تتجمع تحت تعبير أزمة المراهقة، في الوقت الذي يجب على المراهق أن يضمن توازنه الجديد مع البلوغ العضوي، أين يجد نفسه في مهمة اكتساب هويته الشخصية، ما يعطيه طابعا أصيلا. (Pierr, G. Cosline, 2010, 14)

والمراهقة لا تعبر عن نهاية تطور للطفولة Pas une fin d'évolution de l'infantile، بل هي بداية أكثر أصيلة، إنها حقا أزمة نظامية، عادات، إعادة بناء، صدمة بعدية، مهمة انتقال من الطفولة إلى البلوغ، اكتساب نماذج جديدة، هذه المهمة من إعادة البناء تؤدي بالفرد إلى النمو من خلال سيرورات وظواهر جنسية عتيقة تشكل حركية حقيقية. (Ph. Gutton, 2000, 2)

وهي سيرورة نفسية تجعل من المراهق تحت ضغط التغيرات النفسية والفيزيولوجية الناتجة عن البلوغ، لذلك فهو مجبر على إعادة بناء ذاته رغبة في البلوغ والبحث عن رموز جديدة للهوية. (Gutton, 2002, 55)

وحسب جامي Jeammet فهي مرحلة هامة من النمو تفرض على الفرد تغيرات على مستوى التوازن بين العالم الداخلي والعالم الخارجي، ما يدفع بالمراهق إلى إعادة تنظيم التوازن بين النرجسية، العلاقة مع الموضوع، ارتباطه واستقلاليته، هذه السيرورة من العمل النفسي الصعب، من شأنها أن تؤدي إلى هشاشة في العالم الداخلي. (Ph. Jeammet, 2001, 1)

في حين تنظر إفيلين كاستمبرغ Kestemberg إلى المراهقة باعتبارها منظم نفسي Organisateur Psychique، يتم من خلالها إعادة تنظيم الأنا الذي يعيش تغيرات البلوغ، مما يجعل المراهق أمام مهمة إستدخال هذا النمو الفيزيولوجي ضمن نظامه العلائقي والليبيدي في مواجهة خطر انكسار التوازن بين استثماراته النرجسية والموضوعية. (E. Kestemberg, 1999, 47)

والمراهقة مرحلة غنية بالتغيرات والمكتسبات التي تتلاحق أو تتراكب في جميع المجالات، وتتطابق بدايتها مع تغيرات هامة وتجارب جديدة، نفسية، جسدية واجتماعية، تظهر خلالها الحاجة إلى الاستقلالية ومعارضة الآخرين، هذه الاستقلالية تتم في ظل اعتبار الوالدين كقاعدة أمان يمكن استطلاع العالم من خلالها. (فلوران، 2013، 105)

إن التحديد الزمني لمرحلة المراهقة يبدأ حسب Michel Vincent من سن الحادي عشر (11-21 سنة) إلى الواحد وعشرون. (Si moussi, R. Perron, 2011, 125) وان كان هذا التحديد سطحي ولا يحمل الطابع الدينامي لهذه المرحلة، إلا أنه يساعدنا عند اختيار مجموعة البحث التي سوف نعمل معها.

نلاحظ أن المراهقة تصاحبها تغيرات على مستويات مختلفة، حركة الطاقة النفسية والتغيرات النزوية، تغير صورة الجسد الناضج أين يجب على المراهق إدماج عناصر البلوغ في التنظيم النفسي الجديد، وضعية اكتئابية ناتجة عن إشكالية الانفصال، عمل حداد على مواضيع الحب الأولى ليتمكن من استثمار مواضيع جديدة، النرجسية وإشكالية الهوية والتقمصات، سوف نعود إلى هذه التغيرات الدينامية فيما بعد بشيء من التفصيل.

3 ـ المراهقة: أزمة أم سيرورة l'adolescence ; crise ou processus

من خلال الاطلاع على التراث السيكولوجي نجد هناك استعارات مختلفة تطلق على مرحلة المراهقة، تختلف باختلاف المنظور، فنجد البعض يطلق عليها مصطلح أزمة المراهقة، صدمة البلوغ، سيرورة المراهقة، في هذا العرض سوف نحاول أن نعرض لكلا هذين الرأيين:

3 ـ 1 ـ المراهقة كمرحلة أزمة:

يرى Emmanuelli بأنه "ليس هنالك مراهقة دون أزمة"، فهذه المرحلة تمر بمرافقة بعض الأعراض النفس جسدية مثل العنف الموجه نحو الذات أو نحو الآخر، ومرور المراهق بدون مشاكل يمكن أن يترجم كسيرورة مرضية، وهذا لا يعني أن كل التظاهرات التي تصاحب المراهقة تدخل في السجل السوي. (M. Emmanuelli, 2009, 27)

فالفرد يمر في حياته بجملة من الأزمات؛ أزمة قلق الشهر الثامن، أزمة أوديب وأزمة المراهقة، هذه الأزمات تعد ضرورية، تؤدي بالفرد إلى تحقيق نضج أكبر، وغيابها يعد مرضياً. (Mercelli, Braconnier, 2011, 40)

هذه المرحلة تعد مرحلة لتغيرات أساسية في الحياة الجنسية التي تأخذ طابعها النهائي وتدخل في جنسية الراشد، تغير العلاقات مع الوالدين كحركة انفصال، أين يدخل الفرد في نماذج تعلق جديدة خارج الأسرة، ويأخذ شيئا فشيئا في استثمار مشروع مهني يحقق له استقلاليته، هذا التغير يتم على مستوى نفسي، اجتماعي وبيولوجي، واستثاراته نحو هذه المستويات تكون أحيانا بطريقة متناقضة، بعد مرحلة كمون، يظهر زمن إعادة تنظيم كلي في طريقة إدراكه لجسده. (Emmanuelli, 2009, 28)

هذه التغيرات النفسية الشديدة والهامة تأتي لمجابهة التغيرات التي تطرأ مع هذه المرحلة سواء كانت من ناحية اقتصادية (زيادة الطاقة النفسية) أو دينامية في النفس، يرافقها استعمال دفاعات جديدة والتخلي عن أخرى قديمة، وأهمية هذه التغيرات المعقدة والمتناقضة تأتي لتصليح الأخطار المرضية المحتملة، وربطها في شخصية المراهق.

تهدف هذه المرحلة إلى التكيف مع النمو المحقق والتوافق مع الأزمات المهيكلة، مثل قلق الشهر الثامن، الأوديب أو في ميدان الحياة، ويعبر التطور النسقي الذي يطبعها عن اختلال مؤقت يتم تعديله من خلال ميكانيزمات محددة. (R. Cahn, 1998, 10)

3 ـ 2 ـ المراهقة كسيرورة:

يتم النظر إلى المراهقة كسيرورة من خلال التنظيم النفسي العالي الذي يسجل في فترة زمنية متغيرة، ومن الصعب ضبط حدودها، يتم في ضوئها إعادة التنظيم النزوي، عودة الصراع الأوديبي، تغيرات تقمصية، إشكالية الانفصال في عملية متداخلة طوال هذه السيرورة.

حدد **بلوس** Blos مراحل تطور تظهر خلال هذه المرحلة، أولها الإثارة المرتبطة بالتجديد النزوي للبلوغ مع علاقات جديدة مع الجماعة، وفي الثانية يتم فك الارتباط مع الروابط الأولية، والذهاب نحو استثمار تجارب مع الجنس الآخر واكتشاف مواضيع حب وكراهية جديدة خارج الأسرة –Extra Familiaux. (R. Cahn, 1998, 11)

يتحدث **غوتون** Gutton عن المراهقة والبلوغ كعنصرين يتمان بالتوازي وليسا كمرحلتين، وهما يحددان سيرورات نفسية، فالبلوغ وظواهره النفسية هو بلوغ الجسد والتغيرات الجنسية والأوديبية، هذه السيرورة تضع مكونات الجهاز النفسي أمام حاجز زنا المحارم من خلال الأوديب الطفلي، فيما تشكل المراهقة إرصان لعناصر البلوغ والعنف الذي يرافقها، هذه السيرورة تتجه نحو نزع الطابع الجنسي للتصورات المحرمية، وتمكن الفرد من اللقاء مع موضوع من غير المحارم. (Emmanuelli, 2009, 30)

إن التغيرات التي تمس الجانب النفسي خلال تطور هذه المراحل والميكانيزمات الدفاعية التي ترافقه هي ما تمكن هذه السيرورات من العمل.

نلاحظ أيضا أن بعض المراجع تنظر إلى المراهقة كمرحلة انتقال من الطفولة إلى الرشد دون أن تعيرها أي أهمية أو خصوصية، وهذا تجاهل للعمل النفسي الصعب الذي يتم من خلالها في سبيل الوصول إلى مرحلة أكثر توازن، في حين أن تحديدها بزمن معين يعد أيضا أمر صعب نظرا للاختلاف بين الباحثين في تحديدها بفترة زمنية محددة، ضف إلى ذلك فإن هذا لا يشير إلى الجانب الدينامي لها، ونحن نفضل أن نستعمل مصطلح سيرورة لأن مصطلح الأزمة يصبغ هذه المرحلة بصبغة سلبية.

4 ـ المراهقة والبلوغ:

البلوغ حسب **فرويد** يأخذ بالحياة الجنسية الطفلية إلى صورتها النهائية والسوية، أين تنتقل من الشبقية الذاتية Autoérotique إلى اكتشاف موضوع جنسي خارجي، وهو يسمح بالتمييز القاطع بين

سمات الذكورة والأنوثة، هذا التضاد يؤثر فيما بعد أكثر من أي شيء سواه تأثيرا فاصلا في مجرى الحياة. (فرويد، 1983، 92)

وأحد المظاهر الثابتة التي تظهر خلال البلوغ هو الاستمناء، ذلك النشاط الذي يعد مخرج ممكن لرغبات الفرد الجنسية ويرتبط بالشعور بالذنب بسبب المنع الاجتماعي، ويثير هوام الخصاء – حتى في غياب أي تهديد – المرتبط بالصراع الأوديبي، وتعد النتائج النفسية لهذا الشعور بالذنب أكثر خطرا من تأثيرات هذا السلوك في حد ذاته. (فيكتور سميرنوف، 1985، 216)

أما المراهقة فتشير إلى عمل نفسي يعيد إحياء الأوديب الطفلي، أين يصبح على المراهق نزع الاستثمار من المواضيع الوالدية والتي رغم أنها ضرورية من أجل بناء شخصيته، إلا أنها في نفس الوقت مواضيع محرمة، يجب أن يتجاوزها ليبحث عن مواضيع خارجية. (F.Marty, J. Y. Chagnon, 2006, 7)

إن الحديث عن البلوغ يحيلنا إلى النمو الجسدي والفيزيولوجي، في حين أن المراهقة تعبر عن مرحلة نمو مهمة تتضمن عمل نفسي دينامي معقد ينقل الطفل من وضعية الاعتماد على الآخر، إلى راشد مستقل ومسؤول، وما يحدد الروابط الوثيقة بينهما هو الكيفية التي يتحقق بها إدماج هذا النضج الجسدي، والكيفية التي يعاش بها هذا الانتقال من وضع لآخر، ومن هنا ننظر إلى المراهقة كنتيجة سيكولوجية لمختلف التحولات التي تحدث على الجانب الجسدي في هذه المرحلة من النمو.

5 ـ ديناميات المراهقة:

من خلال الاطلاع على الآراء التحليلية حول موضوع المراهقة يمكن أن نفهم بأنها تنطوي على جانب دينامي كبير، فهي وإن كانت مرحلة أصلية إلا أنها تعيد إحياء الصراعات الطفلية، فيما تعبر عن عمل حداد على المواضيع البدائية، وأيضا مرحلة تهدف إلى إدماج صورة الجسد الناضج ضمن الشخصية، وسوف نفصل في هذه النقاط فيما يلي:

5 ـ 1 ـ المراهقة كإحياء للطفولة:

تقوم المراهقة بإحياء الصراعات الهوامية البدائية التي كانت هادئة من قبل وتضع المراهق أمام تحولات عميقة أثناء نموه، فحسب كاستمبرغ Kestemberg فهي تعيد تنشيط الصراعات الأوديبية المتعلقة بمواضيع الحب الأولية، يرافقه قلق الخصاء.

وتأتي المراهقة كبناء على نفس الأسس التي أسستها الطفولة، حيث يتم إعادة بناء التقمصات وهيكلتها ونزع الطابع الجنسي لها، ومن ثم التوجه نحو تقمصات أخرى أكثر مرونة خارج النماذج الأولية، أين ينظر إليها **لوفر** Laufer 2000 كمرحلة لإدماج التقمصات قبل الأوديبية والتقمصات الأوديبية.

وبالنسبة لعقدة أوديب التي تم حلها في مرحلة سابقة، فإن المراهقة تشكل فرصة أخرى أمام الفرد لكي يحل هذه الأزمة بشكل عفوي، فحسب غوتون Gutton المراهق يتابع طريق الأوديب بصورة عنيفة من خلال نزع الطابع الجنسي للتقمصات. (F.Marty, J. Y. Chagnon, 2006, 6)

أما ايمانويلي Emmanuelli فيكتب: تغيرات المراهقة تظهر في توظيف جديد من خلال إحياء الصراعات الداخلية، فالمراهق من خلال النشاط النزوي الكبير المحرر من طرف البلوغ يعود إلى الصراع الأوديبي. (Emmanuelli, 2009, 22)

5 ـ 2 ـ المراهقة كعمل حداد:

تمثل المراهقة عمل حداد، فحسب بلوس Blos هي سيرورة ثانية من انفصال / فردنة، أين يطرح المراهق المواضيع التي قام باستدخالها، من أجل استثمار مواضيع خارجية أخرى، ويتم هذا العمل من خلال عمل حداد (انفصال). (F. Marty, J. Y. Chagnon, 2006, 5)

والانفصال الذي يبدأ في المراهقة يمس ميادين ضمن نفسية Intrapsychique والواقع الداخلي، ويتعلق بالنرجسية والعلاقة بالموضوع، ويؤدي إلى تحريك عمل نفسي للتخلي عن الروابط الطفلية مع الصور المستدخلة عن الوالدين Imagos مع فقدان صورة الذات التي تحمل الطفولة المثالية، ومع أفاق هذا الانفصال العاطفي مع الوالدين وميدان الطفولة، يفقد المراهق جزءا من ذاتيته ويقلل تقمصاته لهم، مع فقدان علاقة مع المواضيع التي تشكل أساس الحماية له، وخلال هذا الانفصال يظهر ازدواج ميل Ambivalence في علاقاته مع الآخرين، يعيشها حسب **ملاني كلاين** M Klein كوضعية اكتئابية، ومع نهاية هذه المرحلة تظهر تبادلات عاطفية جديدة مع الوالدين. (Emmanuelli, 2009, 42)

فالمراهقة حسب كاستمبرغ Kestemberg تشبه قلق الانفصال الذي يعيشه الطفل في الشهر الثامن. (Mazet, Houzel, 1999, 452)

إن التغيرات الفيزيولوجية للبلوغ تؤدي بالمراهق إلى معايشة تجربة انفصال، والحصول على استقلالية أكبر يمكن أن تعد كعمل حداد لفقدان مواضيع أولية، فالمراهق يبقى متعلقاً بذكرياته مع مواضيعه الأولية، وفي نفس الوقت عليه أن ينفصل عن تلك المواضيع ليحقق نمو أكبر لشخصيته.

وعلى الفرد أن يتوجه نحو تجاوز التقمصات البدائية للوالدين ونزع الاستثمار واستثمار مواضيع جديدة خارج الأسرة، فالمراهق عليه أن يقوم بعمل حداد متعلق بالأم. (Barconnier, 2004, 66)

إذن تمثل المراهقة ضرورة إرصان إشكالية الانفصال التي تلعب دور وضعية اكتئابية، وهو ما يضعف أسسه النرجسية، فالمراهقة تضع الفرد أمام حالة كشف جودة نرجسيته أو ضعفها، أنماط العلاقة مع الموضوع من حيث الاستقلالية والتبعية وكشف نوعية العمل الذي أُنجز خلال مرحلة الكمون. (Emmanuelli, 2009, 22)

في هذه المرحلة يجد المراهق نفسه أمام سيرورة نضج مرتبطة بالوقت، حيث يقول وينيكوت Winnicott المراهق كائن غير ناضج والعلاج الوحيد لعدم النضج هو الوقت.

إن الاهتمام الأمومي الذي تلقاه المراهق في حياة الطفولة والتوظيف النفسي المحقق في تلك المرحلة، واقع سيفقده في مرحلة المراهقة، ويجب عليه أن ينزع استثماره عن ذلك الواقع لاستثمار واقع جديد ضمن عمل نفسي صعب وأليم هو عمل الحداد، ونجاحه في هذا العمل مرتبط بنوعية التقمصات التي كونها فيما سبق.

5 ـ 3 ـ تغير صورة الجسد:

جسد المراهق له صورة وتصورات في آن واحد، يجب عليه أن يتقمصه بطابعه التناسلي، من أجل الوصول إلى نظرة كاملة عن جسده، فصورة الذات هي صورة جسد مفعم بالمشاعر لها علاقة مع تقدير الذات، أي مع الطابع الإيجابي أو السلبي الذي يعطيه المراهق لنفسه، وهي تتكون من خلال نظرته لنفسه وأيضا من خلال نظرة الآخر إليه، هذه الصورة تدمج في طياتها قدراته الجسدية وفعاليته وهويته الجنسية. (Pierr. G Cosline, 2010, 38)

وفي هذه المرحلة تظهر الخصائص الجنسية الثانوية مع نمو الأعضاء التناسلية، يرافقه نمو سريع وهام للجسد والطول، وظهور اختلافات في جسد الذكر والأنثى، ما يجعل التمييز بين الجنسين واضحا، إن هذه التحولات الجسدية تلقي بآثارها على الجانب النفسي من حيث العلاقات مع الوالدين والزملاء حيث

نلاحظ سرعة تغير المزاج أين يثور المراهق من أي سبب ولو كان دون قيمة، وكثرة الاهتمام بالمظهر واللباس. (Tony Anatrella, 1988, 72)

وتعبر ملابس المراهق عن رغبة في الحرية والتحكم في فضاءه الخاص وبحثا عن موضوع من الجنس الآخر، كما تعبر عن طريقة لإثارة الانتباه حتى ولو كان الآخر غير مهتم بعد، كل هذا الانشغال بصورة الجسد يظهر إشكالية الهوية "من أكون"، هذه التظاهرات الجديدة في البحث عن هويته التي تتم من خلال دخوله في علاقة مع الآخر، حيث يعد جماعة الأصدقاء كنقطة ارتكاز في تطور ونمو ذاته، فالجسد وسيط في علاقته مع الآخر. (Pierr. G Cosline, 2010, 39)

كل هذه التحولات تعتبر هامة، والأهم منها كيف يكون مآلها على المستوى النفسي؟ وكيف يتمكن من إدماجها داخل عمل التوظيفات النفسية السائدة في هذه المرحلة؟

إذن يمكن أن تكون هذه التغيرات مصدر اعتزاز لدى المراهق، أو قد توقظ قلق متعلق بصورة الجسد، كما يمكن أن نلاحظ اهتمام مفرط أو قلة اهتمام، وفي كل الأحوال فإن المراهق أمام حتمية إدماج الصورة الجسدية الجديدة ضمن توظيفه النفسي مع عناصر البلوغ التي طرأت عليه.

يرى لوفر Laufer أنه من خلال الهوامات الاستمنائية يتمكن الفرد من الإحساس الجنسي وإرصان هوية جنسية وصورة جسد تتلاءم مع صورة الشخص الناضج، من خلال إدخال عناصر البلوغ في صورة جسده باعتبارها عناصر فاعلة في حياته، وهي " تسمح له بإمكانية عيش جسده الناضج كأنه ملك له وليس شيئا لا يزال ينتمي إلى الأم، في بعض الحالات يكون لهؤلاء المراهقين انطباع بأنه ليست لهم أية رقابة على أجسادهم فهي تبدو كعدو أو كعنصر غريب عنهم، فمثل هذا الموقف يقودهم إلى اعتبار أجسادهم غير موجودة، وإما إلى محاولة البرهنة على وجودها من خلال محاولات الانتحار والاستهلاك المفرط للمخدرات. (فيكتور سميرنوف، 1985، 216)

فالمراهق ينتهي إلى كره جسده الذي لا يشعر بالسيادة عليه، والذي قد تمثل صورته صورة الوالدين الاضطهادية، أو يحس بأنه عُزل أمام هواماته، هذا ما يساهم في إحياء الصراع الأوديبي وقلق الخصاء. (فيكتور سميرنوف، 1985، 216)

ويتم بناء هوية الفرد من خلال صورة جسم متكاملة ومتماسكة، وضمان فعالية سيرورة الانفصال/فردنة عن الآخر، فتحقيق الهوية يتم من خلال الاعتراف بالفروق بين الجنسين وبالفروق بين الأجيال، هذا بدوره يساهم في تكوين المعالم التقمصية المرتبطة بالأوديب. (Shentoub et al, 1990, 42)

وعن علاقة المراهق بجسده يرى فيليب جامي Jeammet بأن انتماء الجسد إلى العالم الخارجي والعالم الداخلي في وقت واحد، يعطي دوراً هاما في تنظيم بناء الشخصية والتعبير عن المظاهر المرضية عند وجود مشكل على مستوى التقمصات والهوية، فالأعراض تظهر بلغة الجسد، أين يكون هذا الأخير وسيلة تعبير عن الصراعات النفسية التي يعيشها المراهق. (Jeammet,2001, 20)

في حين يرى Mercelli أن المراهق يستعمل الجسد كوسيلة علاقة، والأعراض الجسدية تعبر عن نظام سلوكي يستخدم فيه المراهق الجانب الجسدي كوسيلة تفاعل مع الواقع الخارجي والواقع الهوامي. (Mercelli, 2004, 127)

هذا يجعلنا نفهم أن لجوء المراهق إلى المادة المخدة باعتبارها موضوعا خارجيا يتفاعل معه من خلال جسده، وهو يستبدل المواضيع الأولية بهذا الموضوع الجديد (المادة المخدرة).

6 ـ مراحل النمو العلائقي:

حسب التحليل النفسي، يقوم البلوغ بتنظيم الطاقة النفسية وفق منظور اقتصادي بين الجنسية الطفلية والنضج الكبير الذي يصاحب المراهقة من أجل الدخول في علاقة غيرية مع الموضوع، حيث أن هنالك أربع مراحل لتطور علاقة الطفل والمراهق مع محيطه في سيرورة تعطيه هوية شخصية، فالفرد يتعرف على انتماءه لجنسه ويأخذ يبحث عن توجيه رغباته، وهذا يقتضي عمل نفسي يحققه في إطار بناء وهيكلة نفسيته، وتعبر الألعاب والأفعال الجنسية التي تظهر خلال الطفولة والبلوغ عن مظاهر عمل الأنا الذي يدخل في نشاط توحيد النزوات في التناسلية، وتحويلها فيما بعد من خلال ميكانيزم التسامي Sublimation إلى نشاط اجتماعي علائقي، وفيما يلي سوف نعرض هذه العلاقات وانعكاساتها على المراهقة:

6 ـ 1 ـ علاقة السند Relation d'étayage

العلاقة الأولى التي يكون فيها الطفل مع الآخر هي علاقة سند، تظهر من خلال التعلق وطلب المساعدة من الوالدين والبالغين بشكل عام، هؤلاء هم من يشكلون الوسيط بين الطفل ومحيطه، ويعيد الطفل البالغ عيش هذا النوع من العلاقة خلال المراهقة.

خلال هذه العلاقة يظهر تحالف مع الوالدين من خلال الحماية العاطفية Sécurité affective التي تضمن وجود الطفل وهو يتصرف إزائها من خلال سلوكات اكتئابية، تخلي، ضعف أو على العكس من خلال مظاهر عنيفة نحو الوالدين.

أما الأطفال الذين يفتقدون هذا النوع من العلاقة ويواجهون الواقع دون مساعدة الآخرين، فانهم يظهرون نوع من الانفجار عند البلوغ وتكون أسس شخصيتهم جد هشة في مواجهة متطلبات البلوغ، فيصبحون مراهقين عرضة لاضطرابات الاعتماد أين يستعملون سلوكات إدمانية مثل الإدمان على المخدرات، أو يظهر لديهم خصائص نفسية تجعل من الذهاب نحو الإدمان جد ممكن. (Tony Anatrella, 1988, 40)

ويلاحظ أن هنالك توجه لدى بعض الأطفال إلى الاستقلالية، وحدهم مع أنفسهم دون سلطة تطبق عليهم من قبل الأسرة أو المحيط الاجتماعي، ففي الطفولة يكون تقبل لهذا النوع من الاستقلالية والمسؤولية، لكنها تنعكس في المراهقة أين تظهر حاجة إلى الاعتمادية تجعل الوالدين في حيرة من هذا التصرف، فمظاهر الاستقلالية لم يتم إستدخالها خلال الطفولة، أين عايش هؤلاء باستمرار حضور الوالدين بشكل غير عاطفي، فعلاقة السند لم تضمن لهم في الطفولة، وهو ما يجعل حاجتهم لها تستيقظ بقوة خلال تحولات المراهقة. (Tony Anatrella, 1988, 41)

إن علاقة السند هي مرحلة مبكرة من النمو الإنساني، تظهر من خلال الكثير من السلوكات في مراحل نمو أعلى مثل إدمان المخدرات، وأيضا من خلال السلوكات العاطفية Conduites Amoureuses كل هذه السلوكات الاعتمادية تقف عائقا في طريق تحقيق استقلالية الفرد.

6 ـ 2 ـ علاقة الشبقية الذاتية La Relation Autoérotique

عندما تحقق علاقة السند عملها النفسي، يستطيع الطفل أن يضمن ذاتيته وثقته بنفسه، هذه الثقة تكتسب طبقا لنوعية علاقته مع الوالدين والمحيط، ومن هنا فهو يمر إلى علاقة تعايش أخرى هي علاقة الشبقية الذاتية.

فالشبقية الذاتية Autoérotique هي الخطوة الأولى نحو تحقيق نوع من الاستقلالية، وتتم بطريقة جزئية أين يتجه الفرد نحو جزء واحد من نفسه، فمن خلال النزوة الجنسية الفمية التي تستبدل الموضوع (ثدي الأم أو الرضاعة) بهوام، فالطفل خلال علاقة السند يجد الإشباع في الحضور الأمومي، ولكي يحصل على الإشباع في ظل الغياب الأمومي يلجأ إلى البحث عن اللذة في ذاته، وبواسطه الانفصال

ينشئ فضاء ينمي حياته الهوامية والذاتية. (Tony Anatrella, 1988, 44) فحسب **فرويد** فالحضور ينشأ من الغياب.

هذا الانفصال الجديد يبنى الطفل تدريجيا كموضوع متمايز عن الأم، يجعله يفهم بعد ذلك بأن المواضيع التي تنفصل عنه يمكن أن يدخل في علاقة معها وأن يتواصل معها، فخلال هذه المرحلة لا يكون هنالك موضوع جنسي بل اللذة تستمد من الذات، أين تتجه الجنسية الطفلية نحو الجسد بحثا عن بعض الرغبات بعيدا عن الآخر، فهي لا تنشد اللذة من موضوع خارجي كامل، وتتقبل بدلا عن ذلك الإشباع الجزئي من الجسد.

فالطفولة تتميز بالحالة الجزئية للنزوات الجنسية قبل أن تصبح في علاقة مع موضوع خارجي، فيما يشكل البلوغ الفترة التي يكون فيها خطر التجزؤ النزوي أكثر تهديدا، وحتى هنا ليس هنالك موضوع شامل، ولكن موضوع جزئي هوامي يظهر في المراهقة في العلاقات العاطفية.

6 ـ 3 ـ العلاقة النرجسية La Relation Narcissique

المرور من الشبقية الذاتية نحو النرجسية يحتاج إلى مرحلة جديدة من توحيد الشخصية ولم شملها، أين يكون الأنا هو الموضوع الأول لليبيدو النرجسي، ويتم اختياره كصورة موحدة للجسد، حيث تعبر النشاطات الجنسية عن نفسها من خلال سلوكات الاستمناء كلذة تمهيدية جزئية تستمد من الجسد، وتلعب النرجسية دورا هاما في بناء شخصية المراهق، هذا الأخير الذي يفك ارتباطاته الطفلية مع الوالدين والتي جعلته ينمو تبعا لتلك الصور الوالدية، ويعيد استثمار نفسه بشكل يضمن وجوده الشخصي وليس تابعاً لوالديه، وللنرجسية دور آخر، فهي تساعد على نمو الدفاعات النفسية التي تحمي الفرد في حياته، وفي الحالات التي لا يكون فيها موضوعات لدى الفرد ليستثمرها، ترجع النرجسية نحو الذات كنرجسية ثانوية. (Tony Anatrella, 1988, 45)

وإحدى المشاكل التي تواجه مرحلة المراهقة هي زيادة حدة النرجسية التي ترجع إلى ميول نكوصية ترتبط بزوال مواضيع الحب الأولية لتأتي مواضيع أخرى لتأخذ مكانها، وتسهم زيادة النرجسية في إعطاء صورة مقبولة للذات لتمكين المراهق من استثمار طاقاته في عمل إبداعي، وتمنعه من جهة أخرى من الانخراط في علاقة عاطفية قبل الأوان. (فيكتور سميرنوف، 1985، 218)

فتغير صورة الجسد وإشكالية الهوية في هذه المرحلة يدفع المراهق نحو رفع استثماره النرجسي إلى أن يتمكن من الوصول إلى صورة مقبولة عن ذاته. (Mazet, Houzel, 1999, 57)

6 ـ 4 ـ العلاقة مع الموضوع La Relation d'objet

تعد المراهقة سيرورة نفسية أساسية تحضر الفرد لتغيرات هامة في حياته العلائقية، تجعله يدخل في علاقة مع الموضوع أين يكون للآخر اعتبار في ذاتيته، وتحدد مآل شخصيته.

فحسب فرويد فان النمو النفسي المحقق يفسح المجال للجنسية للعثور على موضوعها على نحو أعدت له العدة منذ الطفولة، فيوم كان الإشباع الجنسي مرتبطا بالغذاء، كانت النزوة تعثر على موضوعها خارج الجسم في مص ثدي الأم، ثم ما لبث هذا الموضوع أن افتقد، عندئذ تصبح النزوة شبقية ذاتية، ولا تعود العلاقة الأصلية إلا بعد تجاوز مرحلة الكمون، ورضاعة الطفل من ثدي أمه يصير النموذج الأول لكل علاقة حب، فالعثور على الموضوع الجنسي هو في واقع الأمر اهتداء إليه من جديد. (فرويد، 1983، 95)

يأخذ الفرد عند البلوغ في البحث عن موضوع جنسي، هذا البحث يتم مع تغيرات في الحياة العاطفية تشمل تيارين: المحبة التي تنعكس في العاطفية، والرغبة الجنسية التي تتحول إلى تناسلية، حيث يستعمل التيار العاطفي كل الفيض النزوي للجنسية الطفلية، فيما ترتبط الرغبة الجنسية بواقع جديد لدى البالغ في بحثه عن موضوع خارجي، فالمراهق يعيش وجدانات جديدة من الصعب عليه فهمها، والقدرة على فهمها تتوقف على إمكانية إدماج تلك التغيرات في شخصيته، فالتكامل بين العاطفية والتناسلية يجعل المراهق يعيش مشاعر مزدوجة Ambivalence. (Tony Anatrella, 1988, 46)

فالنزوات الجنسية الطفلية تبحث عن اللذة، أما ما يميز مرحلة المراهقة هو البحث عن اللذة من خلال اللقاء مع الآخر، أي أن اللذة في هذه المرحلة هي غيرية.

واختيار هذا الآخر (الموضوع) حسب **فرويد** يخضع لاعتبارات محددة، فهو يتم بطريقتين، إما من خلال التعلق بالمواضيع الطفلية، وإما يلبس طابع النرجسية، حيث يبحث الفرد عن ذاته ويجدها في شخص آخر. (فرويد، 1983، 95) ويضيف إن عاطفة الطفل نحو والديه تترك انطباعات قد تكون من أعمق الانطباعات إطلاقا، فتتحكم عن البلوغ بوجهة اختيار الموضوع (فرويد، 1983، 102)

من خلال هذا العرض نفهم بأن كل هذه المراحل النفسية والتغيرات الدينامية التي تشتمل عليها، لها أهمية في بناء شخصية الطفل والمراهق، وهي تقتضي إيجاد توازن للطاقة النفسية، يظهر في خصائص الشخصية، فخلال المراهقة تبقى هذه التظاهرات عن طريق أحداث ووقائع تستثيرها تلك

الخصائص في الحياة النفسية، حيث أن الأنا يسعى لربط حياته النزوية ليكمل علاقاته وتفاعلاته ويتجه نحو الاندماج في الحياة الاجتماعية والعاطفية.

7 ـ المراهقة: رحلة نحو تجارب جديدة:

في هذه المرحلة الهامة من الحياة نتكلم عن صراع المراهق مع الجيل السابق له، من خلال التغيرات والأسلوب الجديد الذي يسلكه الفرد، هي إذن أزمة مراهقة أو أزمة هوية أو أزمة ثانية للانفصال/فردنة التي تكلم عنها بلوس Blos، يظهر فيها ميل نحو التحرر من قيود الآخر والتمرد على نماذج السلطة في حياته، وهي مرحلة فردنة تستدعي انقطاع وتخريب ذاتي لتحقيق هوية مستقلة، فمتطلبات هذه المرحلة تتميز عن الطفولة، أين يرى كان Cahn أن عملية الفردنة Subjectivation ليست سيرورة انفصال أكثر منها سيرورة تمايز، هذه السيرورة تميز المراهق ككائن متفرد.

يرى فرويد Freud أن أهم المهام وأشدها إيلاما في آن واحد هو ما يبذله الطفل عند البلوغ لينعتق من سلطة والديه، هذا المجهود ينشأ عنه التعارض بين الجيل الجديد والجيل القديم. (فرويد، 1983، 100)

بصفة عامة فإننا نلاحظ أن المراهق يأخذ مسافة عن والديه من أجل أن يحس نفسه أكثر استقلالية، فهو يبحث عن الابتعاد بنفسه ليجد نفسه مع حاجاته الحميمية لوحده، يبحث عن مصادر جديدة لتقمصاته تساعده وتميزه، فهو يرفض في والديه دورهم في وضع قوانين وممنوعات وحدود لحرمانه من تحقيق رغباته، هو أيضا يتجه نحو اكتشاف ما هي قدراته وما هي حدوده، إنه يبحث عن تجارب جديدة.

حسب مارسيلي Mercelli فالمراهق بين 12 و14 سنة، نجده يخاطر بالذهاب إلى الأماكن المجهولة والدخول في علاقات جديدة، يواجه الشكوك، فهو يبحث عن أحاسيس فريدة، ويقترب من موت ممكن، هذه التجارب يمكن أن تفهم كمحاولة لإخراج القلق والضغط الذي يعيشه إزاء الصعوبات المتعددة التي يلاقيها سواء اجتماعية، أسرية أو مدرسية. (Pierr. G Cosline, 2010, 25)

في هذه المرحلة على الوالدين أن لا ينتظروا أن يجدوا بسهولة أرضية اتفاق مع مراهق في حالة نضج، فانفصاله عنهم لا يعني الانقطاع، ولكن ليتمكن من استثمار أشخاص آخرين وبناء شخصيته، أين ترى Catheline et Bedin 2007 بأنه ليتمكن المراهق من التخلي عن مرتكزاته الداخلية والانفصال

عن النماذج الوالدية، عليه أن يأخذ مسافة عنهم، فيما يرى **جامي** Jeammet 2004 بأن المراهق يبحث كيف يكون أصيل دون أن ينكر أصوله commet être original son renier ses origines.

"أطلقوا سراحي" العبارة التي يقابل المراهق بها والديه، إنه لا يريد أن يعيش فقط ضمن هذه الروابط، وهذا لا يعني أنه يريد الانفصال النهائي عنهم لأنه أيضا لا يستطيع أن يعيش بدون روابط، وهو في نفس الوقت في حاجة إلى التواصل معهم دون أن يكونوا أكثر قربا منه.

فهذه الفترة هي نهاية الاعتماد على الوالدين Fin de la dépendance aux parents، يعاد فيها طرح إشكالية الأوديب مع المعطيات الجديدة التي يشكلها النضج الجنسي، فعندما يصادف الطفل صعوبة ما فانه يقترب من أمه وأبيه ويستند عليهما، وبدلا عن ذلك فالمراهق يكون في حاجة إلى الابتعاد، فاقترابه منهما يكون بطريقة مختلفة يظهر من خلال استثاراته، هو يبحث عن إرساء مسافة بينه وبينهما، فاقترابه يهدد توازنه. (Pierr. G Cosline, 2010, 26)

عند غياب الطفل فان الوالدين يكونون في حالة تساؤل عن مكان تواجده، أما في المراهقة فإن الوالدين يكونون في حاجة إلى معرفة مكان تواجده وما يفعله، فإذا علموا ذلك تجاهلوا غيابه، ومع الزمن تصبح العلاقة بين الزوجين علاقة تناسل أكثر منها زوجية، أين يركز الرجل جزء من اهتماماته على العمل، وهنا يصبح المراهق حسب تعبير Caroline Thompson "سيد الأسرة" chef de famille، هي طبعا تشير إلى أسرة ذات طفل واحد.

لا يحتمل المراهق التعبير الوالدي الذي يقول "افعل كل ما تشاء، ليس لدي اعتراض، لكن أريد أن أعرف أين" فهذا يدل على قلة اهتمام به، ففي رأي المراهق إذا لم يكونوا في حاجة لمعرفة ما يفعله، فهم أيضا لا يحق لهم أن يعرفوا أين، وهو لا يحتمل غياب والديه وابتعادهم دون أن يخبروه أين هم، إذ يجب عليهم ألا يعاملوه بنفس طريقة معاملته لهم، فحاجة المراهق لمعرفة مكان تواجد والديه راجع إلى أنه يعتبرهم قاعدة حماية Base de sécurité.

فحسب **أنا فرويد** Ana Freud من الطبيعي للمراهق أن يكون مرتبطا بوالديه ومنتفضا ضدهما، أين يكون كريما ومبدعا وفي نفس الوقت أنانيا ومنطويا على ذاته، هذه التصرفات التي قد تعتبر غير سوية في مراحل أخرى من الحياة، تدل على الصعوبات التي يواجهها المراهق لكي يتمكن من تجاوز هذه المرحلة، فهم يحتاجون مساعدة الوالدين وقبولهم بالمحاولات التي يقومون بها في سبيل الوصول إلى تحقيق استقلاليتهم. (فيكتور سميرنوف، 1985، 218)

إن تجاوز التقمصات الوالدية يجعل من المراهق عنيفا أكثر تجاه والده من أجل أن يغدو رجلا. (Tony Anatrella, 1988, 151)

لدى الكثير من المراهقين فان هذا المرور غير حكيم ce passage pas sage ويرجع إلى أنماط التعلق التي تم نسجها في الطفولة، فإذا عرفت فقرا، فان الانفصال سوف يكون صعبا وقد يعاد إحياء القلق القديم للانفصال، أين يدخل المراهق في عمل شاق من أجل ضمان استقلاليته، في حين أن المراهقين المحظوظين بوالدين متسامحين ومتفهمين لمتطلبات هذه المرحلة الصعبة، فانهم يتجاوزونها بسلام. (Pierr. G Cosline, 2010, 27)

من بين الجوانب المهمة في حياة المراهق هي التوافق الاجتماعي، أين نلاحظ لدى المراهقين في هذا السن حسب **هيلين دوتش** Hélène Deutsch رفض النظام والقيم الثقافية وإسقاط مشاعر الفشل على الوسط، التعويض بالعنف والاعتراض على نمط المعيشة الذي يقدمه لهم الراشدون، ومن الناحية التحليلية يرى Victor Smirnov أن الاندماج الاجتماعي يتعلق بثلاث عوامل رئيسية:

- نوع ونمط العلاقات الغيرية لدى الطفل لها أثر على المراهق وتحدد شكل علاقاته مع الآخرين، وبشكل خاص مع صور السلطة أو صور الحب، فالعلاقة الأوديبية تؤدي إلى تركيز أو عدم تركيز المراهق على صور جديدة وعلى إقامة علاقة سوية أو مرضية مع الغير.
- يتعلق الاندماج بمصير الأركان النفسية للجهاز النفسي وخاصة الأنا الأعلى ومثال الأنا الذين يحددون شخصية المراهق في المواقف تجاه الواقع الاجتماعي، فسمات الخضوع والكف تدل على الهوامات اللاشعورية للمراهق نحو دوافعه ورغباته.
- تؤثر قساوة عقدة أوديب على وظائف الأنا وعلى ميكانيزمات الدفاع، فالتسامح مع الإحباط، تقمص المعتدي، التقمصات الخاضعة للتغيير السريع، الإنكار والتكوين العكسي كلها ميكانيزمات تؤثر على سلوكات الفرد نحو الآخر. (فيكتور سميرونوف، 1985، 222)

وترى **أنا فرويد** Ana Freud بأن المراهق ومن خلال سلوكاته غير المتناسقة يعيش معاناة ولكنها لا تحتاج لعلاج، بل يجب إعطاءه الوقت والحرية من أجل تمكينه من إيجاد طريقه المناسب بنفسه. (A. Freud 1976, 255) وهو نفس ما يقول به وينيكوت Winnicott أين يرى بأن المراهق كائن غير ناضج والعلاج الوحيد لعدم النضج هو الوقت.

وإن كان هنالك عمل علاجي فهو خاص في الغالب، يقتضي القيام بتدخلات متباعدة، نادرة وفعالة تترك المراهق يعيش بين الجلسات، فالمعالج هو المحدث الأول المتسامح والمتفهم والمتحمل للعدوانية، فهو يمثل امكانية جديدة للتقمصات، فالمعالج يجب ألا يكون مدافعا عن الواقع المحافظ والإرادة العائلية. (فيكتور سميرنوف، 1985، 218)

8 ـ التقمصات لدى المراهق في الكتابات التحليلية:

مثلما سبق وأن أشرنا تمثل المراهقة مرحلة لإعادة بناء وهيكلة التقمصات، وبناء تقمصات جديدة خارج إطار الأسرة، وهناك من الكتابات من تعرضت لميكانزيم وسيرورة التقمص خلال المراهقة، سوف نعرض لتلك الآراء فيما يلي بشيء من التفصيل:

8 ـ 1 ـ كاستمبرغ Kestemberg

في مقالها الموسوم **بـ الهوية والتقمص لدى المراهقين** 1962 تتكلم عن وحدة خاصة تغطي وظائف الأعراض والسلوكات المختلفة لديهم، أين ترى أن الصعوبات العلائقية لدى المراهقين مع الآخرين ترتبط بحاجاتهم إلى رفض الصور الوالدية، مع قلق يتعلق بشخصيتهم.

فمرحلة المراهقة حسبها تعتبر كمنظم نفسي Organisateur psychique يقوم بإعادة تنظيم بناء الأنا الذي يعيش تغيرات البلوغ، أين يجب عليه أن يدمج هذا النضج الفزيولوجي ضمن نظامه العلائقي الليبيدي ويجب عليه أن يتمكن من استثماره نرجسيا بطريقة كافية بعد تحولات صورة جسده، حيث تبعث الصورة التناسلية للجسد إلى إعادة إحياء صراعات أوديبية عتيقة كانت كامنة من قبل. (E (Kestemberg, 1999, 47

فالمراهق ومن أجل حماية نفسه من هذه الصراعات الأوديبية، يقوم برفض النماذج الوالدية الأولى Imagos ليكون قادرا على تأكيد ذاته ورغبة في سحب الليبيدو النرجسي على نفسه، وهذا ما يجعله يحس بقلق في الهوية يخص تماسك شخصيته، "إنه يريد أن يجعل من الآخر غريبا فيجد نفسه غريبا"، لذلك تظهر لديه مشاعر الوحدة والانسحاب النرجسي وفقدان تقدير الذات وجرح نرجسي يترجم من خلال مشاعر عدم القدرة على أن يكون محبوبا، أين تكون الاستجابات النرجسية تجاه القلق الموضوعي جد صراعية.

في هذه المرحلة يقوم المراهق بنزع الطابع الجنسي لتقمصات الطفلية الثنائية الجنسية التي شكلت حلا للصراع الأوديبي الطفلي، هذه التقمصات أصبحت صراعية ومرفوضة وتثير استفهام مقلق حول الهوية وانشغال حول التماسك الداخلي للفرد وشعور غير ملائم أو شعور بالغرابة أمان الصورة الجديدة للجسد.

حسب **كاستمبرغ** فإن "الهوية والتقمصات وجهان لعملة واحدة" فالجانب الصراعي للتقمصات جد متعلق بالصور الوالدية وحركة مشاعر الهوية في السلوك تعبر عن اضطراب يمكن أن يصل الى رفض الذات ككيان جنسي، فيأتي الحل من تشكيل مثال الأنا l'idéal de moi الذي يقوم بالبحث عن صورة مقبولة للذات تضمن إعادة التأمين النرجسي. (F. Marty, J. Y. Chagnon, 2006, 4)

فالمراهق بهذه التغيرات الجسدية يفهم خطر انكسار التوازن بين الاستثمارات الموضوعية والاستثمارات النرجسية، بواسطة ذوبان الليبيدو الموضوعي والليبيدو النرجسي، وكل صراع يخص الأول ينعكس في أعماق الثاني، أين تعود الصراعات الأوديبية المتعلقة بالمواضيع العتيقة، ويعاد تنشيط قلق الخصاء وقلق الموت تجاه انشغال متعلق بالهوية، وتكون الدفاعات المستعملة في ذلك متغيرة وصلبة مع أعراض غنية بدون مغزى في حد ذاتها، فسلوكات المراهق تكون غريبة وتستعمل كوضعيات مؤقتة للرد على القلق الذي يعيشه والحاجة الأساسية في هذه المرحلة هي تأكيد الذات في علاقاته مع الآخرين وإخفاء جرحه النرجسي.

8 ـ 2 ـ لوفر M Laufer

يرى أن الوظيفة الرئيسية لمرحلة المراهقة هي بناء نظام هوية جنسية نهائية مع إدماج صورة نهائية للجسم بما في ذلك الأعضاء التناسلية الناضجة والرغبات والتقمصات الجديدة، فالمراهق يرفض هجوم جسده الناضج التناسلي وبدلا من ذلك يديم علاقة مع الجسد الهوامي الذي يختلف عن الجسد الحقيقي، في قطيعة مع الواقع وكوسيلة للحفاظ على صورة جسد مثالي.

ويوضح **لوفر** مسألة هيكلة المثل العليا في صلتها بالحركات التقمصية المميزة لمرحلة المراهقة، أين يلعب مثال الأنا وظيفة الأنا الأعلى الذي يحتوي على الصور والصفات التي يسعى الأنا إلى اكتسابها من أجل استعادة توازنه النرجسي، فهو يحدد الصفات التي يجب على الفرد أن يتصف بها ليكون موضوع حب، فمع المتطلبات التناسلية الجديدة الناتجة عن البلوغ، تجتمع المثل العليا حتى تضمن الحب المفقود من طرف مواضيع الحب الأولى وتصوراتها المنضوية في الأنا الأعلى، والتي تساعد الفرد على

تحرير مصادر الإمدادات النرجسية التي أصبحت غير فعالة وتمهد الطريق نحو النضج العاطفي. (F. Marty, J. Y. Chagnon, 2006, 4)

وتقوم تقمصات الأنا بجماعة الرفاق بنقل آمال جديدة تدمج في مثال الأنا بدون تغير جذري في الأنا الأعلى، وهي تساعد الأنا على تغيير علاقاته وتشجيع التغيرات النسقية، هذه التقمصات الجديدة يمكن أن تساعد الأنا من خلال الدعم والسند النرجسي.

8 ـ 3 ـ بيتر بلوس Peter Blos

من خلال مفهوم السيرورة الثانية انفصال/فردنة séparation/ individuation يرى بأن المراهق يطرح مواضيعه المستدخلة من أجل استثمار مواضيع خارجية خارج الأسرة، وهناك عملية معقدة للتقمصات النرجسية تتعلق بعمل الحداد (الانفصال) والتقمصات الهستيرية التفردية الكامنة وراء السيرورة الثانية للانفصال/فردنة، التي تتجه الى طرح المواضيع الطفولية.

ويرى بلوس Blos أن حل عقدة أوديب يتبع تطور ثنائي الطور، الحل الإيجابي يسبق الدخول في مرحلة الكمون بل يسهل تشكلها وظهورها، في حين أن الحل السلبي يحدث في المراهقة أو في أواخرها ويسهل المرور إلى مرحلة الرشد. (F. Marty, J. Y. Chagnon, 2006, 5)

ويتكلم أيضا عن العلاقة أب/طفل، أين يرى بأن العلاقة المتعارضة ذات طبيعة التحدي والعدوان التي يسلكها المراهق نحو أبيه وأيضا مع الجنس الآخر تعتبر كدفاعات ضد إحياء عقدة أوديب السلبية، حيث أن انجذاب الابن نحو الأب، سلبيته، احترامه تعد عملية متناقضة مع نمو رجولته، ويصل الى حد حذف الدور المركزي للأوديب في نهاية تكوين رجولة المراهق.

8 ـ 4 ـ فيليب جامي Philipe Jeammet

تحدث جامي Jeammet عن مسألة تغير التقمصات خلال مرحلة المراهقة، فالمراهق عليه أن يراجع تقمصاته الطفلية من خلال ادماج الصورة الجديدة للجسد الجنسي الموروثة من قبل البلوغ، هذا ما يؤدي إلى تقلد هوية رجل أو امرأة، هذه الحركة من تغير التقمصات تتم جنبا إلى جنب مع ضرورة أخذ مسافة واستقلالية عن الآباء، واستدخال مرونة أكبر وقاعدة نرجسية تمكنه من التخلص من التبعية الطفلية.

فالمراهقة ومن خلال تأثيرها الصدمي تشكل أثر موقظ لنوعية التنظيم النرجسي الأولي، وتخلق ظروف محتملة للتنافر بين الاستثمارات النرجسية والموضوعية، هذا من شأنه أن يفجر اضطرابات نفس مرضية لدى المراهق.

فجودة الأسس النرجسية لدى المراهق تعتمد على نوعية التعاملات المبكرة والدين/ طفل، واللذة المستمدة من المواضيع الخارجية والشبقية الذاتية وقدرة الفرد على البقاء وحيدا، باختصار تأتي من الأمان الداخلي المكتسب من خلال نظام التعلق الآمن Attachement Sécure الذي ينظّر له بولبي Bowlby من خلال نظرية التعلق، أين تكون الحدود بين الفرد والموضوع واضحة، ويقوم الأوديب بتنظيم البُنى الداخلية والصور المختلفة وإطفاء الصراع المميز للمراهقة بين الجوع الموضوعي والحاجة إلى الحماية النرجسية، وعودة متناغمة للتقمصات الناضجة. (F. Marty, J. Y. Chagnon, 2006, 6)

في حين يظهر الفقر النرجسي من خلال الاعتماد الطفلي وحدود أكثر مسامية بين الفرد والموضوع، قلق انفصال واسع، الأوديب مثير، العلاقات مع الموضوع ومع الآخرين – والتي تعتبر ضرورية لإرصان نهائي للتقمصات – جد مهددة للهوية والاستقلالية لدى الفرد.

8 ـ 5 ـ فيليب غوتون Philipe Gutton

اقترح غوتون Gutton نظرة متجددة حول المراهقة باعتبارها مرحلة لتجديد جذور الطفولة مما يجعل من المراهقة سيرورة نفسية أصيلة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الفرد.

ويرى بأن البلوغ يرسل الطابع الجنسي للعمل النفسي من خلال تصورات جنسية محرمية مثبتة في الواقع البيولوجي، ويقوم بممارسة ضغط على المراهق ما يجعله في أزمة ويصطدم بحاجز زنا المحارم من طرف التنظيم الأوديبي الطفولي، ففي المراهقة يتابع الطفل طريق الأوديب بصورة مأساوية وعنيفة في حين أن المراهقة تقوم بنزع الطابع الجنسي النزوي العنيف. (F. Marty, J. Y. Chagnon, 2006, 6)

إذن فالمراهقة هي عمل إرصاني لا يمكن أن يتم من دون عناصر البلوغ، وهي تستخدم سيرورات المثل العليا التي نشأت في مرحلة الطفولة ومثال الأنا والتقمصات بهدف نزع الطابع الجنسي عن التصورات المحرمية، من أجل الذهاب إلى اختيار موضوع مناسب للمعطيات التناسلية الجديدة.

فحسب غوتون المفهوم المتعدد للتقمص ينظر إليه بطريقة هامة خلال سيرورات المراهقة، لأنه يركز على الصراع الطفولي والصراع الحالي – البلوغ – صراع يتسبب في تغيرات نفسية هامة إزاء الجسد

الناضج من أجل إدماج هذا النضج في الاستمرارية التطورية التي تقود المراهق الى عمل نفسي مكثف يدول حول فكرة التكامل بين الجنسين.

8 ـ 6 ـ رايمون كان Raymond Cahn

قام **كان** Cahn بأبحاث حول المراهقة السوية والمرضية مركزا على مفهوم الفردنة Subjectivation الذي يعد سيرورة تمايز تسمح للفرد من خلال معطياته الداخلية، بإدماج جسده الجنسي واستعمال قدراته الإبداعية وإظهارها كنشاط تصوري، مع القدرة على البقاء متكاملا عند فك الارتباط والتحرر من قيود الأخر. (R. Cahn, 2002, 111)

ويمر عمل الفردنة عبر سيرورات نفسية لنزع الاستثمار – نزع التقمصات من الوالدين باعتبارهم مواضيع أوديبية وارتباط/فك ارتباط لاكتساب تقمصات جديدة في وظيفتها، وتقمص/استثمار مواضيع حب جديدة تمكن من الطرح التدريجي للروابط القديمة، يحدث هذا في الحالة السوية، أين يكون هنالك امكانية البقاء ضمن تلك التغيرات، في حين أن الجانب المرضي يظهر من خلال قطبين متقابلين:

- القطب الأول: يكون فيه رفض واضح وكبير للصور الوالدية، وهو ما قد يؤدي بالمراهق نحو بناء هوية سلبية أو فقدان/تحطيم المواضيع البدائية ذات القوة النفسية الثقيلة؛
- القطب الثاني: يبقى الفرد مثبت سلبيا على المواضيع البدائية مع تناقض وجداني Ambivalence يؤدي إلى فشل سحب الاستثمار نظرا لهشاشة التقمصات. (F. Marty, J.Y. Chagnon, 2006, 7)

والإشكالية التقمصية في المراهقة حسب **كان** Cahn تسجل في سياق نزع الطابع الجنسي للتقمصات والأنا الأعلى، واستثمار مواضيع جديدة – مواضيع رغبة / تقمص – الى جانب نبذ المواضيع القديمة، في حين أن انكسار التوازن بين الليبيدو النرجسي والليبيدو الموضوعي يكون لصالح الأول، أين تظهر تساؤلات وقلق متعلق بالهوية، ومن هذا التفاعل الخاص في المراهقة بين النرجسية والموضوعاتية، يظهر جيدا أن الاتصال بين الهوية والتقمصات له دور هام في هذه المرحلة العمرية الحساسة. (R. Cahn, 2002, 112)

من خلال طرحنا لهذا التنظير الذي يجمع بين كثير من الآراء ووجهات النظر حول التقمصات في المراهقة يتضح لنا بأن سيرورات التقمص تحرر بعض الجوانب المعقدة والتفارقية والمتناقضة أحيانا، كانعكاس لا بد منه للصراع في النفس البشرية، وتدعم في الأخير العلاقة الوثيقة بين الفرد ومحيطه، فليس هنالك ذاتية دون تفاعل بين الذاتيات il n'y pas de subjectivité son intersubjectivité

أين يجد الفرد نفسه في مواجهة الثنائيات التي تتشكل: داخل/خارج، جسد/نفس، شعور/لاشعور، فسيرورة التقمصات هي تفاعلية بين النرجسي/الهستيري، الإسقاط/الإستدخال هذه الثنائيات تُطرح عند كل أزمة تظهر في المراهقة، وتفرض ضغط بين الاستقرار والتغير الذي يطبع إشكالية المراهقة.

خلاصة:

تعد المراهقة مرحلة نمو هامة تتميز بالعمل النفسي الدينامي الشاق الذي يتم خلالها، تشير إلى سيرورة هامة من النمو النفسي وتفرض على الفرد تغيرات على مستوى التوازن بين العالم الداخلي والعالم الخارجي، ما يدفع بالمراهق إلى إعادة تنظيم التوازن بين النرجسية، العلاقة مع الموضوع وارتباطه واستقلاليته.

ويصاحب هذه المرحلة تغيرات على مستويات مختلفة؛ حركة الطاقة الجنسية والتغيرات النزوية، تغير صورة الجسد الناضج أين يجب على المراهق إدماج عناصر البلوغ في التنظيم النفسي الجديد لينتقل من الوضعية الاعتمادية الطفولية إلى استقلالية واعتماد أكثر عن النفس، ووضعية اكتئابية ناتجة عن إشكالية الانفصال، مع عمل حداد على مواضيع الحب الأولى ليتمكن من استثمار مواضيع جديدة، ضف إلى ذلك تغيرات على مستوى النرجسية وإشكالية الهوية والتقمصات أين يلجأ المراهق الى البحث عن نماذج جديدة خارج الأسرة.

وقد تعدد الآراء التحليلية التي قامت بالتنظير لهذا المفهوم لكنها تجمع في معظمها على الطابع الصراعي الذي يميزها، وقد ركزنا في تناولنا على التقمصات، فرغم كل هذا العمل الصعب إلا أنها تدعم في الأخير العلاقة الوثيقة بين الفرد ومحيطه.

الفصل الثالث:

الإدمان

- مفهوم الاعتماد؛
- المخدرات؛
- التناول السيكاتري لمفهوم الإدمان؛
- فرويد ومشكلة الإدمان؛
- الإدمان في الكتابات بعد الفرويدية،
- التناول الميتاسيكولوجي الحديث؛
- الشخصية الإدمانية؛
- الإدمان كسلوك مرور إلى الفعل؛
- المراهقة والادمان.

تمهيد:

تعد مشكلة الإدمان أحد المشاكل كثيرة الانتشار في عالم اليوم، تلقي بآثارها السلبية على الأفراد والمجتمعات في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية، وتتعدد أنواعها بين الإدمان على السجائر، اللعب، الشراء، الانترنيت والإدمان على المخدرات الذي يعد موضوعنا، ومع مرور الزمن يصبح الاعتماد المشكلة الرئيسية، أين يجد الفرد نفسه في دوامة الحاجة الدائمة للمادة المخدرة ومضاعفة الجرعة لتمنح نفس التأثير، وهذا ما يحيلنا الى الصبغة العلائقية بين المدمن والمادة.

ولعل السن الذي يتجه الفرد فيه نحو تعاطي وإدمان تلك المواد بكثرة هو سن المراهقة، تلك المرحلة التي يحاول الفرد فيها التخلي عن مواضيعه الأولية العائلية ليتجه نحو استثمار مواضيع خارجية، ومن بين المواضيع التي يلجأ إليها المراهق نجد المواد المخدرة، ليشير تعامل المراهق مع المادة الى أحد الأوجه العلائقية التي يكونها مع مواضيع الحب.

في هذا الفصل سنعرض بشيء من التفصيل لمفهوم الإدمان والاعتماد، ونركز على الجانب العلائقي للمدمن مع المادة من خلال النظريات التفسيرية لهذه الظاهرة، وخصوصية الإدمان لدى المراهق.

1 ـ مفهوم الاعتماد:

يحتل مفهوم الاعتماد قيمة نظرية محورية في فهم ظاهرة الإدمان، أين يمكننا من نسج علاقة بين الاعتماد على المادة والاعتماد على الموضوع من وجهة نظر علائقية، ومن خلال اطلاعاتنا نجد الكثير من المراجع تتكلم عن تعريف الاعتماد بدل الإدمان، إذ أن هذا الأخير يتحدد من خلال اعتماد الفرد عن مادة ذات تأثير نفسي، لا يستطيع الاستغناء عنها، وفيما يلي سوف نورد تعريف الاعتماد:

تعرف المنظمة العالمية للصحة OMS الاعتماد بأنه حالة نفسية وأحيانا عضوية تنتج عن تفاعل الفرد مع المادة، ومن خصائصها استجابات وأنماط سلوك مختلفة تشمل دائما الرغبة الملحة في تعاطي المادة بصورة متصلة أو دورية، للشعور بآثارها النفسية أو لتجنب الآثار المزعجة التي تنتج عن عدم توفر المادة، وقد يدمن الفرد على أكثر من مادة واحدة. (Mercelli, Braconnier, 2011, 381)

باختصار يمكن أن نعرف الاعتماد على أنه "عدم القدرة على الامتناع عن الاستهلاك". (Guylaine Benec'h, 2014, 3)

الإدمان على المخدرات la toxicomanie هو اضطراب نوروبيولوجي يرجع إلى عوامل وراثية، نفس اجتماعية ومحيطية، يتحدد من خلال مجموعة سلوكات: فقدان التحكم في استهلاك المادة، الاستعمال القهري واستمرار الاستهلاك رغم خطورته. (Marilyn et al, 2010; 5)

وتحدد المنظمة العالمية للصحة OMS مجموعة مميزات تحدد الاعتماد، تظهر في نفس الوقت خلال الثلاث سنوات الأخيرة وهي:

- رغبة قوية أو قهرية في استعمال المادة النفسية؛
- صعوبة التحكم في استعمال المادة؛
- ظهور أعراض الانسحاب الفيزيولوجية عند تقليل أو إيقاف تناول المادة النفسية؛
- تحمل أثار المادة النفسية، أين يكون الفرد في حاجة الى كمية أكبر من أجل الحصول على الاثر المرغوب؛
- إهمال تدريجي لرغبات واهتمامات أخرى نتيجة استهلاك المادة النفسية؛
- زيادة الوقت المستغرق في استهلاك واسترجاع أثار المادة. (Marie de noailles et al, sd, 14)

ويؤدي السلوك الادماني إلى:

- زيادة التوجه نحو سلوكات المرور إلى الفعل le passage à l'acte؛
- زيادة الاستعمال المتتالي للمادة ومشتقاتها لدى الفرد؛
- يؤول التوظيف العلائقي لدى المدمن نحو توظيف يتمحور حول الذات. (Mercelli, Braconnier, 2011, 381)

نفرق بين نوعين من الاعتماد، اعتماد نفسي واعتماد جسدي:

الاعتماد النفسي: حالة ناتجة عن استهلاك المادة تسبب الشعور باللذة والاشباع، تولد دافع نفسي لتناول المادة مرة أخرى بصورة دائمة لتحقيق لذة أو لتجنب الشعور بالألم.

الاعتماد الجسدي: حالة ناتجة عن تفاعل طويل وتعود الجسم على المادة النفسية، أين يظهر على المدمن اضطرابات نفسية أو جسدية عند الامتناع عن استهلاك المادة، ويحدث أن تعتاد أجهزة الجسم على المادة، فتكون في حاجة إلى جرعة أكبر من أجل الحصول على نفس الأثر، ويعد الاعتماد الجسدي أكثر خطورة من الاعتماد النفسي، لأنه يؤدي إلى اضطرابات شديدة في الجسم أو الوفاة.

من المهم أيضا أن نميز بين الإدمان l'addiction والتعاطي l'usage فمن خلال ملاحظاتنا نقول بأن الإدمان يتحدد بمدة زمنية طويلة في استهلاك المادة، في حين أن التعاطي يطلق على التجارب الأولى في استعمال المادة ولا يصاحبه اعتماد جسدي، حيث أن التوقف عن تناول المادة لا ينجر عنه أعراض الانسحاب، بعبارة أخرى المتعاطي هو من يتحكم في المادة المخدرة، في حين أن المدمن تتحكم فيه المادة، يمكن أن نقول أيضا بأن السلوك الذي يحرك المتعاطي في السعي نحو المخدر هو الرغبة le désire فيما سلوك المدمن مدفوع بالحاجة le besoin.

2 ـ المخدرات:

تعرف المخدرات على أنها كل العقاقير من النباتات والمواد الكيميائية والمشروبات الكحولية ومشتقاتها والتي تحتوي على مواد تؤثر على الفرد وتؤدي الى خلل في الوظائف العقلية وتؤدي الى الإدمان عليها، وتؤدي الى رغبة في الاستمرار في تناولها وقد تكون لهذه المواد آثار هلوسية، منبهة، مثبطة للأعصاب، تسكين الألم أو تؤدي إلى غياب الوعي. (Porot, 1995, 719)

تحدد جمعية الطب النفسي الأمريكية L'APA من خلال دليلها التشخيصي DSM5 المواد المخدرة في فئات، نوجزها فيما يلي:

2 ـ 1 ـ الكحول Alcool:

تعتبر أكثر المخدرات انتشارا واستهلاكا، ويعد إدمانها مشكلة شائعة في كثير من المجتمعات ليعد مشكلة صحية كبيرة، تلقي بآثار أسرية، اجتماعية، مهنية وقانونية.

2 ـ 2 ـ الأمفيتامين l'amphétamine:

مستحضر كيميائي على شكل كبسولات أو أقراص، لها تأثير مشابه للأدرينالين، يعد منشط قوي للجهاز العصبي المركزي، يتم تناولها عن طريق الفم، لكن الرغبة الشديدة تجعل المدمنين عليها يستعملونها عن طريق الحقن في الوريد، تظهر الحاجة له بعد ساعتين من آخر جرعة.

2 ـ 3 ـ الكافيين la caféine:

تتوفر هذه المادة في القهوة، الشاي والكاكاو، يؤدي إلى اعتماد نفسي يظهر من خلال زيادة الشرب، وله ثلاثة تأثيرات رئيسية: تأثير منشط للجهاز العصبي المركزي يظهر من خلال النشاط وقلة

النعاس، وتأثير على الجهاز البولي من خلال زيادة إدرار البول، وتأثير منشط للجهاز الدوراني من خلال زيادة سرعة نبضات القلب.

2 ـ 4 ـ القنب le cannabis:

يعد القنب من فئة المثبطات، يتم تعاطيه عن طريق التدخين، يعطي شعور وهمي بالرضا والراحة والمرح تزول بعد عدة ساعات لتترك أعراضا عكسية، والملاحظ ان التوجه نحو تعاطي القنب أكثر انتشارا لدى فئة المراهقين، ليظهر فيما بعد توجه نحو تعاطي مواد ذات أثر اعتمادي أكبر.

2 ـ 5 ـ الكوكايين la cocaïne:

مادة بيضاء تستخرج من نبات الكوكا، لها تأثير منبه للجهاز العصبي، تم استخدامه في البداية كمخدر موضعي لجراحات العيون، يؤدي تناوله الى إحساس بالنشوة مصحوب بحساسية زائدة للمثيرات الحسية، مدة التخدير قصيرة تتبعها حالة قلق واكتئاب، له تأثيرات قوية على الجهاز العصبي تؤدي الى التهيج والانهيار، كما يثير مخاوف وهذيانات وهلاوس، وفي بعض الأحيان يؤدي الى سلوكات عدوانية لدى الشخص الذي يتناوله.

2 ـ 6 ـ المهلوسات les hallucinogènes:

هي مجموعة من المواد التي تثير لدى الشخص الذي يتناولها أعراض هلوسية سمعية أو بصرية دون أن يصاحبها هذيان، تفصل الفرد عن الواقع وتؤدي الى اضطراب في المعرفة والإدراك كما أنها تؤدي الى أنماط سلوكية مثل تلك الموجودة في الذهان، تختلف آثارها من حيث سرعة بدء التأثير ومدة استمراره، وشدته.

لها تأثيرات على الجهاز الدوراني، فتؤدي الى تسارع نبضات القلب وارتفاع الضغط الدموي، كما تؤدي الى الوهن، الارتعاش، اضطراب المهارات اليدوية والتوازن الحركة...

2 ـ 7 ـ المواد المتطايرة les solvants volatils:

مجموعة من المواد المستنشقة مثل البنزين والغراء، يتصف هذا النوع من التعاطي باعتماد نفسي، يؤدي استهلاكها الى تغيرات سلوكية أو نفسية غير تكيفية مثل التوتر، العدوانية، اختلال في الأحكام واختلال في الوظائف الاجتماعية والمهنية، ويعتبر جد خطير أين يؤدي الى اضطرابات بصرية وله أثر على أنسجة الدماغ ونقي العظام والكبد الكليتين.

2 ـ 8 ـ النيكوتين la nicotine:

تعد مادة النيكوتين المادة الفعالة في التبغ، لذلك فان تأثير تدخين واستهلاك التبغ هي نفسها آثار النيكوتين، يؤدي الى اعتماد نفسي، والانقطاع عنه يؤدي الى اللهفة والانتكاس.

2 ـ 9 ـ الأفيون les opiacés:

يستخرج من نبات الخشخاش، وتتعدد المواد التي تستخلص منه ليتم تناولها طبيعية أو نصف مصنعة مثل الهيروين والمورفين، تستخدم عن طريق الفم أو تحت اللسان، كما تستخدم عن طريق الحقن ليؤدي الجرعات الزائدة منه الى الموت، يبدأ أثره بإحساس بالمتعة والنشوة لتنتهي بإحباط وملل.

2 ـ 10 ـ المهدئات، المنومات ومضادات القلق les sédatifs, hypnotiques et anxiolytiques:

هي مستحضرات كيميائية لها استخدامات طبية عديدة، كمهدئات ومضادات للصرع وتساعد على استرخاء العضلات وكعلاجات للتوقف عن استهلاك الكحول، غير أن استعمالها لمدة طويلة يؤدي الى الاعتماد النفسي والعضوي، ومن ثم فان التوقف عنها يخلف أعراض انسحاب تتمثل في القلق والأرق وعدم الاستقرار واضطرابات سلوكية كالعدوانية، ومعرفية كالنسيان وضعف القدرات العقلية.

3 ـ التناول السيكاتري لمفهوم الإدمان:

تنظر الجمعية الأمريكية للطب النفسي **L'APA** لظاهرة الإدمان باعتبارها اضطراب متعلق باستعمال مادة نفسية مثل: الكحول، الكافين، النيكوتين، القنب، الكوكايين، المواد المتطايرة، الأمفيتامينات، المهلوسات، المسكنات، المنومات، مزيلات القلق، وهي تستعمل مفاهيم مختلفة في تناولها من خلال الدليل التشخيصي والإحصائي الرابع للاضطرابات العقلية **DSM 4**، وفيما يلي سوف نذكر تلك المفاهيم:

3 ـ 1 ـ الاعتماد dépendance à une substance

نمط من سوء التكيف في استخدام مادة، يؤدي إلى اختلال أو معاناة ذات دلالة عيادية، تظهر من خلال وجود ثلاثة (أو أكثر) من الأعراض التالية، لفترة **12** شهراً متواصلة:

- التحمل **tolérance**، كما يحدّد بواحد مما يلي:

  - حاجة إلى زيادة واضحة في مقادير المادة لبلوغ التأثير المرغوب؛

- تأثير متناقص بصورة واضحة مع الاستخدام المتواصل لنفس المقدار من المادة.

– الامتناع **sevrage**، كما يتظاهر بواحد مما يلي:

- متلازمة الامتناع المميّزة لمادة؛
- تناول نفس المادة (أو مادة مشابهة) لتخفيف أو تجنب أعراض الامتناع.

– غالباً ما تؤخذ المادة بمقادير أكبر أو لفترة أطول مما كان مقصوداً؛

– هناك رغبة متواصلة أو جهود غير ناجحة لتخفيض أو ضبط استخدام المادة؛

– بذل كثير من الوقت والجهد للحصول على المادة؛

– التخلي عن النشاطات الاجتماعية أو المهنية أو الترفيهية بسبب استخدام المادة؛

– تواصل استخدام المادة رغم العلم بالآثار النفسية أو الجسدية الدائمة لها. (APA, 2005, 228)

3 ـ 2 ـ سوء الاستخدام Abus d'une substance

نمط من سوء التكيف في استخدام مادة يقود إلى اختلال أو معاناة ذات دلالة عيادية، تظهر من خلا واحد (أو أكثر) من التالي، يحدث ضمن فترة **12** شهراً:

– استخدام متكرر لمادة ينشأ عنه إخفاق في الالتزامات الأساسية في العمل أو المدرسة أو المنزل؛

– الاستخدام المتكرر للمادة في أوضاع تسبب خطورة جسدية مثل قيادة سيارة؛

– مشكلات قانونية معاودة بسبب استخدام المادة؛

– الاستخدام المستمر للمادة رغم المشكلات الاجتماعية أو الشخصية الدائمة أو المتكررة. (APA, 2005, 230)

3 ـ 3 ـ التسمم Intoxication à une substance

يظهر من خلال الأعراض التالية:

– تطور أعراض نوعية ناجمة عن تناول مادة نفسية أو التعرض لها؛

– تغيّرات سلوكية أو نفسية غير تكيفية ذات دلالة عيادية ناتجة عن تأثير المادة على الجهاز العصبي المركزي، مثل العدوانية، تقلب مزاج، اختلالات معرفية، اختلال في الوظائف الاجتماعي أو مهنية، هذه الأعراض تظهر أثناء استخدام المادة أو بعد فترة قصيرة من استخدامها. (APA, 2005, 232)

3 ـ 4 ـ الانسحاب Sevrage à une substance

– تطور أعراض نوعية ناجمة عن إيقاف أو تقليل الجرعة بعد الاستخدام الطويل للمادة؛

– تسبب الاعراض النوعية اختلال أو معاناة ذات دلالة عيادية في الأداء الاجتماعي أو المهني أو مجالات أخرى هامة. (APA, 2005, 233)

إذا كان التناول السيكاتري لمشكلة الإدمان يتجه نحو اعتبار المادة المخدرة حجر الأساس في تجربة الإدمان، ومن هنا فقد حاولت إعطاء نوع محدد للإدمان يختلف باختلاف المادة المستهلكة، فان التناول التحليلي يركز على السلوك الادماني في حد ذاته بغض النظر عن المادة المستعملة، حتى أن هنالك إدمان دون مخدرات Addiction son drogue مثل السلوكات الغذائية (فقدان الشهية Anorexie والشره Boulimie) الشراء القهري، اللعب المرضي، الإدمان الجنسي.

فيما يلي سوف نعرض التناول التحليلي لمفهوم الإدمان، من خلال المنظور الزمني لتطور الأفكار التي تفسر هذه الظاهرة:

4 ـ فرويد ومشكلة الإدمان:

يعد مقال de la cocaïne من الكتابات القليلة التي تكلم فيها فرويد عن مادة مخدرة، أين أعجب بتأثير الكوكايين على الجسم، وقدرته على تغيير المزاج والتخفيف من أثار التعب والاكتئاب واستعماله كمخدر في العمليات الجراحية، وقد وصفه لصديقه Fleisch الذي كان مصابا بالتهاب، لكن سرعان ما أصبح مدمنا عليه وأدى به في الأخير الى الوفاة، هذه التجربة الشخصية ألقت أثر كبير على فرويد وآراءه حول المخدرات. (Jacques Sedat, 2009, 46)

وعرف عن فرويد أنه لم يكن يطيق إدمان المخدرات خاصة في أواخر حياته، على الرغم من الألم الناجم إصابته بالسرطان إلا أنه كان يرفض استعمال المسكنات بغية تخفيف الألم أو أن يفقد وعيه، أو أن يتيح لنفسه أن يصبح معتمداً على المخدرات، وكان فخوراً بقدرته على التفوق عن نفسه، وهذا على

الرغم من إدمانه على النيكوتين الذي كافح سنوات عديدة ضد ما أسماه "عادتي" أين أشار إلى أنها نتاج تقمصه لأبيه باعتباره مدخنا. (بول روزن، 1995، 71)

وفي تفسيره للإدمان، أنطلق فرويد في البداية ومن خلال كتاب *الإثيولوجية الجنسية للعصاب* 1898، حيث رأى بأن النموذج النزوي للاستمناء la masturbation هو الحاجة الوحيدة لدى الفرد، والمواد الأخرى التي يستعملها هي فقط مواد تعويضية، وانتقل فيما بعد إلى اعتبار الإدمان يحدث ضمن إشكالية تثبيت في المرحلة الفمية، أين يرى في 1905 أن بقاء الاستثارة الفمية تجعل الفرد مهيأ لأن يكون مدخناً أو مستهلك خمر. (Coblence, 2002, 372)

وفي *الحداد والميلانخوليا* 1915 قال بأن التسمم الكحولي يعادل عمل الكبت، كلاهما يؤدي إلى إخفاء عناصر من ساحة الشعور. (Jacques Sedat, 2009, 46)

تتابع التسلسل في الفكر الفرويدي حول مشكلة الإدمان يقودنا إلى ما أورده في كتابه *قلق في الحضارة* 1929 *Malaise dans la civilisation*، أين كتب بأن هناك بعض المواد الكيميائية بتواجدها في الدم والأنسجة توفر إحساسات محببة فورية، وأنها تعدل شروط حساسيتنا إلى حد لا نعود قادرين على الشعور بأي إحساس مزعج، هذا مع أن مفعول المخدرات يحظى بتقدير عظيم، ويعتبر دواء فعال في سبيل تأمين السعادة أو إبعاد شبح التعاسة. (فرويد، 1997، 25:26)

ومن هنا نفهم بأن التفسير الأخير الذي صاغه **فرويد** حول الإدمان كان يدور حول فكرة الإشباع وفق مبدأ اللذة.

5 ـ الإدمان في الكتابات بعد الفرويدية Poste Freudienne

تناولت الكثير من الكتابات التحليلية إشكالية الإدمان، وحاولت أن تصوغ تفسير يساعد على فهم هذه الظاهرة، مركزة على المفاهيم التحليلية، فيما يلي سوف نعرض لبعض تلك الأفكار:

5 ـ 1 ـ سندور رادو Sandor Rado

استعمل **رادو** 1926 مفهوم النشوة الفرماكولوجية l'orgasme pharmaco génique ليصف النشوة التي يقدمها استعمال المادة المخدرة والتي تشابه النشوة الغذائية التي حصل عليها الرضيع من الثدي، إذن فالتجربة الإدمانية تدفعها رغبة شبقية ذاتية Autoérotique، أين يلعب الفم دوراً أساسياً فيها، وفي عام 1933 قدم نظرة أخرى للإدمان، بإرجاعه الى اضطراب اكتئاب ابتدائي déprissions

initiale أين يمثل المخدر الأمان ضد المعاناة، ويعطي الفرد القوة الكاملة، ويمكنه من استرجاع نرجسيته الأصلية الكاملة، ويمنحه صلابة ضد الموت.(Sandor RADO, 1975, 603)

5 ـ 2 ـ سيمال G Simmel

ينظر الى الإدمان على المخدرات كعصاب نرجسي، أين يعوض الجسد الجهاز النفسي غير المستعمل من طرف الفرد، فاستعمال الجسد يكون من خلال ردود فعل جسدية شديدة خلال التوقف عن استعمال المادة المخدرة، واستعمالها يكون كدفاع ضد الميلانخوليا. (janine pages-berthier, 1993, 2)

5 ـ 3 ـ ايدوارد غلوفر Edward Glover

يرى بأن المدمن يقف على أرضية اكتئابية، لذلك فإن استعمال المخدر يعد محاولة للعلاج الذاتي Auto-guérison ووسيلة للكفاح ضد الاكتئاب والحفاظ على الذات من الانتحار، فالسلوكات الإدمانية تشكل محاولات للحماية الذاتية ضد تهديد التشتت الذهاني.

ويضيف غلوفر بأن الإدمان يعد حالة بينية Etat Borderline، أين يضع المدمن قدم في الذهان وآخر في العصاب، وهو في حالة انتقالية له جانب عصابي خلال نموه للحفاظ على العلاقة مع الواقع، رغم أن العلاقة مع المخدرات تخفي انحداراً نحو البارانويا. (janine pages-berthier, 1993, 3)

5 ـ 4 ـ روزنفالد Herbert Rosenfeld

يرجع الإدمان إلى صراعات بدائية خلال الطفولة الأولى، أين يلعب الصراع الأوديبي والجنسية المثلية دورا هاما في سيكولوجية المدمن، يعتبر الإدمان اضطراب هوس اكتئابي، حيث يتعلق الهوس بالقدرة المطلقة للهدم، والاكتئاب بالتقمص مع موضوع مريض أو ميت، ومن هنا فالإدمان هو تقوية لدفاعات ضد القلق والنزوات السادية، إلا أن الهوس الإدماني لا يساعد الفرد على إيجاد علاقة مع الموضوع، لأن المخدر أخذ مكان كل المواضيع. (janine pages-berthier, 1993, 3)

5 ـ 5 ـ جايمس James Gammil

يرى بأن السادية التي تظهر في المراحل المبكرة من النمو الليبيدي، تساعد على فهم تفسير الاتجاه نحو الإدمان، أين يتجه الفرد نحو استعمال ميكانيزمات شبه فصامية، حيث يعوض المخدر الموضوع الإنساني.

وفي هذا الاضطراب يعوض الموضوع الانتقالي الموضوع الإنساني وليس مجرد رمز له، فتظهر المخدرات كموضوع جزئي مرضي تعطي للمدمن مشاعر قوة مطلقة، ويعد الإدمان نكوص لمرحلة نمو باكرة، أين كان الفرد يستثمر غياب الموضوع ليقوم بتحقيق هلوسي لرغبته، أمام إنكار أهمية الموضوع الإنساني، ويقوم بصرف طاقته مع الموضوع المرغوب، هذه الدفاعات المرضية تُظهر خلل أساسي في مثال الأنا، تقدير الذات ومشاعر الهوية الذاتية. (janine pages-berthier, 1993, 3)

تشترك هذه التناولات في اعتبار الإدمان يبنى على إشكاليات على مستوى الطفولة وبناء الشخصية، يرتبط مع القدرة على ارصان الصراع الأوديبي، ثم اعتبار المدمن في وضعية اكتئابية، أين يلجأ الفرد إلى المادة المخدرة كموضوع انتقالي.

6 ـ التناول الميتاسيكولوجي الحديث:

سوف نعرض للتفسير الحديث للإدمان بطريقة كلاسيكية مثلما دأب عليه التفسير التحليلي للظواهر النفسية، أين ينظر للظاهرة من وجهات نظر ثلاث: طبوغرافية، اقتصادية ودينامية.

6 ـ 1 ـ وجهة النظر الطبوغرافية Point de vue topique

يركز التحليل النفسي على العلاقة التي يكونها الفرد مع المادة التي يدمنها، وسعيه الدائم نحو البحث عنها وتكرار تلك التجربة التي تمنحه الإحساس باللذة، تلك اللذة تدوم لفترة قصيرة لتختفي بعدها وتترك الفرد أمام الواقع باحثا عن تجربة أخرى، في دائرة مغلقة يدور خلالها نحو تدمير نفسه من أجل البحث عن الإشباع.

وانطلاقا من مرحلة المرآة stade du Miroir التي قام ببنائها والتنظير لها **جاك لاكان** Lacan، فهذه المرحلة تسمح للطفل باكتشاف استقلاليته عن الأم ككائن مستقل منفصل له وجوده المنفرد، وتساعده على بناء أولى التقمصات وتشكيل هويته الخاصة، ولكن عند حدوث مشكل في تحقيق هذه المرحلة ودورها الأساسي، فان الطفل سوف يبقى ضمن علاقة ثنائية مع الأم، وهو ما يجعله في حاجة دائمة إلى علاقة اعتمادية خلال حياته، أين يشكل الإدمان على المواد المخدرة بديل للاعتماد على الأم.

فحسب أوليفونستاين Olievenstein فان الادمان هو انزلاق لدى الفرد في مرحلة نشأة التقمصات، تلك المرحلة التي يكتشف الفرد فيها نفسه من خلال الآخر، هذا الاكتشاف يسمح له بمعرفة أنه مستقل عن أمه وتشكيل moi-fusionne-mère، ولتفسير الإدمان يستخدم استعارة المرآة المكسورة

stade de miroir brisé، أين يكتسب الطفل صورة مكسورة وغير كاملة عن ذاته، يشير إليها باعتبارها انكسار نرجسي narcissisme brisé. (janine pages-berthier, 1993, 5)

وحسب **بيرجوري** Bergeret فان حياة المدمن عرفت صعوبات علائقية كبيرة، أين لم يكن هنالك ثنائية وجدانية Ambivalence بين الحب والكراهية في علاقاته مع الموضوع، والتقمصات التي بناها هي محاكاة وتقليد أكثر وتتسم بالسطحية، وينتهي العمل النفسي لتقمص الأب بالفشل، ومن ثم فان هناك صعوبة في تجسيد قوانين الأب لدى المدمن، هذا الأب لا يوحي بالثقة ويبقى خارج النظام العلائقي في تصورات المدمن. (Bergeret, Fain, 1981, 20)

ويضيف بأنه مع وجود تعلق سيء مع الموضوع الأوديبي، وخيبة الأمل في الاعتماد على المواضيع الأولى، فانه يلجأ إلى استبدالها من خلال خلق سحري لجو تخيلي يستطيع من خلاله تحقيق رغباته. (Mercelli, Braconnier, 2011, 399)

إذن فهيكلة شخصية المدمن تكون سيئة أين يكون الأنا الأعلى هش، ذلك الجهاز الذي يعطي الفرد القيم والقوانين، فعدم إستدخال قوانين الأب، يجعله يفتقد إلى هيئة داخلية لتجسيد القانون، عندئذ يصبح أي قانون وكأنه خارجي ومفروض من الآخر، وهذا ما قد يفسر التوجهات ضد الاجتماعية وضد القوانين الذي نلاحظه لدى بعض المدمنين.

إن النظرة الطبوغرافية المفسرة للإدمان تشير الى أن المدمن لا يزال ضمن إشكالية اكتشاف هويته التي لم تتحقق كوحدة مستقلة من خلال مرحلة المرآة، وإشكالية بناء التقمصات، أين يجد المدمن صعوبة في إدماج قانون الأب ضمن شخصيته وأخذ مكان الموضوع الوالدي.

6 ـ 2 ـ وجهة النظر الإقتصادية Point de vue économique

يشير السلوك الإدماني الى محاولة لطلب السند والمساعدة، يبحث عنها الفرد في المادة الإدمانية، ليعيش الشعور باللذة والحنان الذي يمثله اللقاء مع موضوع الحب الأولي، إذن فهذه السلوكات هي تعويضية، فاللجوء الى المادة لا يكون من أجل المادة في حد ذاتها، وإنما للخبرات السارة التي يعيشها من خلالها.

فحسب **بيرجوري** Bergeret فان الفرد الذي يستخدم المادة المخدرة يبحث عن تحقيق رغبة تثيرها حاجة ماسة الى التعبير عن عدوانية نحو الآخر، وتحقيق هذه الرغبة يجعل الفرد يحس بأنه حقق نجاحا

نرجسياً لم يحققه من قبل، وبقاء هذه الخبرة السارة في خيال المدمن هو ما يجعله يسعى لتكرارها، وهذه أولى الخطوات في طريق الإدمان. (Bergeret, 1990, 11)

ويضيف من خلال تنظيره حول بنيات الشخصية بأن الاتجاه نحو الإدمان لا يتم من منطلق حاجة ظاهرة بشكل قليل أو كثير عند فرد ما، بل يتم أيضا على مستوى السجل الدفاعي الكامن كمحاولة للدفاع والضبط ضد القصور والخلل الذي يمس البنية العميقة، وما يميز المدمنين هو غياب العمل النفسي الليبيدي الذي من شأنه أن يقوم بإرصان العنف الأساسي مع مطالب مصبوغة بالقلق ناتجة عن صعوبات في التقمص، مع ظهور الطابع السندي للعلاقات. (Bergeret, 1982, 25)

فالعدوانية هي نزوة طبيعية لدى الفرد إلى جانب نزوات الحياة، وتفاعلها بشكل سوي هو ما يؤدي الى التوازن، غير أن عدم تسيير وتوظيف تلك العدوانية هو ما يمكن أن يؤدي الى البحث عن طريق للخروج، وهو ما توفره تجربة تعاطي المواد المخدرة.

ويذهب Charles-Nicolas إلى اعتبار أن لجوء الفرد الى المخدرات لا يعني أنه في مواجهة قوانين الأب فقط، بقدر ما هو في لعبة بين الموت والحياة. (Mercelli, Braconnier, 2011, 399)

فالمدمن في حاجة الى المرور الى الفعل le Passage à l'acte من أجل تحقيق تلك الرغبة، أين نلاحظ كثرة العدوانية مقارنة بحاجاته الجنسية، فهو يتميز بعدوانية موجهة نحو الذات، كان من المفروض أن يوجهها نحو مواضيعه الأولى أثناء مراحل النمو. (Bergeret, Fain, 1981, 11)

6 ـ 3 ـ وجهة النظر الدينامية Point de vue dynamique

يدور التصور الدينامي لتفسير الظواهر النفسية حول الصراع الذي يميز الجهاز النفسي، فالمدمن يحاول تجنب الصراع لأنه لا يستطيع التعامل مع المواضيع الأولى، وهذا لطبيعة حياته العلائقية التي تتسم بالهشاشة، لذلك فهو يخلق مواضيع خارجية خالية من الصراع يستطيع التحكم فيها وتحافظ على هويته، تلك المواضيع هي المواد المخدرة التي يلجأ إليها.

يعتبر الإدمان كحماية للأنا الذي يتميز بالهشاشة والمُهدد في كماليته (Mercelli, Braconnier, 2011, 404) فالسلوكات الإدمانية لها علاقة بمدى القدرة على إرصان تقمصات مستقرة وإرصان الانفصال عن المواضيع الأولى ضمن عمل حداد، وتكرار تلك التجربة يهدف إلى ملأ الإحساس بالفراغ الذي يعيشه المدمن.

إن الإدمان كسلوك خارجي يهدف إلى التأكد من حقيقة الارتباط العلائقي على المستوى الداخلي، فممارسة هذا السلوك يسمح بإيجاد علاقة تعلق مع مواضيع مرغوبة، تشير إلى علاقة الاعتماد الطفلية التي يجهلها المدمن. (Frenandez, Cotteeuw, 2005, 47)

فيما يرى Jeammet أن السلوكات الإدمانية تهدف إلى البحث عن مضمون خارجي لدى الشخص الذي هو في حاجة إلى التوازن، هذا التوازن لم يجده في عالمه الداخلي. (Jeammet, 2006, 60)

7 ـ الشخصية الإدمانية:

ظهر اهتمام لدى الباحثين نحو تصنيف شخصية المدمن، ومحاولة إيجاد جدول يبين ويوضح هذا السلوك لدى الفرد، ثم تحول الاهتمام نحو البحث عن إيجاد بنية نفسية خاصة بالمدمنين توضح التوظيف النفسي لديهم، غير أن كل هذه المحاولات مازالت تراوح مكانها ولم يتم الحسم في هذه التصنيف، في هذا الصدد نقرأ لـ Frenandez, Cotteeuw بأن الدراسة النظرية والميدانية لظواهر الاعتماد والحاجة إلى إيجاد صياغة مفاهيمية حول السياقات الإدمانية المشتركة وراء تلك السلوكيات تلتقي مع طريق مسدود، حيث أن التطور الحالي للتطبيقات العيادية يجعلنا نقف على هشاشة هذا المفهوم في الدراسات النفس مرضية، وصلاحيته تظهر إذا تمكنا من تحديد تلك السياقات في إطار الأساليب المختلفة للتوظيف النفسي وتنظيم الشخصية. (Frenandez, Cotteeuw, 2005, 312)

فبعد أن كان الاعتقاد يدور حول تصنيف الحالات الإدمانية ضمن التنظيم الحدي Etat limite، يرى بيرجوري Bergeret بأن المدمن لا يدخل ضمن البنية العصابية ولا البنية الذهانية، وليس هنالك بنية تنظيم خاصة بحالات الإدمان، غير أن هناك خصائص مميزة للمدمنين مثل الاكتئاب وعدم القدرة على إرصان العدوانية. (Mercelli, Braconnier, 2011, 399)

فيما يؤكد جامي Jeammet على البعد الانحرافي la dimension perverse في السلوكات الإدمانية، ويذهب أحيانا إلى حد اعتبارها انحراف (Janine Pages-Berthier, 1993, 4)

ترى فرانسوا نو Françoise Neau بأن الاضطرابات ذات البعد الانحرافي كالمازوشية والاضطرابات الغذائية والإدمان وغيرها من السلوكات ذات التبعية القهرية، يغلب عليها إسقاط الكره على الآخر، فالسياق الانحرافي مرتبط كثيرا بالاختلالات الجنسية لدى الفرد، كل تلك الاختلالات مؤسسة على

كيفية التنظيم الليبيدي خلال النمو النفسي الجنسي من خلال طريقة توزيع الليبيدو على كل من الأنا والموضوع، ومدى تكامل النزوات الجنسية تجاه الموضوع الواحد. (بن خليفة محمود، 2007، 58)

ويميز **بيرجوري** Bergeret ثلاث نماذج لدى المدمنين:

- النموذج الأول: توظيف نفسي ذو طبيعة عصابية Névrotique، يتمركز حول المشكلة التناسلية مع وجود صراع حول التصورات الأوديبية، أين يكون هنالك تعلق سيء بالموضوع الأوديبي.
- النموذج الثاني: توظيف نفسي ذو طبيعة ذهانية Psychotique لكنه يختلف عن الذهان، يتميز بوجود سياقات سلوكية أقل استقامة، تنتظم حول التخيلات التناسلية والأوديبية، يتطور هذا التوظيف خلال زمنين، زمن اعتماد/ دفاع بواسطة سلوكات ضد نشوء الهذيان مقابل ضعف تخيلي، وزمن اعتماد لتبرير سلوكات متعلقة بظهور هذيان تخيلي، يتميز هذا التوظيف باستعمال ميكانيزم الكبت وظهور الإسقاط.
- النموذج الثالث: تنظيم يدخل ضمن إطار الاكتئاب، يتميز بالتبعية للآخرين والعلاقة بالموضوع لم تستثمر جيداً، تظهر خطورة السياقات الانتحارية خلال هذا التنظيم النفسي، من خلال زيادة الجرعات المخدرة. (Mercelli, Braconnier, 2011, 399)

فيما نلاحظ أن باحثين آخرين يعطون صفات مميزة للمدمنين، هم ذوي شخصية تتميز بالهشاشة، وعدم النضج، مع ظهور صعوبات علائقية، أين تكون علاقاتهم أقل نضجا.

فالمدمن على المخدرات ذو أنا ضعيف ونفسية هشة وعاطفة غير متكيفة، يتميز بالقلق والضغط النفسي الدائم، وعدم القدرة على تأجيل إشباع حاجاته، فهو يعمل تحت سيطرة مبدأ اللذة. (Huguette, Cogler, 1991, 62)

وتعتبر الشخصية الإدمانية شخصية سلبية ليس لها القدرة على تحمل التوتر والألم، وهي شخصية اتكالية لها صعوبة في التكيف الاجتماعي، كما تتميز بعدم النضج التام. (Bergeret, 1984, 30)

8 ـ الإدمان كسلوك مرور إلى الفعل L'addiction comme un passage à l'acte

يملك كل فرد قدرات سلوكية ضمن بناء شخصيته تمكنه من التصرف بعنف، وتحليل الشخصية ـ ذات الطابع الصراعي ـ يمكننا من فهم معنى سلوك المرور إلى الفعل، فمفاهيم العقلنة، فقر الارصان النفسي والتفعيل هي مفاتيح تمكننا من فهم دينامية سلوك المرور إلى الفعل، وسياق تطوره.

فهناك أشخاص يتواصلون ويواجهون الصراعات من خلال اللجوء إلى الفعل وليس باستعمال الكلام، أين تظهر صعوبة في الانتقال بين الكلام والفعل، مما يُظهر فقر لدى الفرد في ارصان التعبير، ينطوي على انقطاعات وفواصل بين النسيج كلام/فعل، يرجع إلى التطور النمائي واختلال في السيرورات النفسية، ويؤدي الى وضعيات مضطربة بين قطب الكلام والفعل، يترجم عن طريق اختلال بين ما يقوله الفرد وما يفعله.

ويعرف المرور إلى الفعل le passage à l'acte في التحليل النفسي من خلال مفهوم التفعيل acting out، "ويستخدم للدلالة على الأفعال التي تتخذ في الأغلب طابعا اندفاعي يتفرق نسبيا عن أنظمة الدوافع المعتادة لدى الشخص، فيضل معزولا عن نسبيا عن مجرى نشاطاته، كما أنها تتخذ شكل عدوانية موجهة نحو الذات أو نحو الآخر. (لابلانش، بونتاليس، 2002، 187)

وتحتل العدوانية مركز المرور إلى الفعل، لأنه ينتج عن عدم القدرة على تحمل الشدة اللازمة لاحترام مبدأ الواقع (Balier, 1995, 41) فهذا السلوك مدفوع بسيطرة العاطفة، ويتجه نحو انتهاك الممنوعات، لذلك يرى Marcelli بأن الإدمان على المخدرات، الأفعال الانحرافية ومحاولات الانتحار تسجل ضمن الشخصية المضادة للمجتمع، أو الشخصية ذات التنظيم الحدي. (Mercelli, Braconnier, 2004, 96)

فالمرور إلى الفعل باختصار هو التفاعل مع الذات أو مع الاخر من خلال الفعل وليس استعمال الكلمات في موقف ليس في حاجة الى الدفاع بالفعل، حتى ولو استعمل الكلام فيكون خالي من المعنى، ينطوي على صعوبات على مستوى سيولة التصورات واستمراريتها، وضعف في ارصان القلق.

ويستعمل مصطلح المرور إلى الفعل أو acting out للإشارة إلى السلوكات الاجرامية، الجنوح، الإدمان على المخدرات، السلوكات الذهانية، أي لسلوكات ترتبط ببنيات شخصية مختلفة، وترى أنا فرويد A. Freud بأن مفهوم التفعيل acting out يخفي وراءه الفرق بين العصابي، الجانح أو الذهاني، فعلى خلاف العصابي، فان الجانح، المدمن على المخدرات والذهاني يلجؤون إلى المرور إلى الفعل بصفة معتادة، من دون البحث عن فائدة مرجوة، فتلك السلوكات هي جزء من اضطرابهم ولا تعبر عن أي سيرورة إبداعية. (Frédéric Millaud, 1998, 17)

ويتعلق المرور الى الفعل بالقدرة على العقلنة la mentalisation ذلك المفهوم الذي يهتم بأبعاد الجهاز النفسي من حيث كمية ونوعية التصورات، ويمكن أن نقول عن عقلنة سيئة أو جيدة اعتبارا

لنوعية، كمية، دينامية واستمرارية التصورات العقلية (Marty. P, Nicolaidis. N, 1996, 20) وهي تظهر من خلال نظام كلام/ فعل، فالعقلنة لا تترجم بالضرورة من خلال ظهور الكلام، اذ يمكن أن تكون هناك كلمات فارغة من المعنى، واستعمال نمطي لألفاظ ذات نفس المعنى، وصمت طويل، إذ ليس بالضرورة أن يظهر سلوك حركي لنعتبره مرور إلى الفعل.

بالنسبة للتنظيمات الحدية يعتبر الاختلال في سيرورات العقلنة كترجمة أساسية لمحاولة استدعاء الفكر، والمرور إلى الفعل هو أداة مرجعية من أجل تفادي مواجهة القلق، وإيجاد نوع من التوازن المصطنع بأي ثمن، فيستعملون تلك السلوكات في علاقاتهم مع الاخر. (Frédéric Millaud, 2009, 23)

ويشير المرور إلى الفعل إلى فقر على مستوى الارصان النفسي l'élaboration psychique أي صعوبات في التحكم في الإستثارات النفسية التي يواجها الجهاز النفسي، وفشل في عمل ربط التصورات وتكوين اشكال مستقرة نسبيا والحفاظ عليها، فالإرصان النفسي يتحدد من خلال القدرة على ربط الصراعات النفسية، وعدم قدرة الفرد على ربط الإستثارات التي يواجهها وإرصانها بطرق سوية ومألوفة، يؤدي به إلى المرور إلى الفعل. (Frédéric MILLAUD, 2009, 19)

وتلتقي مفاهيم المرور إلى الفعل وفقر الارصان النفسي مع مفهوم الالكستيميا Alexithymie لتشير إلى أشخاص يعانون عدم قدرة عن التعبير اللفظي عن مشاعرهم ووجداناتهم، وعدم قدرة على تنمية نشاطات الترميز، أين يجدون صعوبة في التخرج من النزوات الإستثارات الوجدانية ووضعيات الضغط، مع جفاف في الجانب العلائقي.

وهي اختلال في التعبير الرمزي، والتعبير عن الانفعالات لدى بعض الافراد الذين يجسدون تعبيراتهم عن طريق الجانب الجسدي، هذه اللغة الجسدية تنتج من خلال الحرمان من وظيفة النشاط التصوري. (Corcos et all, 2002, 60)

ويرى سيفنيوس Sifneos بأن الالكستيميا تتعلق بأربع خصائص هي:

- صعوبات على مستوى التعرف واستعمال اللغة من أجل التعبير عن المشاعر؛
- غياب المهارة في التفريق بين الوجدانات، الاحاسيس الجسدية والمشاعر؛
- فقر الحياة الهوامية والحلمية، فتظهر تعابير لفظية تتمحور حول الوصف والسلوكات الواقعية فيما يشير إلى التفكير العملي، ذلك النمط من التفكير الواعي الذي ليس له

علاقة بالنشاط الهوامي أو الرمزي، فهو يصاحب الأحداث دون أن يمثلها، في غياب مرجع داخلي.

- فقر في الخطاب. (Frédéric Millaud, 2009, 27)

من هنا يظهر لنا بأن الإدمان على المخدرات يعد أحد سلوكات المرور إلى الفعل، وينطوي عن صعوبات في استعمال الموارد النفسية بنجاح، لذا يلجأ إليه الفرد الذي يعاني من صعوبات في ارصان الصراع والقلق الذي يواجهه في حياته، هذا الحل المتضارب لإشكاليات نفسية يترجم من خلال صعوبات علائقية وأيضا صعوبات على مستوى الاستعمال اللفظي والعاطفي.

9 ـ المراهقة والإدمان:

يسعى المراهق من خلال الإدمان إلى استبدال العلاقة العاطفية مع الموضوع والتي عاشها كتهديد قوي لاستقلاليته والتي لا يحتملها، بإيجاد علاقة بالمادة المخدرة كموضوع يستطيع التحكم فيه، وفي كل الأحوال فان المراهق يبحث عن تجارب اعتماد جديدة لتحقيق إشباع لم يحققه في واقع حاجاته العاطفية.

فالاضطرابات التي تحدث في هذه المرحلة من الحياة توضع في زاوية نظرة الفرد لنفسه، أين يقوم برفض جزء من نفسه عاشه متعبا وبنفور من المواضيع الأولية التي استثمرها، هذا الرفض يعطيه هويته السلبية (Mercelli, Braconnier, 2011, 382)

يرى Flynn أن استعمال المخدرات في المراهقة يكون من أجل زيادة دفاعاتهم ضد النزوات الليبيدية، أما Winnicott فيرى بأن اللجوء إلى المخدرات يعبر عن بحث غير نهائي عن فضاء خاص بالمراهق. (Mercelli, Braconnier, 2011, 405)

فتوجه المراهق إلى الإدمان يرجع إلى التفاعل بين ثنائية النرجسية/العلاقة الموضوعية، الاعتماد/الاستقلالية، وبسبب هشاشة العالم النفسي الداخلي وتغير العالم الخارجي، يلجأ المراهق الى السيطرة على المواضيع، فالخوف الأكبر لدى المراهق يكون من فقدان السيطرة ومواجهة الرغبات المجهولة. (Ph. Jeammet, 2005, 9)

ونلاحظ أن هناك تطور خاص في إشكالية الاعتماد في مرحلة المراهقة، أين يظهر هنالك مفهومين ضمن مسألة الاعتماد، المفهوم الأول يتجه نحو محاولة فهم سلوكات الإدمانية بواسطة تطور

أعراض نفسية جسدية، فيما يتجه المفهوم الثاني إلى اعتبار اضطرابات السلوك في هذه المرحلة كتسوية للاعتماد النفسي المميز لهذه المرحلة من الحياة. (Mercelli, 1994, 42)

في الواقع هنالك ثلاث مظاهر مختلفة في توجه المراهق نحو الإدمان:

- تعاطي المراهق الكحول، المخدرات والكافيين مع الرفاق، قد لا يصاحب ذلك ظهور أعراض الإدمان، ودون إثارة انتباه الأولياء، من انعكاساته الغيابات والانقطاعات الدراسية المتكررة.
- خلال مرحلة الثانوية، تظهر مشكلات الاعتماد من خلال استثمار مفرط لسلسلة من السلوكات المتكررة والدائمة، يكون التعامل مع هؤلاء المراهقين صعبا، فهم معارضين وأحيانا عنيفين، تتركز حياتهم الاجتماعية حول استثماراتهم، وتتميز علاقاتهم مع والديهم بانقطاعات متكررة.
- مراهقين في مرحلة عمرية أكبر من المراحل السابقة، يؤدي ثقل الاعتماد لديهم إلى الحفاظ على إدمانهم الكبير واليومي، ويتجاوز الأمر في هذه الحالة الوالدين الذين لا يعلمون كيفية التعامل مع ما يحدث. (Mercelli, Braconnier, 2011, 380)

وتختلف مظاهر الإدمان لدى الذكور عنها لدى الإناث، أين يكون استعمال المخدرات لدى المراهقين من أجل تأكيد الصورة الاجتماعية لجنسهم، ففي الوقت الذي يتجه الذكور نحو الصورة الاجتماعية للرجولة من خلال سلوكات عدوانية، تتجه الإناث نحو أنوثة سلبية مركزة حول الجسد من خلال الشكاوى الجسدية، ويُظهر الذكور أفعال جنائية، فيما تظهر الإناث عنف جسدي أقل، ويكون توجههن نحو أدوية نفسية ذات تأثير مهدئ Sédatif ومزيل للقلق tranquillisants. (Française Dolto, 2013, 173)

خلاصة:

يحتل مفهوم الاعتماد قيمة نظرية محورية في فهم ظاهرة الإدمان، أين يقوم بنسج علاقة بين الاعتماد على المادة والاعتماد على الموضوع من وجهة نظر علائقية، وهو يشير إلى عدم القدرة على الامتناع عن الاستهلاك، ويترك تناول المادة على الفرد اعتماد نفسي وآخر جسدي.

وتشير النظريات التفسيرية الحديثة حول هذا المفهوم إلى الخلل الذي يمس البنية العميقة لدى المدمن، والسلوك الإدماني هو محاولة للدفاع ضد تلك الصراعات، ويستعمل كمحاولة للدفاع والضبط ضد القصور الذي يتسم به، وما يميز المدمنين هو غياب العمل النفسي الليبيدي الذي من شأنه أن يقوم بإرصان العنف الأساسي مع مطالب مصبوغة بالقلق، مع ظهور الطابع السندي للعلاقات.

فالسلوكات الإدمانية لها علاقة بالفشل في إرصان تقمصات مستقرة وإرصان الانفصال عن المواضيع الأولى ضمن عمل حداد، وتكرار تلك التجربة يهدف إلى ملأ الإحساس بالفراغ الذي يعيشه المدمن.

وتظهر خصوصية الإدمان لدى المراهق من خلال سعيه إلى استبدال العلاقة العاطفية مع الموضوع والتي عاشها كتهديد قوي لاستقلاليته والتي لا يحتملها، بإيجاد علاقة بالمادة المخدرة كموضوع يستطيع التحكم فيه.

"لا يوجد خطأ أكبر في العلم من الاعتقاد بأن إجراء مجرد عملية رياضية ما، سيجعل ظاهرة ما في الطبيعة مؤكدة." ألفريد نورث وايتهيد

الجانب التطبيقي

الفصل الرابع:

منهجية البحث

- الدراسة الاستطلاعية؛
- مكان اجراء البحث؛
- وصف مجموعة البحث؛
- منهج البحث؛
- أدوات جمع البيانات؛

تمهيد:

تعد المشكلات التي يصادفها الباحث في حياته العلمية محفزا رئيسيا تدفعه نحو البحث، فالبحث العلمي يكون في البداية غير واضح المعالم والأفكار التي يقوم عليها غامضة، إلا أن صدى المشكلة يثير في الباحث التساؤل مما يجعله يخمن فرضيات حول تلك المشكلة.

فالبحث العلمي كأنه مغامرة تجمع نشاطات علمية مليئة بالمستجدات، لكن خوض تلك المغامرة لا يكون صدفة بل يخضع لشروط خاصة، ويسلك منهجا يتميز بالموضوعية والدقة العلمية، لذلك على الباحث أن يحضر نفسه لهذه المغامرة العلمية.

ويعتمد الباحث العلمي في دراساته على أسلوب علمي مدروس، فالمعلومات التي يتوصل إليها لا تكون دقيقة، واكتشافاته لا تكون مضبوطة إلا بقدر ما تكون طريقته علمية ومنهجية.

انطلاقا من هنا؛ قمنا في هذا البحث باختيار منهج يساعدنا في هذه المسيرة، ثم وسائل لجمع البيانات ضمن تقنية دراسة الحالة الملائمة لهذا النوع من البحوث، كل هذا من أجل إلقاء الضوء على تساؤلاتنا والتحقق من الفرضيات التي قمنا ببناءها.

1 ـ الدراسة الاستطلاعية:

خلال الدراسة الاستطلاعية قمنا بالاقتراب من مكان اجراء البحث، أين تأكدنا من توفر مجموعة البحث التي يمكن العمل معها من حيث السن والخصائص، فالتقينا بمجموعة أولية وقدمنا موضوع البحث في مقابلة تمهيدية وعرضنا محاور المقابلة للوقوف على مدى فهم المجموعة للأسئلة، وهل تحرك لديهم استجابات تحمل المعلومات التي نحن بصدد البحث عنها، ومدى ملائمة الرائز الاسقاطي للموضوع، وقدرته على قياس الجزئيات التي نريدها في هذا البحث، أين قمنا بالعمل مع مجموعة تتكون من ثلاثة أشخاص، أعطت في الأخير نتائج مشابهة للنتائج المحصل عليها في هذا البحث.

كل هذا العمل سمح لنا بضبط شروط انتقاء مجموعة البحث، ثم ضبط أسئلة المقابلة وملائمتها لطبيعة العمل، وهو ما ساهم في إخراج هذا البحث الميداني في صورة أفضل.

2 ـ مكان اجراء البحث:

تم اجراء هذا البحث بمركز الوقاية وعلاج المدمنين بالمستشفى الجامعي فرانتز فانون بالبليدة، هذه المصلحة التي تتكون من قسمين، قسم للاستشارات الخارجية، وقسم للاستشفاء الداخلي، وتم هذا البحث في شقة التطبيقي في الفترة الممتدة من: سبتمبر 2016 إلى مارس 2017.

3 ـ وصف مجموعة البحث (المراهق المدمن):

كان اختيارنا لمجموعة البحث من ضمن مجتمع بحث تضم فئات مختلفة من المدمنين، وفق جملة من الشروط:

- أن يكون مراهق، يتراوح سنه بين 11 و 21 سنة؛
- أن يكون مدمن على المخدرات ـ بعد تشخيص الطبيب ـ يتناول الأدوية النفسية بدون وصفة، والتأكد من وجود أعراض الإدمان من خلال المقابلة التمهيدية حسب معايير الدليل التشخيصي DSM؛
- ألا يعاني من أي اضطراب عقلي؛
- إجراء البحث في فترة لا يكون تحت تأثير الأدوية ولا في حالة ظهور أعراض الفطام، لتجنب أي متغيرات دخيلة.

وفيما يلي نعرض لخصائص مجموعة البحث:

الحالات (أسماء مستعارة)	السن	بداية التعاطي	الجنس	المستوى الدراسي	الحالة الاجتماعية	سوابق علاجية
الحالة (1) مسعود	19	14	ذكر	تعليم متوسط	أعزب	لا توجد
الحالة (2) أيوب	18	14	ذكر	تعليم متوسط	أعزب	لا توجد
الحالة (3) كمال	19	15	ذكر	تعليم متوسط	أعزب	لا توجد
الحالة (4) سعيد	19	12	ذكر	تعليم متوسط	أعزب	انتكاسة
الحالة (5) ياسين	19	14	ذكر	تعليم متوسط	أعزب	انتكاسة

جدول رقم (1): يبين خصائص مجموعة البحث.

4 ـ منهج البحث:

تقوم البحوث السيكولوجية على المناهج العلمية، التي تمثل الطريق الذي يسير وفقه الباحث في عمله، والمنهج هو أسلوب تفكير يعتمده الباحث في تنظيم أفكاره وعرضها وتحليلها، من أجل التوصل الى نتائج علمية في الأخير، وهو حسب موريس أنجرس مجموعة منظمة من العمليات، تسعى الى بلوغ هدف محدد، وعلى مستوى ملموس فهو يشير الى طريقة تصور وتنظيم وتخطيط العمل حول موضوع دراسة ما، إنه يتدخل بطريقة أكثر أو أقل إلحاح، بأكثر أو أقل دقة في كل مراحل البحث. (موريس أنجرس، 2006، 99:98)

وقد سلكنا في بحثنا هذا المنهج العيادي الذي يسمح بالوقوف على الواقع النفسي للفرد من خلال دينامية الميكانيزمات الدفاعية والجانب العلائقي مع نفسه ومع الآخر، ويمكننا من معرفة التوظيف النفسي للفرد، كونه يهدف الى بناء بنية واضحة للأحداث والظواهر التي تصدر عن الفرد. (R. Perron, 1997, 37)

ويتيح المنهج العيادي عرض حالات المبحوثين وأعراضهم بصورة متكاملة، مع الوقوف على ظروفهم وتحليلها بشكل أعمق، فهو يركز على الفرد في فردانيته وعمله النفسي، ويعتمد دراسة الحالة، ويقوم على تصور دينامي، إذ ينطلق من اعتبار الشخصية بناء دينامي ويسعى الى فهم الصراعات التي يعيشها الفرد.

وقد استخدمنا في هذا البحث دراسة الحالة، من حيث أنها تقنية عملية تطبيقية، تمكننا من دراسة تاريخ الحالة، تنظيم الشخصية، العلاقة مع الآخر والميكانيزمات الدفاعية، وتسهم في ربط علاقات بين الأحداث الماضية والوضعيات الحاضرة (khadija Chahraoui, Hervé Bénony, 2003, 126) إنها تتميز بالمرونة وتقترب أكثر من الحقيقة، تقوم باستخدام مجموعة من التقنيات لجمع المعلومات ثم تحليلها وتفسيرها وإثراء معارفنا حول المبحوث.

5 ـ أدوات جمع البيانات:

استخدمنا في هذا البحث المقابلة العيادية ورائز تفهم الموضوع TAT.

5 ـ 1 ـ المقابلة العيادية:

المقابلة العيادية أحد أهم وسائل جمع البيانات في علم النفس العيادي وأكثرها استعمالا، من حيث أنها تتميز بالمرونة والدينامية وتقترب من المشكلات ما يجعل منها الأكثر نجاعة، وهي محاولة إدخال الموضوعية بين ذاتيتين، وتتم من خلال علاقة دينامية وتبادل لفظي بين باحث ومبحوث، الهدف منها الكشف عن ديناميات السلوك لدى الفرد.

وحسب Chiland هي "علاقة دينامية بين الفاحص والمفحوص موجهة لهدف، وهي طريقة حوارية تقوم على النظر والسمع وليس فيها فحص جسدي، والهدف الأساسي منها هو إبراز ديناميات سلوك الفرد، حتى نقدر على فهم العوامل النفسية التي أدت الى الحالة الراهنة". (C. Chiland, 1983, 10)

وتنطوي المقابلة العيادية مع المراهق على خصوصية هامة، إذ على الفاحص أن يكون منتبها خلالها لكل تعابيره، فاللقاء الأول للمراهق مع النفساني يمثل له فرصة لإظهار عالمه الداخلي لشخص راشد ليس له علاقة بالصور الوالدية، وأنه ليس في موضع للحكم على أفكاره. (Marcelli. D, 1999 ,9)

ولأن "العنف يلخص إشكالية المراهقة" (Pierre Delion, 2010, 111) فان المقابلة مع المراهق قد تجعله يستعمل جسده في علاقة التواصل مع الفاحص، وتضعه في وضعية تأرجح بين الثقة وعدم الثقة، لذلك على الفاحص أن يكون محيطا بإشكالية المراهقة والتغيرات الحاصلة فيها ليتمكن من فهم وتسير المقابلة بشكل جيد وكسب ثقة المراهق.

أما بالنسبة للفاحص؛ فهي تسمح بالوقوف على السيرورات النفس مرضية للمفحوص كما تبدو من خلال الأعراض، وفرصة لاكتشاف أفكاره الداخلية ومشاعره، وتقييم دينامياته الأسرية والاجتماعية، الهدف الأساسي هو أنها تسمح للمراهق بالقيام بسيرورات داخلية ملائمة لرفع الوضعية التي يحس فيها المراهق نفسه ضحية للعالم الخارجي.

وتتخذ المقابلة العيادية أشكال مختلفة: حرة، موجهة ونصف موجهة، وسوف نستخدم في هذا البحث المقابلة العيادية نصف الموجهة من حيث أنها تتناول بحرية أكبر سلسلة مواضيع انطلاقا من تعليمة واسعة تسمح بالوقوف على السيرورات النفسية لدى المبحوث، وتمنحه فرصة أكبر ليعبر عن نفسه وتنظيم حديثه

بحرية أكبر، واختيارنا لها يساعدنا على الوصول الى الإجابة عن أسئلة بحثنا، وتمنح المبحوث فرصة للاستطراد في حديثه مع ما يمكنه من إفادتنا بمعلومات ذات قيمة للبحث.

5 ـ 1 ـ 1 ـ المقابلة التمهيدية:

بدأنا لقانا مع المبحوثين بمقابلة تمهيدية، من أجل معرفة إن كان هؤلاء يدخلون ضمن مجموعة البحث، مع التعريف بأنفسنا وتذكير بمبرر البحث، ثم انتقلنا الى تحديد مختصر لموضوع بحثنا، ثم طمأنة المبحوث على سرية المعلومات التي يدلي بها ليشعر بثقة وراحة أكبر في تعامله معنا.

5 ـ 1 ـ 2 ـ دليل المقابلة:

يمثل دليل المقابلة "الأداة التي ترتكز عليها مقابلة البحث، يتضمن كل الأسئلة التي يحتمل طرحها أثناء مقابلة الشخص المستجوَب، إنه يحتوي على كل ما نريد معرفته تماشيا مع تحديد مشكلة البحث" (موريس أنجرس، 2006، 263)

قمنا ببناء دليل مقابلة من أجل أن نستند إليه في مقابلتنا مع المبحوثين، وهو يحتوي على الأسئلة التي تتعلق بموضوع البحث وبإشكاليته، وقد كانت محاوره كالآتي:

المحور الأول: الحياة النفسية للمراهق المدمن: يسمح بفهم نوعية المعاش النفسي.

- نظرة المراهق لنفسه، وموقعة إزاء الآخر.

المحور الثاني: الحياة العلائقية: الوقوف على الدينامية العلائقية، مدى مرونة أو هشاشتها.

- نوعية علاقة المراهق بالوالدين؛
- نوعية علاقة المراهق بالرفاق؛
- نوعية علاقة المراهق بالجنس الآخر.

المحور الثالث: علاقة المراهق بالمادة المخدرة: نوعية استثمار المادة كاعتماد أو كنشوة.

- تأثير المادة المخدرة على العلاقات الشخصية.

المحور الرابع: تصورات المستقبل: مدى وجود عمل حداد على المادة يساعد على الإقلاع.

- فحص استثمارات، تصورات، توقعات والهوامات المستقبلية للمبحوث.

5 ـ 1 ـ 3 ـ تحليل محتوى المقابلة:

ركزنا في تحليل المعلومات المحصل عليها من خلال المقابلة العيادية على نقاط أساسية:

- القدرة على التعبير عن الذات؛
- مدى غنى / فقر التصورات لديه، سيولتها وشحنها بالوجدانات؛
- القدرة على بناء علاقات مع الآخر ومع العالم الموضوعي؛
- نوعية استثمارات وعلاقة المبحوث مع المادة المخدرة؛
- القدرة على التكيف مع الذات ومع الآخر.

5 ـ 2 ـ رائز تفهم الموضوع TAT:

5 ـ 2 ـ 1 ـ نظرة تاريخية:

عام 1935 وضع الطبيب البيوكيميائي الأمريكي هنري موراي H. Murray التصميم الأولي لاختبار تفهم الموضوع، وفي عام 1943 نشر الصورة النهائية للاختبار والتي تكونت من 31 لوحة في كتابه استكشاف الشخصية Exploration de la personnalité، وقد خصصه لكشف متغيرات الشخصية التي تمحورت حول ثلاث متغيرات أساسية: الدوافع، العوامل الداخلية والسمات العامة.

ويرى موراي أن الشخص من خلال القصة التي يرويها يتقمص شخصية البطل ويسقط أحاسيسه وحاجاته وميوله، وردود أفعاله التي تميز واقعه النفسي. (Shentoub, 1990 , 6)

واصل فيما بعد باحثون آخرون نفس طريق موراي Murray، أين نجد باحثين أمثال روتر 1940 Rotter، روبابور 1946-1947 Rapaport، هنري 1956Henry الذين قاموا بمحاولات لتعديل الاختبار مع تمسكهم بنظرة البطل التي تبناها موراي Murray سابقا، غير أن بلاك 1954 Bellak هو أول من استعمل الاختبار بنظرة تحليلية انطلاقا من الموقعية الفرويدية ، أين ركز على جهاز الأنا، وظائفه، المقاومة والدفاعات النفسية، واقترح طريقة تحليل تعتمد على النظرية التحليلية والتي كانت مرجعا له. (Berlet. F, Chabert. C, 2003, 4)

واصلت فيكا شنتوب Vica Shentoub الاهتمام بهذا الاختبار رفقة فرقة باريس، وقد ركزت على المحتوى الظاهري والمحتوى الكامن، أين حاولت من خلال أبحاثها التعرف على شخصية الفرد من خلال إنتاجه الإسقاطي المتعلق بلوحات الاختبار.

وهي ترى أن المكونات الداخلية للجهاز النفسي كما تظهر من خلال الإنتاج الإسقاطي هي نفسها لدى المريض والسوي، فنحن نحمل نفس العدوانية وتأنيب الضمير ونفس الغيرة، غير أن ما يختلف هو كميتها وكيف ننظر إليها، وكيف ندمجها في مجمل شخصيتنا. (Shentoub , 1955, 589)

وطريقة تنظيم الخطاب القصصي تجاه الصراع الذي حرضته لوحات الاختبار ترتبط بالسياقات الدفاعية لدى الفرد، أي بالميكانيزمات الدفاعية، وفعالية هذه الميكانيزمات تتعلق بقدرة الأنا على إخراج صراعاته أو عدم قدرته على ذلك. (Shentoub ,1968 , 1969, 10)

اهتمام شنتوب Shantoub بالإنتاج الإسقاطي للفرد يندرج ضمن محورين رئيسين هما:

المحور النرجسي: يظهر من خلاله كيفية استثمار تصورات الأنا، وهل هناك استقرار في الهوية وفي التقمصات أين تظهر فروق واضحة في الجنس والسن، وهل هناك فروق بين الأشخاص الذين يظهرون من خلال الخطاب القصصي.

المحور الموضوعي: يظهر من خلاله تصورات العلاقات ونوعية استثمار التصورات العلائقية، أين يُظهر الإنتاج الإسقاطي للفرد مختلف أنماط العلاقات البينشخصية interpersonnelle، ومدى وضوح الحركات الليبيدية والعدوانية وارتباطها، ثم هل هناك ازدواج ميل Ambivalence في تصورات العلاقات؟ (Berlet. F, Chabert. C, 2003, 38-42)

وقد توجت البحوث المستفيضة للباحثة شنتوب Shentoub مع فرقة باريس ببناء طريقة تحليل بشقيها الكمي والكيفي تعتمد على النظرية التحليلية، وبناء شبكية تحليل feuille de dépouillement تنقسم الى أربع أنواع من السياقات الدفاعية يتم من خلالها تفريغ الخطاب القصصي.

تواصلت الأبحاث حول هذا الاختبار من طرف Catherine Chabert وفرقتها، أين قامت ببناء شبكية تحليل جديدة عام 2003، وهي المستخدمة في هذا البحث.

5 ـ 2 ـ 2 ـ وضعية اختبار TAT:

أ ـ تقديم المادة:

اختبار تفهم الموضوع هو أحد أكثر الاختبارات الإسقاطية انتشارا واستعمالا، يتكون في نسخته الأصلية من 31 لوحة، تحمل مشاهد وصور غامضة، ولوحة بيضاء لا تحمل أي صورة، وعلى ظهر كل لوحة يوجد رقم يشير الى ترتيبها وأحرف انجليزية تشير الى الفئات التي تقدم لها، وتمثل تلك الصور

وضعيات إنسانية عامة لها علاقة بالصراعات، وترمز الى إشكاليات الليبيدو والعدوان، فتلك اللوحات تمثل وضعيات إنسانية كلاسيكية، أو وضعيات لصراعات عميقة، ولكل لوحة من تلك اللوحات محتوى ظاهري يخضع لمبدأ الواقع، ومحتوى كامن يخضع لمبدأ اللذة ويعمل على إعادة استثمار أو إحياء الذكريات والهوامات.

ترتيب اللوحات يكون من الأكثر الى الأقل وضوحا، فاللوحات العشرة الأولى للاختبار تكون ذات بنية واضحة تُظهر وجوه الأشخاص وجنسهم، عكس اللوحات 11، 19، 16 التي لا تحمل مظاهر واضحة، يُشار الى أن تقديم اللوحة الـ 16 يكون في آخر التطبيق. (Berlet. F, Chabert. C, 2003, 34)

وفيما يلي اللوحات الـ 14 التي استخدمناها في هذا البحث:

1, 2, 3BM, 4, 5, 6BM, 8BM, 10, 11, 12BG, 13B, 13MF, 19, 16.

ب ـ التعليمة:

استخدمنا في بحثنا هذا التعليمة التي اعتمدتها شابارت Chabert وكانت صياغتها كالآتي:

"تخيل قصة انطلاقا من اللوحة" «Imaginez une histoire à partir de la planche» (Berlet. F, Chabert. C, 2003, 35)

أما بالنسبة للوحة 16، أي اللوحة البيضاء فقد استعملنا التعليمة التالية: "حتى الآن أريتك صورا تمثل أشخاصا ومشاهد طبيعية، والآن سأقترح عليك هذه اللوحة الأخيرة ويمكنك أن تحكي القصة التي تريدها."

تحمل تعليمة الاختبار حركتين متناقضتين تجعل المفحوص في حركة صراع، فهي تحمل حركة التخيل التي تعطي الفرد حرية إعطاء أي تصورات، مع ضرورة ربط التخيل بالمحتوى الظاهري للوحة، عندها يجد المبحوث نفسه مطالب ببناء قصة متناسقة في ضوء هذا التأرجح بين المراقبة والحرية، وما ينجر عنه من حركة بين المحتوى الظاهري وفق مبدأ الواقع والمحتوى الكامن الذي يسير وفق مبدأ اللذة، ومن خلال هذه السيرورة تظهر التسوية التي يقوم بها المبحوث إزاء واقعه الداخلي والواقع الموضوعي.

يمثل الإنتاج القصصي الذي ينتجه المبحوث حل وسط بين عوامل رقابة الوعي وضغط الهوامات اللاشعورية، والاضطراب الذي يظهر في القصة يدل على اضطراب في وظائف الأنا المتعلقة بالصراع الدفاعي الذي نشطته الهوامات التي أثارتها اللوحة. (Shentoub, Debray, 1969, 241)

ج ـ حضور الفاحص:

تم تطبيق الاختبار من خلال وضعية وجه لوجه في إطار إسقاطي، ومن خلال هذه الوضعية يتم النكوص الى مراحل النمو النفسي، والتعامل مع المادة يحدد نوعية الأساليب الدفاعية للأنا والتي يقوم ببلورتها لمواجهة المواقف الصراعية، وخلال التطبيق قمنا بتسجيل الزمن: الزمن الكلي، زمن كل لوحة وزمن الكمون بين استلام المفحوص للوحة وبداية التعبير، وبمجرد بداية المفحوص الحديث قمنا بتسجيل ما يقوله باحترام خصائص كلامه، وكل ما يقوم به من إشارات وحركات وتعابير غير لفظية اتجاه الفاحص أو اتجاه المادة.

تدخلاتنا كانت محدودة إلا في حالات العجز عن الاستمرار في الكلام، أو أثناء الكف الشديد، حينها كنا نقوم بتكرار التعليمة من أجل تحرير تخيلاته أكثر.

بعد نهاية التطبيق، كنا نطلب من المفحوص رأيه في الاختبار وكيف أحس أثناء التطبيق، على شكل مقابلة عفوية، لنساعده على عدم الانقطاع المباشر مع الوضعية الإسقاطية، ويمثل هذا مقابلة ترميمية تساعده على الرجوع من وضعية النكوص التي حرضتها مادة الاختبار، ونشير إلى ان الزمن الفاصل بين المقابلة وتطبيق الاختبار كان يتراوح بين 3 أيام وأسبوع.

إن الأبعاد الثلاث لاختبار تفهم الموضوع والمتمثلة في المادة، التعليمة وحضور الفاحص تمثل كلها عوامل صراع، "صراع بين تيارين، الضغط النزوي حيث تُثار هوامات بتقديم اللوحة والمطلوب من تصور الهدف الذي تثيره التعليمة، تنظيم حكاية لها صدى بالوجدانات والتصورات، لكن بشكل يحترم متطلبات الاتصال وقوانين اللغة، فالصراع يكون بين مبدأ اللذة ومبدأ الواقع، تصور الأشياء وتصور الكلمات." (نادية شرادي، 2006، 130)

5 ـ 2 ـ 3 ـ لماذا استعملنا رائز تفهم الموضوع؟

تعد التقنيات الإسقاطية أحد الأدوات المهمة في جمع معلومات حول التوظيف النفسي للفرد في ميدان علم النفس العيادي، وتقوم فكرتها على عرض مادة غامضة غير مكتملة الشكل على الفرد، من أجل أن يسقط عليها شخصيته، فهو يسقط واقعه النفسي وتجاربه الوجدانية الأصيلة تجاه المادة الإسقاطية.

ولعل أهم تلك التقنيات؛ رائز تفهم الموضوع والروشاخ، ولقد كان توجهنا نحو استعمال رائز تفهم الموضوع نظرا لأنه يلائم موضوع بحثنا أكثر من حيث أنه يركز على الجانب العلائقي، اذ تحمل مادته

صور غامضة لشخصيات في وضعيات علائقية مختلفة، ويعد أقل نكوصا من رائز الروشاخ الذي تعد صوره أقل وضوحا وهيكلة، فيرجع الى نكوص عميق ويبين البنية النرجسية للفرد.

5 ـ 2 ـ 4 ـ اختبار تفهم الموضوع والمراهقة:

يسمح اختبار تفهم الموضوع TAT بمعرفة مدى قدرة المراهق على حصر والتحكم في الصراع المتعلق بالوضعيات الثنائية والثلاثية الأوديبية والتي تثيرها لوحات الاختبار، وأيضا قدرته على التعبير عن حاجاته الشخصية، هذه العلاقة الدينامية تظهر من خلال الخطاب الذي يبنيه المراهق في كل لوحة والميكانيزمات التي يستعملها خلال التجربة.

فحسب أنزيو Anzieu 1965 فالمادة الإسقاطية تظهر إبداع الفرد، بدءا من إدراكه للمادة، ثم تنشيط تخيلاته وربط الأفكار ثم التعبير عنها لفظيا، هذا التعبير ليس حرا مطلقا، حيث أن الإستثارة التي حرضتها المادة الإسقاطية موجودة من قبل في واقعه النفسي.

ان طريقة تطبيق الاختبار والوضعية هي نفسها مع المراهقين، غير أن لكل مرحلة نمو ميزاتها الخاصة كما تظهر من خلال الإنتاج الإسقاطي، ولأن مرحلة المراهقة تتميز بخصائصها الهامة باعتبارها مرحلة نضج وسيرورة تغير على مستوى عالمه الداخلي والخارجي، لذلك من الممكن أن تظهر هذه الخصائص في نتائج هذا الاختبار.

فحسب كتابات الباحثين فان الإنتاج الإسقاطي للمراهقين من خلال رائز تفهم الموضوع يُظهر سياقات السجل الاكتئابي والسياقات النرجسية والهوسية، وجدانات المعاناة، الكراهية، ازدواج الميل ودراماتيكية الفقدان، وتتكرر الوضعيات الثلاثية في القصص كما يبحث المراهق عن هويته الذاتية، وتُعاش العلاقات مع الآخر بشكل صراعي لاسيما اتجاه السلطة. (Berlet. F, Chabert. C, 2003, 22)

وحسب Emmanuelli et Azoulay 2001 فان للاختبارات الإسقاطية (تفهم الموضوع والروشاخ) فعالية كبيرة في الكشف وفهم التسوية التي يقوم بها المراهق وتطوره مع الوقت، من حيث إعادة التنشيط النزوي للهوامات الأوديبية، وترسيخ قلق الخصاء وإرصان الوضعية الاكتئابية.

وقد يظهر الكف خلال الخطاب القصصي لدى المراهق عندما لا يبني علاقات بين الأشخاص، أو ظهور أشخاص غير معرفين، مما يشير الى صعوبات علائقية حيث أن المراهق عاجز عن بناء علاقات

مع الآخر، إذ لم تتم عملية الحداد إزاء مواضيع الحب الأولى، أين تكتب شرادي "إذا لم يتم الحداد إزاء المواضيع اللبيدية المستثمرة سابقا، لن يكون هناك نضجا نفسيا ". (شرادي نادية، 2011 ،193)

5 ـ 2 ـ 5 ـ التقمصات من خلال اختبار تفهم الموضوع TAT:

تظهر نوعية المواقف التقمصية من خلال تحليل أوجه الأوديب، وهي تتعلق بالاعتراف بالفروق بين الأجيال، الفروق بين الجنسين، القدرة على التمايز عن الصور الوالدية ومدى ظهور التقمصات الهستيرية، التأكيد على العلاقات البينية، إدخال أشخاص غير موجودين في اللوحة، شبقية العلاقات ومرونة التقمصات.

تظهر نوعية التقمصات من خلال بروتوكول تفهم الموضوع TAT، وفيما يلي الخصائص التي نحدد بموجبها نوعية التقمصات:

أ ـ التقمصات المرنة:

- أن يكون بناء القصص محكما وسليما فلا تكون قصيرة، مما قد يشير الى هروب المبحوث من مواجهة الصراعات؛
- ألا يتميز البروتوكول بالكف الذي يظهر من خلال أزمنة الكمون الطويلة، سواء كانت في بداية القص أو أثناءها وهوما يدل على كثرة الرقابة وبالتالي قلة الخيال والتصورات؛
- ألا تكون القصص مبنية للمجهول، مما يدل على تفادي العلاقات مع المواضيع؛
- أن يشمل الخطاب أشخاص معرفين تربطهم علاقات؛
- ألا تكون القصص مبتذلة، أي ألا تشمل القصص صراعات غير معبر عنها، إنما تكون مليئة بالتصورات والصراعات المبلورة، وقدرة المبحوث على إرصانها على المستوى النفسي؛
- ظهور سياق مرونة التقمصات؛
- تنوع السياقات الدفاعية المستعملة والتناسق بينها، وألا يكون البروتوكول مليئا بالسياقات النرجسية والهوسية، وهوما يشير الى الهشاشة وصعوبة مواجهة الصراعات الأوديبية.

ب ـ التقمصات الهشة:

- فقر البروتوكول من التصورات ومن أي صدى هوامي بسبب الكف وشدة الرقابة؛
- كثرة الكف الذي يظهر من خلال أزمنة الكمون الطويلة، في بداية القص أو أثناءها؛

- قصر القصص ما يدل على عدم القدرة على مواجهة الصراعات؛
- ظهور قصص مبينة للمجهول وأشخاص غير معرفين، وعدم بناء علاقات بينهم؛
- قصص تقتصر على المحتوى الظاهر أو الوصف والتمسك بجزئيات اللوحة؛
- عدم إدراك مواضيع ظاهرة مما يدل على تجنب تقمص المواضيع أو التقرب منها؛
- رفض بعض اللوحات، ما يدل على عدم القدرة على التعامل وإرصان الصراعات التي تحمل إشكالية تلك اللوحات؛
- عدم تنوع السياقات الدفاعية، وتواجد سياقات النرجسية والهوسية بشدة مما يشير الى الحاجة الى السند ومثالية المواضيع.

5 ـ 2 ـ 6 ـ تحليل بروتوكول اختبار تفهم الموضوع TAT:

قمنا باستخدام شبكة الفرز للباحثة شابارت Chabert 2003 في تحليل بروتوكول الاختبار، أين اتبعنا الخطوات التالية:

- قراءة أولية للبروتوكول من أجل الوقوف على مدى سلامة بناء القصص ووضوحها؛
- استخراج السياقات الدفاعية لكل لوحة؛
- تناول إشكالية كل لوحة؛
- التناول الكمي للسياقات الدفاعية وتجميعها في شبكة الفرز؛
- مناقشة إشكالية البروتوكول؛
- التركيز على نوعية التقمصات من خلال نتائج الرائز الإسقاطي.

خلاصة:

يمثل المنهج الأساس الذي تبنى عليه البحوث العلمية، فهو يسمح ببناء تصور واضح للعمل الذي يقوم به الباحث، وفي بحثنا هذا استندنا الى المنهج العيادي الذي يعد ملائما لمثل هذه الأنواع من البحوث التي تركز على التوظيف النفسي للفرد في فردانيته وكماليته، واستخدمنا في عملنا هذا تقنية دراسة الحالة لما تتميز به من مرونة وقرب من المبحوث.

ولجمع البيانات لجأنا الى المقابلة العيادية نصف الموجهة التي تعطي المبحوث الفرصة للتعبير بحرية أكبر انطلاقا من تعليمة واسعة وتسمح بالوصول الى السيرورات النفسية، ثم اختبار تفهم الموضوع TAT الذي يسمح للفرد بإسقاط صراعاته وخبراته، ويسمح لنا بفهم الحياة العلائقية ونوعية التقمصات التي تعد محور اهتمامنا في هذا البحث، وقد طبقنا كل من المقابلة والاختبار على حدا، أين خصصنا لكل منها مقابلة.

الفصل الخامس:

عرض، تحليل ومناقشة النتائج

تمهيد:

انطلقنا في هذا البحث الذي يدور حول موضوع الإدمان لدى المراهق؛ من البناء النظري لنتجه فيما بعد نحو الجانب التطبيقي الميداني منه، أين قمنا باستغلال تلك المعلومات التي استقيناها والنظريات العلمية التي اطلعنا عليها على أرض الواقع، وهذا من خلال انتهاج المنهج العلمي، وتطبيق الأدوات التي اخترناها، والتي تتمثل في رائز تفهم الموضوع والمقابلة العيادية.

في هذا الفصل سوف نتطرق إلى عرض وتحليل النتائج المحصل عليها، اذ نتناول كل حالة على حدى، من خلال تحليل محتوى المقابلة العيادية نصف الموجهة، ثم بروتوكول الاختبار من حيث السياقات الدفاعية المستعملة وطريقة ارصان الإشكالية، لنخرج بعدها بنتيجة عامة تساعدنا على فهم وتفسير الديناميات الدفاعية المستعملة والتوظيف النفسي.

وفي الأخير اتجهنا نحو مناقشة النتائج المحصل عليها، من خلال التركيز على أوجه التشابه والاختلاف، ومكانة هذا البحث بين البحوث والدراسات الأخرى، ومدى تحقق الفرضيات التي بنيناها في البداية.

1 ـ عرض الحالة الأولى (مسعود):

السن: 19 سنة.	الجنس: ذكر.
عدد الاخوة: 6	الرتبة: السادس.
المستوى الدراسي: مستوى التعليم المتوسط.	بداية التعاطي: 14 سنة.
المواد الإدمانية المستعملة: Tramadol, Cannabis	

1 ـ 1 ـ المقابلة العيادية:

يبلغ مسعود 19 سنة من العمر، يقطن في حي شعبي، يعيش مع والديه، في أسرة تتكون من 6 أبناء، 3 ذكور و3 اناث، يعد أصغرهم، مستواه الدراسي تعليم متوسط، توقف بإرادته عن الدراسة، بعد مسار كثير الغيابات أين رأى بأنه لا يمكنه المواصلة، لا يمارس أي نشاط مهني حاليا.

المقابلة مع المفحوص تمت في جو مريح، ورغبة في المشاركة وفهم دوافع سلوكه وتوجهه نحو الإدمان، وقد كان متعاونا معنا، يحاول الإجابة عن الأسئلة، غير أن إجاباته شهدت بعض الكف والقلق خاصة ما تعلق بالجانب العلائقي مع الوالدين، يشير إلى السياق التجنبي للاستدعاءات التي قد تحييها تلك الأسئلة، لذا كان يرد كثيرا في اجاباته بعبارة " عادي normal "

البداية في تعاطي المواد المخدرة كانت في سن مبكرة، 14 سنة لمراهق بدأ يكتشف العالم ويكون صداقات مع جماعة الرفاق بحثا عن حرية واستقلالية أكثر، وتجربة أشياء تجلب المتعة واللذة، فقد تعاطى القنب Cannabis، ثم أخذ في تنويع المواد المستهلكة حسب وجودها، بحثا عن الاثارة وإشباعا لرغبة التجربة واكتشاف الممنوع، إلى أن أحس بضرورة زيادة الكمية المستهلكة، فيما يشير إلى عرض التحمل La tolérance المميز للإدمان، وأن هذه المواد تمثل شيئا ضروريا في حياته، أين يعترف بإدمانه على تلك المواد، وانها أثرت على حياته وسلوكاته وعلاقاته مع الآخرين، فأصبح يفضل البقاء وحيدا مع المواد التي يدمنها، مما يشير إلى الكف الذي يطبع حياته الاجتماعية.

طلب العلاج كان من طرف الأسرة التي أحست بحالة ابنها السيئة، ضف إلى ذلك الطابع الصراعي الذي أصبح يميز علاقتها معه، لذلك فقد لجأت إلى طلب التدخل المتخصص لمساعدة الابن على التوقف واسترجاع حياته الطبيعية.

الحياة النفسية للحالة تتجه نحو الاستثمار النرجسي والتركيز الكبير على المخدر، ففي سؤال حول كيف ترى نفسك؟ يقول " أنا انسان مدمن، عاقل، تاع راسي" وقد لحظنا رفض واضح لأخذ المبادرة في الحديث، والميل للاختصار وانتظار رد الباحث، مع فقر في التعبير الوجداني، مما يشير إلى أن المفحوص يواجه صعوبات في ارصان تسوية مع العالم الخارجي، والقدرة على التفاعل معه.

الحياة العلائقية مع الآخر يسودها الصراع، فعلاقته مع الأم حسب قوله " normal"، غير أن التعمق في السؤال يكشف لنا وجود صراع مع الأم والذي يتحول إلى صدام أحيانا حول سلوك الإدمان، في حين يشير إلى أن طفولته لم تشهد وجود تعبيرات عاطفية من طرف الأم ولا تواصل جيد بينهما، أما الآن فهو لا يشاركها أفكاره ولا عواطفه.

العلاقة مع الأب كانت جد سطحية قبل الإدمان، وتشهد الكثير من الصدام الآن حول سلوكه الادماني، أين يريد المفحوص أن يفرض سلوكه رغم رفض الأسرة، حتى وإن اعترف بأنهم يريدون مصلحته من خلال اعتراضهم، كذلك العلاقة مع الاخوة هي علاقة فقيرة ولا وجود لتواصل ولا لاستثمار عاطفي غني.

العلاقة مع الرفاق هي علاقة مصلحة حسب تعبيره، تدور حول المواد المخدرة التي يستهلكونها سويا، تسودها استعمال لمصطلحات سرية تساعد تواصلهم، تلك العلاقة تشهد في بعض الأحيان سلوكات المرور إلى الفعل من خلال الشجار والعنف الممارس دائما بسبب المواد المخدرة، أما علاقاته بالجنس الآخر فقد ربط من قبل علاقات صداقة جيدة، وعلاقات عاطفية.

تحتل المواد المخدرة مساحة نفسية كبيرة في حياة المفحوص، فهو مستعد للتضحية من أجل الحصول عليها، فقد أصبحت المخدرات حياته حسب تعبيره، بعد أن كانت في البداية مجرد رغبة في الاكتشاف وشيء مجهول يريد معرفته، لتأتي تأثيراتها فيما بعد تظهر على صحته، نفسيته وعلاقاته.

المستقبل في نظر المفحوص مفهوم جد فقير، فهو لم يستطع بناء تصورات واضحة لأفكار أو مشاريع يريد تحقيقها، فالاهتمام مزال منصبا على المادة المخدرة، حتى أنه لا يرى الطريق الواجب سلكها ولا السلوكات التي يجب أن يغيرها في حياته ليستطيع التوقف عن الإدمان.

المقابلة مع مسعود أظهرت توظيف نفسي يميل إلى التجنب الذي يستعمله كدفاع في علاقاته مع العالم الخارجي، وأيضا الكف في ظل وجود طابع سندي للعلاقة ظهر من خلال أخذ مسافة وانتظار الرد من الباحث، ضف إلى ذلك فقر في التعبير العاطفي وضعف في الارتباط تصورات / وجدانات، في حياة نفسية تدور حول المادة المخدرة، وعلاقة غير مستقرة مع عالم الخارجي.

1 ـ 2 ـ بروتوكول TAT للحالة الأولى (مسعود) :

سلوك المفحوص اثناء التطبيق اتسم بالكف وظهور حركة جسدية، كما أبدى تعاونا مع المختص.

البداية: 9:41 النهاية: 9:53 الوقت الكلي: 12 دقيقة

اللوحة 1:

5" ولد عندو stress، مورال (moral) تاعو هابط قاع +++ كيما قلنا راه كاره شغل، راه كاره ماشي شغل، ومورال (moral) هابط زيرو (zéro)، هذا واش استنتجت من هاذ الصورة.1:30"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، يبدأ بالتشديد على الصراعات الضمنفسية A2-4، ثم تعبيرات عاطفية B1-3، ثم يسود صمت مهم في القصة CI، ليظهر بعدها اجترار A3-1، ثم ينتقل إلى إلغاء تفسيرات سابقة A3-2، مع عواطف ظرفية، ليختم بتحفظ A3-1.

الإشكالية:

إدراك المفحوص لهذه اللوحة كان جزئيا، أين لم يدرج الكمان ضمن القصة، مما يدل على صعوبة في التموقع أمام الموضوع، وظهر الاعتراف بعدم النضج الوظيفي في إدراك طفل بائس وعاجز، يشير إلى ضعف الاستثمار الذاتي، الذي يتضح عموما من خلال وجدان اكتئابي، واعتراف بقلق الخصاء.

اللوحة 2:

9" مرا رافدة كتاب رايحة تقرا +++ وقليل لي يقرا في هاذ الوقت، قليل لي يقرا وهي رافدة كتاب ورايحة تقرا ++ هذا واش استنتجت.41"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، يدخل المفحوص في القصة من خلال وصف مع التعلق بالتفاصيل A1-1، ليسود بعدها صمت مهم داخل النص Cl1، مع استعمال مصادر ثقافية A1-4، ثم يتجه إلى اجترار نفس التصورات A3-1، ليختم بتحفظ A3-1، في قصة يسودها إخفاء موضوع ظاهري E1-1.

الإشكالية:

تدور إشكالية هذه اللوحة حول العلاقة الثلاثية القادرة على احياء الصراع الأوديبي من جديد، حيث بدا الكف واضحا في هذه اللوحة، أين عجز المفحوص عن إدراك كلي لأشخاص اللوحة، في حركة دفاعية تبين صعوبة في بناء الصراع الأوديبي، واحياء إشكالية الضياع من خلال الاستغناء على مواضيع الحب.

اللوحة 3BM:

6" مرا راهي تبكي++ مشاكل++ sure عندها مشاكل.17"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، يدخل المفحوص القصة بدون تعريف الأشخاص Cl2، لينتقل إلى تعبيرات عاطفية B1-3، ليشدد على الصراعات الضمنفسية A2-4، في قصة تميل التقصير Cl1.

الإشكالية:

تدور إشكالية اللوحة حول الوضعية الاكتئابية، أين قام المفحوص بادراك جنس شخصية اللوحة غير المحدد كأنثى ليشير إلى هشاشة على المستوى التقمصي، واجه ايحاءاتها الكامنة من خلال كف شديد يشير إلى صعوبة في تجاوز الإشكالية الاوديبية، مع الاعتراف بالوجدان الاكتئابي.

اللوحة 4:

4" الراجل راهو زعفان على المرا +++ هي تهدر معاه وهو والو رايح لها في وجهها. 28"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تبدأ القصة بعدم تعريف بالأشخاص Cl2، مع عواطف ظرفية CF2، ثم يسود وقت صمت طويل Cl1، لتظهر فيما بعد هيئة دالة على العواطف CN3.

الإشكالية:

ترجع إشكالية اللوحة إلى صراع نزوي في علاقة جنسية عادية، نلاحظ ان المفحوص يتفادى الايحاءات الكامنة للوحة، أين يترك نوعية العلاقة بين الشخصين المذكورين في القصة مجهولة، من خلال الكف الذي يستعمل كوسيلة لمواجهة الشحنة النزوية، ويظهر أيضا أن الانجذاب الوجداني العلائقي يتميز بحركة عدوانية.

اللوحة 5:

3" مرا راهي تطل على chambre، شغل راهي تقرعج، مانعرف كيفاش يقولوها بالفصحى، راهي تقرعج على chambre، (تعجب) c'est bon 40"

حركية السياقات الدفاعية:

بعد زمن كمون أولي، تبدأ القصة بعدم تعريف للأشخاص Cl2، ووصف مع التعلق بالتفاصيل A1-1، ثم تحفظات كلامية A3-1، ثم استدعاء موضوع اضطهاد E2-2، لينتقل إلى طلب من الاخصائي CM1، ثم اجترار A3-1، ليختم بتعجب B2-1.

الإشكالية:

ترمي إشكالية اللوحة إلى الصورة الأمومية، أين يظهر من خلال القصة أن الأم تعاش كهيئة أنا أعلى تراقب، تظهر على شكل عدوانية وممنوعات.

اللوحة 6BM:

5" راجل حشمان يهدر مع يماه، يا يماه يا جداتو، راهو حشمان يهدر معاها +++ c'est bon 26"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تشديد على العلاقات البينشخصية B1-1، ثم عواطف ظرفية CF2، مع اجترار A3-1، في قصة تميل إلى التقصير CI1.

الإشكالية:

تشير إشكالية اللوحة إلى التقارب أم ـ ابن في محتوى مضطرب، أين يظهر تفريق بين الجنسين وصعوبة في تحديد نوعية العلاقة بين شخصيتي القصة من حيث الأجيال، كما تشير إلى صعوبات علائقية بين المفحوص وموضوع الحب الأولي الذي يظهر من خلال صعوبة التواصل بين الاثنين.

اللوحة 8BM:

7" صرا crime والولد راه يشوف +++ نعسان حزين، شغل منام.27"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تظهر تصورات لأحداث مرتبطة بحالات انفعالية للخوف B2-4، ثم يسود صمت داخل النص CI1، لتستمر القصة من خلال عزل التصورات عن العاطفة A3-4، مع لجوء إلى الخيال A2-1.

الإشكالية:

تحيي هذه اللوحة قلق الخصاء والعدوانية اتجاه الصورة الوالدية، ويظهر من خلال قصة المفحوص اعتراف بقلق الخصاء وظهور نزوات عدوانية هدامة، مع وجدان اكتئابي كوضعية سلبية في مواجهة الايحاءات الكامنة للوحة.

اللوحة 10:

5" رجل ومرا يتعاشقوا، يديرو l'amoure كيم نقولوا +++ 25"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تبدأ القصة من خلال تصورات شبقية العلاقات B3-2، ثم اجترار A3-1، في قصة تميل إلى التقصير CI1.

الإشكالية:

تشير إشكالية اللوحة إلى التعبير النزوي بين الزوجين، أين يظهر اعتراف بالرابط الجنسي بين الزوجين مع التعاطف والحنان ضمن العلاقة.

اللوحة 11:

6" (تعجب) الحمام ++ راهو مريح في بلاصة بين الغابة والحجر. 19"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تبدأ القصة بتعجب B2-1، ليظهر إدراك أجزاء نادرة E1-2، ثم وصف مع التعلق بالتفاصيل A1-1، في قصة تميل إلى التقصير Cl1.

الإشكالية:

ترجع إشكالية اللوحة إلى النظام ما قبل التناسلي والعلاقة مع الأم البدائية، وقد واجه المفحوص هذه الاشكالية بالكف الشديد والتركيز على المحتوى الظاهر، في غياب أي طابع صراعي أو قلق، أين لم تثر ايحاءات اللوحة إلى نكوص ولا احياء مواضيع بدائية.

اللوحة 12BG:

5" الطبيعة ++ هنا كاين الطبيعة، كيم يقولوا شالوتي وواد صغير. 15"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تبدأ القصة بفكرنة، كعنوان للوحة A2-2، ثم وصف مع التعلق بالتفاصيل A1-1، في قصة تميل إلى التقصير Cl1.

الإشكالية:

يواجه المفحوص إشكالية اللوحة بكف شديد من خلال التركيز على المحتوى الظاهري في غياب أي صدى وجداني، مع قدرة على وضع فرق بين العالم الداخلي والخارجي.

اللوحة 13B:

3" ولد قاعد يخمم على باب دارهم. 9"

السياقات الدفاعية:

Cl1, CN 3, A2-4

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تبدأ القصة بتشديد على الصراعات الضمنفسية A2-4، ثم تظهر هيئة دالة على العواطف CN 3، في قصة تميل إلى التقصير Cl1.

الإشكالية:

تثير هذه اللوحة مدى القدرة على تحمل العزلة في ضوء الوضعية الاكتئابية، وقد واجهت اسقاطات المفحوص مقاومة كبيرة، أين يعترف بالوضعية الاكتئابية ليأتي الكف كدفاع يقف أمام التخرج من هذه الإشكالية.

اللوحة 13MF:

9" راجل جاب لي ربي راهو يبكي++ شاف مرتو ميتة+++.26"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تبدأ القصة بعدم تعريف بالأشخاص Cl2، ثم تحفظات كلامية A3-1، بعدها عواطف ظرفية CF2، لتختتم بعناصر مقلقة متبوعة بتوقف الخطاب Cl3.

الإشكالية:

تدور ايحاءات هذه اللوحة حول التعبير الجنسي والعدواني عند الزوجين، أين تمكن المفحوص من بناء ربط بين الحركات النزوية والعدوانية في القصة من خلال سيناريو واضح، مع اعتراف ضمني بالشعور بالذنب يظهر من خلال البكاء.

اللوحة 19:

4" dessein animer ++ شغل الايسكيمو 19"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تبدأ القصة بوضع في لوحة فنية CN3، ثم تحفظات كلامية A3-1، ثم فكرنة A2-2، في قصة تميل إلى التقصير CI1.

الإشكالية:

تتمحور إشكالية اللوحة في محاولة فهم قدرة المفحوص على تنظيم الانفصال بين الداخل والخارج، بين الموضوع الجيد والسيء، وقد تميزت اسقاطات المفحوص بالكف الشديد وميل نحو التقصير من خلال مقاومة لظهور استدعاءات بدائية، فيما كان هناك تحكم في لحدود بين الداخل والخارج.

اللوحة 16:

16" (عدم النظر في اللوحة) أنا في الدار نحس روحي stressé، كي نخرج نشرب كاشيات يطلع المورال، وكي نولي للدار يبداو يقولو علاش، وأنا نكذب عليهم ++ 45"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي طويل CI1، تبدأ القصة بمصادر شخصية CN1، ثم تشديد على الصراعات الضمنفسية A2-4، ثم تشديد على ما هو يومي وواقعي CF1، لتختتم بالتشديد على الاستناد على الموضوع CM1.

الإشكالية:

تشير طريقة ارصان الإجابة في هذه اللوحة إلى قدرة المفحوص على تركيب مواضيعه المفضلة، والعلاقة الموضوعية بها، اسقاطات المفحوص بدأت بصعوبة من خلال زمن الكمون الطويل، ثم تناول المادة الإدمانية كوسيلة لتحقيق اشباع عاطفي، غير أن هذا يرتبط بصراع العلائقي بدا واضحا مع الأسرة، يقوم المفحوص باستعمال التجنب كدفاع للحفاظ على علاقته بالمادة الإدمانية وعلاقاته الأسرية في نفس الوقت.

سياقات الرقابة A		سياقات المرونة B		سياقات التجنب C		السياقات الأولية E	
A1: الرجوع إلى الواقع الخارجي		**B1**: استثمار العلاقة.		**CF**: افراط في استثمار الواقع الخارجي.		**E1**: تشويه الادراك.	
A1-1: وصف مع التعلق بالتفاصيل، مع أو بدون تبرير	4	B1-1: تشديد على العلاقات البينشخصية، استعمال الحوار.	1	CF1: تشديد على ما هو يومي، واقعي، فعلي، مصدر مركز على الواقع الخارجي.	1	E1-1: اخفاء موضوع ظاهري.	1
A1-4: مصادر أدبية، ثقافية،	1	B1-3: تعبيرات عاطفية.	1	CF2: عواطف ظرفية، الرجوع إلى معايير خارجية.	4	E1-2: ادراك أجزاء نادرة أو غريبة مع أو بدون تفسير تعسفي.	1
A2: استثمار الواقع الداخلي:		**B2**: درامية		**CI** : الكـف		**E2**: كثافة الاسقاط.	
A2-1: لجوء إلى الخيال أو الحلم.	1	B2-1: تعجبات	2	CI1: ميل عام للتقصير (زمن الكمون طويل و/أو صمت مهم داخل النص ، ضرورة طرح الأسئلة، ميل إلى الرفض، رفض)	12	E2-2: استدعاء موضوع اضطهاد.	1
A2-2 : فكرنة.	2	B2-4: تصورات لأحداث مرتبطة أو غير مرتبطة بحالات انفعالية الخوف، الكارثة، الدوار...	1	CI2: دوافع الصراعات غير محدد، ابتذال، عدم التعريف بالأشخاص.	4		
A2-4: تشديد على الصراعات الضمنفسية ـ ذهاب/ إياب بين التعبير النزوي و الدفاع.	4	B3: **سياقات من النمط الهستيري**		CI3: عناصر مقلقة متبوعة أو مسبوقة بتوقف في الخطاب.	1		
A3: سياقات من النمط الهجاسي:		B3-2: شبقية العلاقات	1	**CN**: استثمار نرجسي.			
A3-1: شك: تحفظات كلامية، تردد بين تفسيرات مختلفة، اجترار.	10			CN1: تشديد على الانطباع الذاتي، مصادر شخصية.	1		
A3-2: إلغاء.	1			CN3: وضع في لوحة فنية – عاطفة معنونة – هيئة دالة على العواطف.	4		
A3-4:عزل بين التصورات، أو بين التصور والعاطفة.	1			**CM**: سياقات ضد اكتئابية.			
				CM1: التشديد على وظيفة السند للموضوع (قيمة زائدة أو ناقصة) طلب من الأخصائي.	3		
24 (%38)		06 (%10)		30 (%47)		03 (%5)	

جدول رقم (2): يبين مجمل السياقات الدفاعية للحالة 1

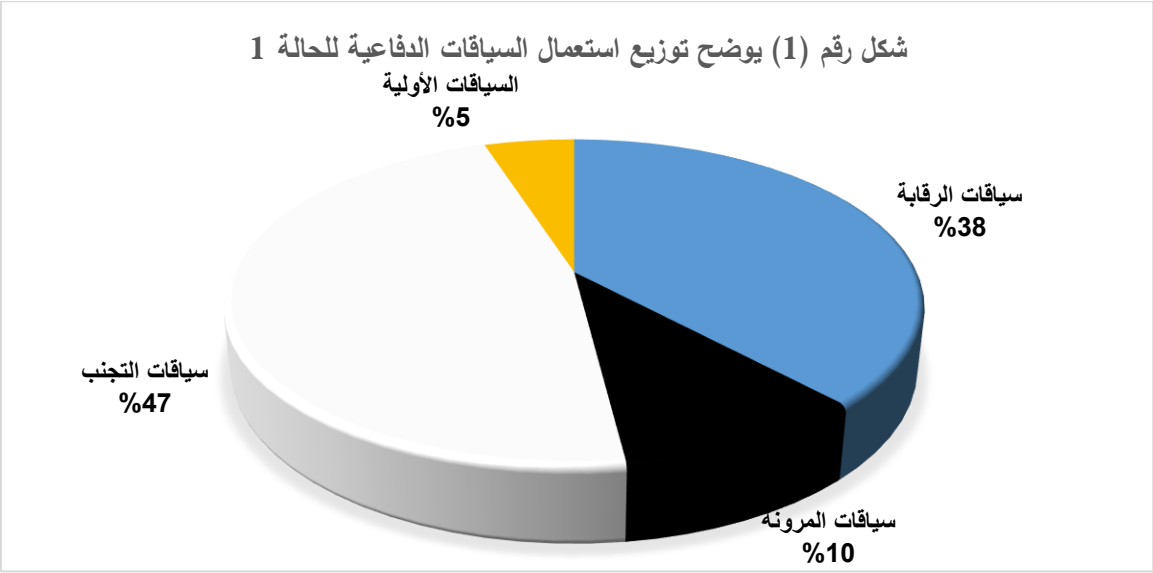

1 ـ 2 ـ 1 ـ السياقات الدفاعية:

من خلال تحليل البروتوكول واستخراج السياقات الدفاعية، يتضح لنا بأن المفحوص استخدم 63 سياق دفاعي، اتجه أغلبها نحو سياقات التجنب C بنسبة 47%، أين ظهرت سياقات الكف CI بنسبة كبيرة من خلال زمن الكمون الأولي الطويل والميل نحو التقصير، وهو ما أعطى القصص طابعا متقطعا مع ضعف في الارتباط بين التصورات والوجدانات، ولجأ أيضا إلى سياقات عدم التعريف بالأشخاص من خلال عدم توضيح الاختلاف في الأجيال والجنس لشخصيات القصة وتجنب بناء علاقة بينهم من خلال اضفاء صورة ضبابية لهم، تساعده على عزل الصراعات الليبيدية التي تحركها المادة الإسقاطية، ويشير إلى صعوبات علائقية حيث أن المراهق عاجز عن بناء علاقات مع الآخر، إذ لم تتم عملية الحداد إزاء مواضيع الحب الأولى، كما ظهرت سياقات الاستثمار النرجسي CN وسياقات الاستناد على الموضوع CM لتشير إلى الحاجة إلى السند ومثالية المواضيع، مع هشاشة وصعوبة مواجهة الصراعات الأوديبية.

وظهرت في المقام الثاني سياقات الرقابة A بنسبة 38%، أين طغت على القصص سياقات النمط الهجاسي من خلال الشك، التحفظ والتردد، لتشير إلى الرقابة التي يفرضها المفحوص على اسقاطاته، والخوف من التعبير بحرية الذي يمكن أن يفجير صراعات داخلية غير محتملة، كما ظهر الوصف مع التعلق بالتفاصيل الظاهرة للوحة، كمقاومة لوضعية النكوص، وأيضا التشديد على الصراعات الداخلية.

على عكس سياقات التجنب والرقابة، جاء البروتوكول فقير من سياقات المرونة B بنسبة 10%، التي ظهرت من خلال التعجب والتشديد على العلاقة بين الأشخاص، وشبقية للعلاقات، فضعف استعمال سياقات المرونة والتركيز على السياقات الدفاعية الصلبة يشير إلى صعوبة في التخرج من إشكالية مادة الاختبار الإسقاطي.

فيما جاءت السياقات الأولية E بنسبة 5%، من خلال اخفاء موضوع ظاهري في اللوحة 2 ليدل على صعوبة ارصان الصراع الأوديبي، وتجنب تقمص المواضيع أو التقرب منها، وكذا ظهور سياقات إدراك موضوع نادر، استدعاء موضوع اضطهاد.

بعد قراءة سياقات بروتوكول المفحوص يتضح لنا بأنها تميل نحو سياقات التجنب والرقابة بدرجة كبيرة، مع تراجع سياقات المرونة الضرورية للتخرج من اشكالية اللوحات، في حضور ضعيف للسياقات الأولية.

1 ـ 2 ـ 2 ـ إشكالية البروتوكول:

من خلال قراءة وتحليل إشكالية كل لوحة التي ظهر خلالها الكف والميل إلى التقصير في قصص تميزت بالتقطع، مع سياقات تميل إلى التجنب والرقابة، أين لجأ المفحوص إلى تجنب الصراعات التي تحرضها لوحات الاختبار، خاصة الصراع العلائقي والتقارب الأوديبي، وقد بدا واضحا من خلال القصص التي بناها المفحوص نزعة نحو عدم التعريف بالأشخاص، حيث كانت هناك صورة ضبابية تتجاهل جيل الشخصية وأحيانا الجنس، مما يعزز قولنا في الصعوبة التي يواجهها في المجال العلائقي، ضف إلى ذلك ظهور الوجدان الاكتئابي وقلق فقدان الموضوع عبر الكثير من قصص الاختبار.

اللوحة 2 التي تحمل إشكالية العلاقة الثلاثية والصراع الأوديبي، شهدت عجز المفحوص عن إدراك كامل للشخصيات، أين تركز التعبير القصصي فقط حول المرأة، في حركة دفاعية تبين صعوبة في بناء الصراع الأوديبي والتموضع ضمن علاقة ثلاثية، وأدت لإحياء إشكالية الضياع من خلال الاستغناء على مواضيع الحب، فيما كان تقمص شخصية اللوحة 3BM كصورة أنثى يدل على صعوبة في السيرورة التقمصية وتجاوز الصورة الأمومية واستثمار مواضيع خارجية، فيما لجأ المفحوص إلى الكف في مواجهة إشكاليات لوحات أخرى بحيث ترك نوعية العلاقة بين الأشخاص مجهولة، فيما أظهرت اللوحة 6BM صعوبات علائقية بين المفحوص وموضوع الحب الأولي وصعوبة التواصل بين الاثنين، أما اللوحة 13BM فأوضحت صعوبة تحمل العزلة في ضوء الوضعية الاكتئابية من خلال تشديد على الصراعات الضمنفسية، حيث واجهت اسقاطات المفحوص مقاومة كبيرة كدفاع يقف أمام التخرج من هذه الإشكالية، مع تشديد على المحتوى الظاهري في اللوحات التي لا تحمل محتوى إنساني.

أظهر المفحوص صعوبة في ارصان إشكاليات اللوحات الأوديبية والاكتئابية، أين اعتمد على الكف والتقصير وعدم التعريف بالأشخاص كسياقات لتناولها، في وجود طابع استنادي على الموضوع ووجدانات اكتئابية، يدل على صعوبات على المستوى العلائقي والسياق التقمصي.

1 ـ 3 ـ خلاصة الحالة:

من خلال المقابلة العيادية التي أوضحت؛ توظيف نفسي يميل نحو التمركز على الذات، في حضور ميكانيزم التجنب الذي يستعمله كدفاع في علاقاته مع العالم الخارجي، ووجود طابع سندي للعلاقة يجعله في حاجة دائمة إلى علاقة اعتمادية خلال حياته، أين يشكل الإدمان على المواد المخدرة بديل للاعتماد على الأم، فالسلوك الإدماني محاولة لطلب السند والمساعدة يبحث عنها الفرد في مادة إدمانية كسلوكات تعويضية نظرا للخبرات السارة التي يعيشها من خلالها، ضف إلى ذلك فقر في التعبير العاطفي وضعف في الارتباط تصورات/ وجدانات، في حياة نفسية تدور حول المادة المخدرة، وعلاقة غير مستقرة مع عالم الخارجي.

ومن خلال رائز تفهم الموضوع الذي أوضح؛ انتاج اسقاطي يتجه في أغلبه نحو التجنب والرقابة كأساليب دفاعية صلبة تعيق سياقات المرونة التي ظهرت بتكرار قليل مما يعيق عمل التفكير، هذه الصلابة يحاول من خلالها المفحوص تجنب الصراع لعدم قدرته على التعامل مع المواضيع الأولى، وحياته العلائقية التي تتسم بالهشاشة، لذلك فهو يخلق مواضيع خارجية (المادة المخدرة) خالية من الصراع يستطيع التحكم فيها وتحافظ على هويته، أين جاءت القصص تميل نحو التقصير يميزها الكف وأزمنة الكمون الطويلة، في بداية القصص أو أثناءها، مع عدم التعريف بالأشخاص من حيث الأجيال والجنس، تجنبا للصراع العلائقي والتقارب الأوديبي، في حضور السياقات النرجسية وضد الاكتئابية كحاجة إلى السند ومثالية المواضيع.

بناءً على النتائج المحصل عليها من المقابلة العيادية ورائز تفهم الموضوع يتضح لنا أن الإنتاج الاسقاطي للمفحوص يتجه نحو استعمال دفاعات صلبة تعيق التخرج من المادة الإسقاطية، في حضور السياقات النرجسية والاسنادية، يمكن أن نقول بأن هناك هشاشة في التقمصات.

2 ـ عرض الحالة الثانية (أيوب):

السن: 18 سنة	الجنس: ذكر
عدد الاخوة: 4	الترتيب: الرابع
المستوى الدراسي: تعليم المتوسط	بداية تعاطي المخدرات: 14 سنة
المواد الإدمانية المستعملة: Cannabis, ketyl, Lysanxia, Lexomil, Lyrica, Tramadol	

2 ـ 1 ـ المقابلة العيادية:

يبلغ أيوب 18 سنة من العمر، يقطن في حي شعبي، يعيش في البيت الاسري في أسرة تتكون من أربع أبناء، اثنان ذكور واثنان اناث، والده متوفي منذ سنة من اجراء المقابلة، توقف عن الدراسة في مرحلة التعليم المتوسط، توجه نحو اجراء تكوين مهني في مجال الحدادة بتوجيه من الأخ الأكبر، لا يمارس أي نشاط مهني في الوقت الحالي.

المقابلة مع المفحوص جرت في جو جيد، أين أبدى نوع من التعاون ورغبة في تجاوز ادمانه، والتوقف عن تعاطي تلك المواد، مع التماس المساعدة وطلب السند.

البداية نحو تعاطي المواد المخدرة كانت في سن 14، في أولى تجربة بدأت من خلال القنب Cannabis، لتأتي فيما بعد تنويع كبير في المواد المستهلكة من مخدرات ذات تأثير اقوى، وزيادة الكمية فيما يشير إلى عرض التحمل La tolérance المميز للإدمان إحساسا منه بأن الكمية القليلة أصبحت غير كافية لتحقق النشوة المرغوبة.

يرى المفحوص بأن اتجاهه نحو تعاطي المخدرات كان رغبة في التجربة وبحثا عن الاثارة، ضمن سلوك مجموعة الرفاق، أين كانت تشكل تلك المادة محورا للعلاقة بينهم وتقويتها.

طلب العلاج كان من طرف الأسرة، وبالضبط من طرف الأخ الأكبر الذي يدفع المفحوص نحو التوقف عن ادمانه، من خلال التكفل الطبي، والحرص على أخيه باتباع تعليمات الطبيب والحد من حريته وعلاقاته مع جماعة الرفاق إذ انه يلعب دور الأب.

الحياة النفسية لدى المفحوص اتجهت نحو التمحور حول الذات، فكانت النظرة إلى ذاته من خلال التركيز على قيمته الإيجابية بأنه شخص جيد وخجول "نحشم بزاف، ونسمح في حقي بزاف" ثم أظهر صعوبة على مستوى التفاعل والتوافق مع الآخرين، في استجابته لسؤال "إحك لي على روحك" كما تناول موقعه إزاء علاقاته بالآخر، والجانب الصراعي الذي يميزه مع الاناث: "أنا لا علاقة بالبنات، وجهي يحمّر"، مع ظهور أفكار الشك والوسواس.

الحياة العلائقية اتجهت نحو الكف والصراع، مع ضعف في تأكيد الذات "نحب كامل الناس، حنين معاهم" وظهور للطابع السندي في علاقاته مع الآخر، فيما كانت علاقته مع الأم صراعية، فهو يقول بغياب تفاهم بينهما وتواصل سيء، فهي لا تثق فيه ودائما ما تواجهه بالشك، هذه العلاقة كانت جد اعتمادية في مرحلة الطفولة أين يقول " كنت دايما لاصق فيها"، أما العلاقة مع الأب المتوفي فقد اتسمت بالتوافق في السابق أين يقول "بابا نحبو بزاف، كي صاحبي، نضاربو، نحكو" هذه العلاقة لم تستثمر كعلاقة أب ـ ابن، فهو لم يشكل مرجع لهيئة أنا أعلى قوي يمثل السلطة و القوة، بل هو في كثير من الأحيان يشير إلى غياب دوره في غياب نفسي للأب، هذا الغياب تملأه الأم والأخ الأكبر، مما يشير إلى شيء من الاضطراب في نسق الأسرة.

العلاقة مع الاخوة ظهرت من خلال أخ متسلط يحاول أن يتحكم في كل سلوكاته، يراقب خصوصياته، ملابسه وأغراضه "نخاف منو بزاف، مزيرني، يقلب لي قشي" يتفاعل معه المفحوص بالخضوع والتجنب، في حين كانت العلاقة مع الاخوات أفضل.

رد فعل الأسرة عند اكتشاف ادمان المواد المخدرة كان من خلال سحب الثقة من المفحوص والشك في كل تصرفاته والحد من حريته، أين أصبحت تخاف عليه أكثر وتظهر تلك السلوكات كوسيلة حماية للمراهق من العالم الخارجي.

علاقته مع الرفاق فقيرة تدور حول المادة المخدرة، فهو يرى بأنها علاقة منفعة، مع أنه لا يملك الكثير من الأصدقاء، فقد كانوا يستعملون كلمات سرية للتواصل بينهم كأحد مميزات التواصل في مرحلة المراهقة، غير أنه في الآونة الأخيرة أخذ يتجنبهم ويفضل البقاء وحيدا "نحب نبقى خلوي"، هذه العلاقة كثيرا ما شهدت سلوكات المرور إلى الفعل من خلال العنف الممارس بينهم من أجل المادة المخدرة.

العلاقة مع الجنس الآخر كانت جد فقيرة، أين أخذ المفحوص يردد "نحشم، نحشم، نحشم" مما يشير إلى صعبة تجاوز الاستثمارات الأوديبية والتوجه نحو استثمار مواضيع حب خارجية جديدة.

المادة الإدمانية في حياة المفحوص، أصبحت تمثل جزء كبير من حياته، "في البداية كنت ناكل باش نتخلوى، دوك ناكل باش نولي بنادم" وهو ما يشير إلى أحد جوانب الاعتماد على المادة، وأيضا الاستثمار النفسي الموجه نحوها، فهو بنى جزء من حياته على تلك المواد، علاقاته، سلوكاته وعاداته، هي أيضا أثرت على علاقته مع نفسه أين أخذ يفضل البقاء وحيدا مع ظهور سلوكات مرور إلى الفعل فهو مستعد للقيام بأي شيء في سبيل الحصول على المادة، كما أثرت على علاقته بالأسرة التي فقدت فيه الثقة.

النظر إلى المستقبل يحمل الرغبة في الشفاء، لكن في اعتماد على الآخر (الطبيب) في إشارة للطابع السندي، مع غياب أي تصورات مستقبلية بناءة لأفكار أو مشاريع تساعده في التوقف عن ادمانه، فهو يفكر في الهجرة "حاب نحرق" كسلوك تجنبي يسعى من خلاله إلى الابتعاد والبقاء وحيدا بعيدا، بحثا عن ملجأ يغيب فيه الشعور بالذنب، ويحصل فيه على الاستقرار والهدوء في الخارج بدلا من البحث عنه في العالم النفسي الداخلي.

من خلال المقابلة العيادية اتضح الطابع السندي للعلاقات التي يبنيها المفحوص مع الآخر، مع صعوبة في بناء علاقة مستقرة مع العالم الخارجي، وحياة نفسية تميل إلى الاستثمار النرجسي وتتمحور حول المادة المخدرة، وتصورات مستقبلة تتجه نحو الرغبة في الهروب بعيدا في حركة نحو استثمار مواضيع جديدة يستند عليها لتحقيق الهدوء والاستقرار.

2 ـ 2 ـ بروتوكول TAT للحالة الثانية (أيوب):

سلوك المفحوص اثناء التطبيق شهد الكف والقلق، مع أنه كان متعاونا مع الفاحص.

البداية: 9:40 النهاية: 9:51 الوقت الكلي: 11 دقيقة

اللوحة 1:

12" بصح هاذي واش معناها؟ ++ معناها شغل راهو حزين، شغل راهو حزين، شغل راهو حاب يعبر بـ Viellant وما قدرش، ما عرفش.53"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تبدأ القصة بطلب من الاخصائي CM1، ثم تحفظات كلامية A3-1، مع عدم تعريف بالأشخاص Cl2، بعدها عواطف ظرفية CF2، تظهر بعدها تحفظات كلامية A3-1، ليظهر ذهاب/ إياب بين التعبير النزوي والدفاع A2-4، لتختتم باجترار A3-1.

الإشكالية:

تم إدراك الطفل والكمان في موقف شخص غير ناضج وظيفيا في استعمال موضوع الراشد، مما يشير إلى قدرة المفحوص على التموقع كشخص كلي أمام الموضوع، مع اعتراف بقلق الخصاء امام إشكالية اللوحة، ثم إدراك الطفل في موقف العاجز والحزين مما يشير إلى عدم كفاية الاستثمار النرجسي الذاتي يمكن تجاوزه في المستقبل.

اللوحة 2:

15" (تمتمة) شغل ++ شغل يمات راهي تعس في وليدها، ولا مانيش عارف ++ شغل هكا.45"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي طويل Cl1، تبدأ القصة بتحفظ A3-1، ثم تشديد على سياق العلاقات البينشخصية B1-1، ليظهر استدعاء موضوع اضطهاد E2-2، ثم تحفظات كلامية A3-1، في قصة تتميز بإخفاء موضوع ظاهري E1-1.

الإشكالية:

تم تناول إشكالية اللوحة من خلال الكف الشديد، بدأ بزمن كمون طويل، ثم ظهر إدراك للعلاقة أم ـ طفل، كصراع في علاقة ثنائية مع اهمال الشخصية الثالثة وهو ما يشير إلى صعوبة في السيرورات التقمصية، هذا السيناريو جاء كطريقة للتحكم في الوضعية التي حرضتها إشكالية اللوحة.

اللوحة 3BM:

9" حياة ضايعة +++ حياة ضايعة باينة. 23"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تبدأ القصة بعاطفة معنونة CN3، يليها صمت مهم داخل النص CI1، ثم اجترار A3-1، مع تقديم العواطف لصالح كبت التصورات B3-1، في قصة تميل إلى التقصير CI1، مع إخفاء موضوع ظاهري E1-1.

الإشكالية:

تناول المفحوص إشكالية اللوحة من خلال الكف الشديد الظاهر من خلال الميل إلى التقصير، ولمواجهة الايحاءات التي تدور حول الوضعية الاكتئابية، فقد اتجه المفحوص نحو الاعتراف بالوجدان الاكتئابي وضياع الموضوع الذي يأخذ قيمة جرح نرجسي يبعث على الانهيار والنقص، مع ضبابية في تحديد شخصية القصة التي بدت غائبة وهو ما يمكننا من القول بوجود صعوبات تقمصية.

اللوحة 4

18" آآآآآ ما علابالوش بالدنيا ++ شغل ما علابالوش بالدنيا، مرتو مبرونشيا معاه وهو ما علابالوش. 33"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي طويل CI1، تبدأ القصة بعدم تعريف بالأشخاص CI2، تسودها تحفظات كلامية A3-1، ثم تشديد على العلاقات البينشخصية B1-1، وهيئة دالة على العواطف CN3.

الإشكالية:

إشكالية اللوحة التي تتمحور حول الصراع النزوي في علاقة زوجية، تم ادراكها من طرف المفحوص من خلال صراع بين زوجين يبين الانجذاب نحو الجنس المختلف، رغم الكف الظاهر من خلال زمن الكمون الطويل، الذي يبعث على صعوبة في تناول الوضعية.

اللوحة 5:

9" راهي تطل على وليدها زعمة، آآآه ++ راهي تطل على وليدها، راهي تشوف واش يدير. 26"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، بدأت القصة بعدم تعريف بالاشخاص Cl2، مع استدعاء موضوع اضطهاد E2-2، ثم ادخال أشخاص غير ظاهرين في اللوحة B1-2، لتختتم باجترار A3-1.

الإشكالية:

تدور إشكالية اللوحة حول الصورة الأمومية، التي بدت لدى المفحوص من خلال صراع يحمل طابع أنا أعلى يقوم بالرقابة ويمثل الممنوعات، وقد حاول المفحوص تجاوز كل صدى نزوي يمكن أن تحرضه اللوحة من خلال الكف والرقابة.

اللوحة 6BM:

6" راهم ندمانين ++ راهم في زوج ندمانين C'est bon. 19"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تبدأ بتشديد على الصراعات الضمنفسية A2-4، مع عدم تعريف بالأشخاص Cl2، ثم تحديدات رقمية A1-2، واجترار A3-1، مع عدم تحديد دوافع الصراعات Cl2، في قصة تميل إلى التقصير Cl1.

الإشكالية:

إشكالية اللوحة تدور حول التقارب أم ـ طفل في محتوى مضطرب، وقد تميزت اسقاطات المبحوث بفشل في التفريق بين الجنسين والأجيال الذي يبدو بارزا في الصورة مع عدم التعريف بالأشخاص، مما يرمي إلى صعوبات تقمصية، ومحاولة لتجنب الصراع.

اللوحة 8BM:

9" واحد لاباس بيه ولاخر عيان ++ شغل واحد مهني، شغل كيفاش نقولو، واحد لاباس وواحد عيانة عليه. 26"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، يبدأ بعدم تعريف بالأشخاص Cl2، مع مثالية لتصورات الموضوع CN2، في وجود تحفظات كلامية A3-1، في قصة غير ملائمة للوحة E2-1.

الإشكالية:

تحيي هذه الصورة قلق الخصاء والعدوانية اتجاه الصورة الوالدية، استقبلها المفحوص بعدم التعريف بالأشخاص في قصة مبتذلة دون أي صدى صراعي، حيث فشل في إدراك إشكالية اللوحة.

اللوحة 10:

6" حاب يبوس راس وليدو؟ ++ زعما راك مليح كمل هكا. 15"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تشديد على العلاقات البينشخصية B1-1، ثم تعبيرات عاطفية B1-3، ومثالية ايجابية لتصورات الموضوع CN2، في قصة تميل إلى التقصير Cl1.

الإشكالية:

في إشكالية ترمي إلى التعبير الليبيدي بين الزوجين، يقوم المفحوص من خلال القصة بإفراغ الجانب الجنسي للتقارب، ويستثمره كاستناد على الموضوع، في محاولة دفاع لتفادي الصراع الذي تحرضه اللوحة، هذا ما يدل على وجود صعوبات على المستوى التقمصي والهوية.

اللوحة 11:

15" آآآ ما فهمتهاش هاذي ++ هاذي ما فهمتهاش، حياة ضايعة زعمة؟ حياة ضايعة.32"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي طويل Cl1، تظهر تحفظات كلامية A3-1، ثم عاطفة معنونة CN3، تختم بفكرنة A2-2.

الإشكالية:

تحمل اسقاطات المفحوص الكثير من القلق، الذي ظهر أولا في زمن الكمون الطويل والمقاومة، وتحيي مواضيع نفسية بدائية، أين قام المفحوص بالخروج من وضعية النكوص من خلال استثمار نرجسي يشير إلى وضعية اكتئابية يحركه قلق فقدان الموضوع.

اللوحة 12BG:

12" مكاش شجرة ما هزهاش الريح نورمالمو (دعابة) 25"

حركية السياقات:

بعد زمن أولي كمون، تبدأ القصة بمصادر ثقافية A1-4، ثم دعابة CM3، مع ميل إلى التقصير CI1، مع عدم إدراك موضوع ظاهري E1-1.

الإشكالية:

تمثل هذه اللوحة كوضعية ارتياح، تمد نوع من الهدوء مقارنة باللوحة السابقة، أين كان هناك اعتراف بغياب الموضوع دون الخوف من ضياعه، في غياب أي نكوص، مع قدرة على التفريق بين العالم الداخلي والخارجي.

اللوحة 13B:

4" نادم على واش دار ++ نادم على واش دار، آسف.15"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تبدأ القصة بتشديد على الصراعات الضمنفسية A2-4، مع عدم التعريف بالأشخاص CI2، ثم اجترار A3-1، ومسامية الحدود بين الراوي وشخصية القصة CL1، وعدم تحديد دوافع الصراعات CI2، وميل إلى التقصير CI1.

الإشكالية:

إشكالية اللوحة تدور حول العزلة، يواجهها المفحوص بالكف الظاهر من خلال الميل نحو التقصير، أين يعترف بالوضعية الاكتئابية والبقاء وحيدا، مع هشاشة الترميز الاومومي الذي يستعمل كسند لإسقاط صورة أم مضطربة، يقوم المفحوص بإصلاحها من خلال الاحساس بالذنب.

اللوحة 13MF:

5" المخدرات واش يديرو ++ يخلوك ما علابالك بوالو. 17"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، استدعاء تصورات مرتبطة بالموضوع السيء E2-2، ثم تشديد على الانطباع الذاتي CN1، في قصة تميل للتقصير Cl1 ، وغير ملائمة للمنبه E2-1

الإشكالية:

إشكالية هذه اللوحة ترجع إلى التعبير الجنسي والعدواني لدى الزوجين، التي عجز المفحوص عن ادراكها وترجمتها في سيناريو واضح، أين نجد عدم تعريف بالأشخاص، وتركيز على الطابع العدواني الذي يظهر باستدعاء الموضوع السيء، مرتبط مع وجود صراع نفسي داخلي.

اللوحة 19:

5" (يحدق) هاذي ++ ما فهمتهاش شغل ++ ما فهمتهاش (يقرب اللوحة ويبعدها) 34"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تحفظات كلامية A3-1، وميل إلى الرفض Cl1.

الإشكالية:

ظهر كف كبير في مواجهة إشكالية اللوحة التي تدور حول الصورة الهوامية للام، وتحيي صراع بدائي يدفع إلى النكوص، هذه الإشكالية التي فشل المفحوص في ادراكها، واستعمل رقابة كبيرة في مواجهتها، يدل على فشل في تنظيم الانفصال بين الداخل والخارج.

اللوحة 16:

5" واش ؟ (ψ: تكرار التعليمة) شغل مخدرات ما يخلوكش Alaise مع الدار، مع الزوجة إذا مزوج، مع الدار، مع المجتمع، لا شيء غير المخدرات ++ عام وراء عام تندم ++ تطفر. 43"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، يبدأ المفحوص بطرح أسئلة CI1، ثم استدعاء الموضوع السيء E2-2، لينتقل إلى مصادر شخصية CN1، ثم تحديدات زمنية A1-2، وتشديد على الصراعات الضمنفسية A2-4، ويختم بعواطف قوية B2-4.

الإشكالية:

تساعدنا هذه اللوحة في التعرف على قدرة المفحوص على تركيب مواضيعه المفضلة والعلاقة الموضوعية بها، فأمام غياب الصورة يرجع إلى استدعاء الموضوع السيء في حضور صدى وجداني، وتأثيره على علاقاته البينشخصية، في قصة تحمل الإحساس بالذنب.

سياقات الرقابة A		سياقات المرونة B		سياقات التجنب C		السياقات الأولية E	
A1: الرجوع إلى الواقع الخارجي		**B1**: استثمار العلاقة.		**CF**: افراط في استثمار الواقع الخارجي.		**E1**: تشويه الادراك.	
A1-2: تحديدات زمانية	2	B1-1: تشديد على العلاقات البينشخصية، استعمال الحوار.	3	CF2: عواطف ظرفية، الرجوع إلى معايير خارجية.	1	E1-1: اخفاء موضوع ظاهري.	3
A1-4: مصادر أدبية، ثقافية.	1	B1-2: ادخال أشخاص غير ظاهرين في الصورة.	1	**CI** : الكـف		**E2**: كثافة الاسقاط.	
A2: استثمار الواقع الداخلي:		B1-3: تعبيرات عاطفية.	1	CI1: ميل عام للتقصير (زمن الكمون طويل و/أو صمت مهم داخل النص ، ضرورة طرح الأسئلة، ميل إلى الرفض، رفض)	12	E2-1: عدم ملائمة الموضوع مع المنبه – تكرار – تخريف بعيد عن الصورة – رمزية مبهمة.	2
A2-2 : فكرنة.	1	**B2**: درامية		CI2: دوافع الصراعات غير محدد، ابتذال، عدم التعريف بالأشخاص.	8	E2-2: استدعاء الموضوع السيء، موضوع اضطهاد، بحث تعسفي لقصدية الصورة، و/أو الملامح الوجهية أو الهيئات – مثلنة من النوع العظامي.	3
A2-4: تشديد على الصراعات الضمنفسية - ذهاب/ إياب بين التعبير النزوي و الدفاع.	3	B2-2: عواطف قوية أو مبالغ فيها.	1	**CN**: استثمار نرجسي.			
A3: سياقات من النمط الهجاسي:		B2-4: تصورات لأحداث مرتبطة أو غير مرتبطة بحالات انفعالية الخوف، الكارثة، الدوار...	1	CN1: تشديد على الانطباع الذاتي، مصادر شخصية.	2		
A3-1: شك: تحفظات كلامية، تردد بين تفسيرات مختلفة، اجترار.	13	**B3**: سياقات من النمط الهستيري		CN2: تفاصيل نرجسية – مثالية لتصورات الذات و/أو لتصور الموضوع (قيمة زائدة أو ناقصة)	1		
		B3_1: تقديم للعواطف لصالح كبت التصورات.	1	CN3: وضع في لوحة فنية – عاطفة معنونة – هيئة دالة على العواطف.	3		
				CL: عدم استقرار الحدود.			
				CL1: مسامية الحدود	1		
				CM: سياقات ضد اكتئابية.			
				CM1: التشديد على وظيفة السند للموضوع (قيمة زائدة أو ناقصة) طلب من الأخصائي.	1		
				CM3: لف و دوران، استخفاف، الغمز بالعين، سخرية، دعابة.	1		
20 (%30)		08 (%12)		30 (%46)		08(%12)	

جدول رقم (3): يبين مجمل السياقات الدفاعية للحالة 2

شكل رقم(2) يوضح توزيع استعمال السياقات الدفاعية للحالة 2

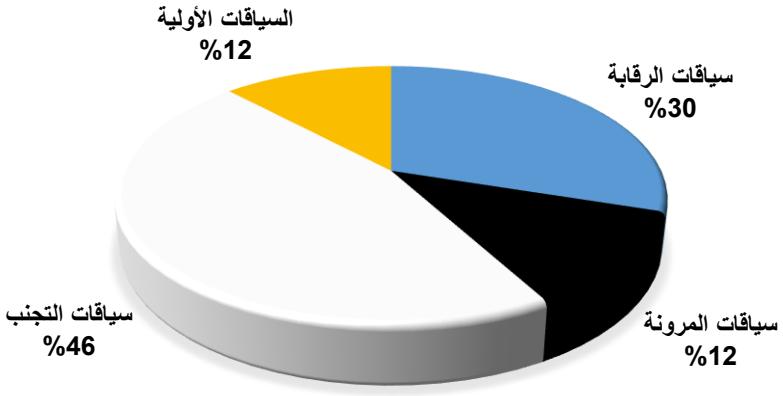

2 ـ 2 ـ 1 ـ السياقات الدفاعية:

إن قراءة وتحليل بروتوكول رائز تفهم الموضوع يظهر استعمال المفحوص 66 سياق دفاعي، يسيطر عليها السياقات التجنبية C بنسبة 46%، غلب عليها سياقات الكف CI وميل واضح للتقصير، أين كانت القصص قصيرة وأحيانا متقطعة، في حين ظهرت قصص مبتذلة في لوحات أخرى، وحتى ميل على الرفض، كما لجأ المبحوث إلى عدم التعريف بالأشخاص من حيث الأجيال، وأحيانا من حيث الجنس، في عمل اخرج لنا شخصيات في صورة ضبابية تساعد على تجنب الصراع الذي ينجم عن بناء علاقة بينهم، وتبرز صعوبات علائقية لدى المفحوص تظهر أيضا من خلال استخدامه للسياقات للنرجسية CN بتكرار مهم تبين لنا بحثه عن هويته الذاتية، وكذا سياقات الاستناد على الموضوع CM كحاجة إلى العلاقات السندية، وهشاشة في مواجهة الصراعات الأوديبية.

سياقات الرقابة A أيضا ظهرت بشكل مكثف بنسبة 30%، مما يعني بأن الإنتاج الإسقاطي يخضع إلى رقابة كبيرة في نمط دفاعي صلب، غلب عليه سياقات النمط الهجاسي، أين كان المبحوث طيلة خطابه متمسكا بالتحفظات الكلامية والشك والتردد، وهذا ما أضفى عليه مزيدا من التفكك، الذي شمل أيضا سياقات استثمار الواقع الداخلي كإشارة للصراع الذي يعيشه في مواجهة العالم الخارجي، مع حضور سياق الفكرنة الأكثر نضجا، وأيضا استثمار الواقع الخارجي الذي ظهر من خلال تحديدات زمنية والرجوع إلى مصادر أدبية.

سيطرة سياقات التجنب والرقابة حال دون استعمال سياقات أكثر نضجا، تساعد على التخرج من الوضعية الصراعية التي تمثلها مادة الاختبار الإسقاطي، فظهر استعمال سياقات المرونة B قليلا بنسبة 12%، من خلال التشديد على العلاقات بين الأشخاص، ثم ادخال اشخاص غير موجودين في اللوحة، لتشير على عمل نفسي أكثر مرونة في مواجهة الصراع ظهر خلال اللوحة 2 رغم غياب الطرف الثالث من المثلث الأوديبي، كما ظهرت أيضا سياقات النمط الدرامي والهستيري بنسب ضئيلة.

السياقات الأولية E ظهرت بنسبة قليلة أيضا 12%، من خلال إخفاء موضوع ظاهري لتجنب تقمص المواضيع أو التقرب منها، مما يشير على صعوبات تقمصية ظهرت من خلال لوحات الإشكاليات الأوديبية والاكتئابية، ضف إلى سياقات من نمط كثافة الإسقاط.

لقد بين تحليل سياقات بروتوكول رائز تفهم الموضوع للمفحوص أنها تتجه نحو التنوع مع سيطرة سياقات التجنب والرقابة كدفاعات صلبة تعيق التخرج من إشكاليات اللوحات، في حضور قليل لسياقات المرونة والسياقات الأولية.

2 ـ 2 ـ 2 ـ إشكالية البروتوكول:

مناقشة إشكاليات البروتوكول أوضح توجه المفحوص نحو الكف في اسقاطاته ولجوئه إلى التقصير، في خطابات قصصية تميزت بالتقطع وأحيانا ميل إلى الرفض مع حضور قصص مبتذلة، وأوضحت جليا اتجاه نحو عدم التعريف بالأشخاص وأحيانا تجاهل بناء علاقة بينهم، ضف إلى هذا عدم إدراك مواضيع ظاهرة، كل هذا يشير إلى صعوبات علائقية يواجهها المفحوص يدل عليها فشل في تناول الإشكاليات الاكتئابية والأوديبية.

ففي اللوحة 2 ظهر إدراك الصراع في علاقة ثنائية مع اهمال الشخصية الثالثة، يشير إلى صعوبة تجاوز موضوع الحب الاولي وصعوبة في السيرورات التقمصية، هذا السيناريو جاء كطريقة للتحكم في الوضعية الأوديبية التي عجز عن بنائها، أما في اللوحة 3BM، فاتجه نحو الاعتراف بضياع الموضوع الذي يأخذ قيمة جرح نرجسي يبعث على الانهيار والنقص، مع ضبابية في تحديد شخصية القصة التي بدت غائبة، وواجهها المفحوص بكثير من الكف، كما فشل في تناول إشكالية اللوحة 6BM التي تدور حول التقارب أم ـ طفل، حيث لم يتمكن من التفريق بين الجنسين والأجيال، لتجنب بناء علاقة مع الصورة الأمومية الصراعية، كما واجه الإشكالية الأوديبية للوحة 10 بإفراغ الجانب الجنسي للتقارب، واستثمره كاستناد على الموضوع، في محاولة دفاع لتفادي الصراع الذي تحرضه اللوحة، هذا ما يدل على وجود صعوبات على المستوى التقمصي والهوية، وسيطرة الطابع العدواني في اللوحة 13MF التي ترجع إلى التعبير الجنسي والعدواني لدى الزوجين، أين عجز عن ادراك الجانب الليبيدي وترجمته في سيناريو واضح.

اللوحات التي لا تحمل محتوى انساني تناولها بكثير من الكف والرقابة، حملت القلق واجهها بسياقات من النمط النرجسي ليشير إلى الرجوع إلى الاستثمار الذاتي في وضعية اكتئابية يحركها قلق فقدان الموضوع.

لقد أظهر مناقشة إشكاليات لوحات الرائز عن صعوبات في ارصان إشكاليات الاكتئابية والتقارب الليبيدي الذي أفرغ من محتواه، واستثمر كموضوع استناد، كما ظهر فشل في ارصان الإشكالية الأوديبية، مع صعوبات على المستوى العلائقي، وطابع اسنادي للعلاقات واستثمار نرجسي، مع ضعف في السيرورات

التقمصية يدل عليها عدم التفريق بين الأجيال وجنس شخصيات اللوحات، وضعف بناء علاقات بينهم، والتوجه نحو عدم التعريف بالأشخاص.

2 ـ 3 ـ خلاصة الحالة:

لقد بينت المقابلة مع المفحوص؛ حياة نفسية تميل نحو الوحدة والاستثمار الذاتي وتتمحور حول المادة المخدرة كموضوع اعتمادي بديل عن الموضوع الأولي، وطابع سندي للعلاقات التي يبنيها مع الآخر، أين كانت العلاقة مع الأم تميل بين الاعتماد والصراع، في علاقة ثنائية تشير إلى صعوبة تحقيق مرحلة المرآة هذا ما جعل الطفل يبقى ضمن علاقة ثنائية مع الأم، في حاجة دائمة إلى علاقة اعتمادية خلال حياته، أين يكتسب الطفل صورة مكسورة وغير كاملة عن ذاته كانكسار نرجسي، ليأتي الإدمان على المواد المخدرة كبديل للاعتماد على الأم، في غياب للدور النفسي للاب، وغياب العمل النفسي الليبيدي في العلاقة مع الجنس الآخر ليشير إلى صعوبة تجاوز مواضيع الحب الأولى، حيث يمثل التوجه نحو المادة المخدرة سلوك تعويضي ليعيش الشعور باللذة والحنان الذي يمثله اللقاء مع موضوع الحب الأولي، كما ظهر لدى المفحوص صعوبة في بناء علاقة مستقرة مع العالم الخارجي، وتصورات مستقبلة تتجه نحو الرغبة في الهروب بعيدا في حركة نحو استثمار مواضيع جديدة يستند عليها لتحقيق الهدوء والاستقرار في العالم الخارجي، بدل البحث عنها في الواقع النفسي الداخلي، وهذه الرغبة في الابتعاد تمثل فرصة لعمل حداد عن المواضيع الأولية، ليتمكن من بناء وهيكلة نفسه كشخص متكامل يحقق توافقه مع الذات ومع الآخر.

فيما أظهرت نتائج رائز تفهم الموضوع؛ أن المفحوص يتناول لوحات المادة الإسقاطية من خلال الكثير من الكف وميل نحو التقصير وأحيانا ميل إلى الرفض، مع عدم التعريف بالأشخاص والهروب من بناء علاقات بينهم، ضف إلى هذا فقط لجأ إلى ابداء صور ضبابية يغيب عنها تحديد الجيل والجنس أحيانا من أجل تجنب الطابع الصراعي الذي يربطهم، وعدم إدراك مواضيع ظاهرة، وجاء الإنتاج الاسقاطي متركزا حول سياقات التجنب والرقابة في دفاعات نفسية صلبة تعيق التخرج من إشكاليات اللوحات، وحضور قليل لسياقات المرونة والسياقات الأولية، كما عجز عن ارصان الإشكاليات الاكتئابية والأوديبية واشكالية التقارب الليبيدي، صاحبتها صعوبات على المستوى العلائقي، وطابع اسنادي للعلاقات واستثمار نرجسي.

بناءً على النتائج المحصل عليها من المقابلة العيادية ورائز تفهم الموضوع، يظهر لنا بأن الإنتاج الاسقاطي لدى المفحوص يتجه نحو دفاعات نفسية صلبة، وأظهر لنا هشاشة على المستوى التقمصي والعلائقي.

3 ـ عرض الحالة الثالثة (كمال):

السن: 19 سنة.	الجنس: ذكر.
عدد الاخوة: 7، 5 من الأم و2 من الأب.	الترتيب: الأكبر.
المستوى الدراسي: مستوى التعليم المتوسط.	بداية التعاطي: 15 سنة.
المواد الإدمانية المستعملة: Cannabis, Alcool, ketyl, Lyrica, Parkidyl, Rivotril	

3 ـ 1 ـ المقابلة العيادية:

يبلغ كمال 19 سنة من العمر، من والدين مطلقين منذ السنتين من عمره، يعيش وحيدا في بيت منفرد، لديه سبع اخوة؛ 5 من جهة الأم واثنان من جهة الأب، كانت الكفالة للأب لأن أمه تزوجت وهاجرت خارج الوطن، لم يبق سوى أشهر قليلة في رعاية الأب الذي سلمه لجده من جهة الأب ليكفله، هذا الانفصال جعله يعيش طفولته في ظروف سيئة حسب قوله، وسوء معاملة نفسية وجسدية، تعرض لحروق في سن الثلاث سنوات، أين دخل المستشفى وقضى مدة شهر في العلاج.

حياته في عائلة الجد كانت جيدة من الناحية المادية، أين كان جده يمنحه الكثير من المال الذي لم يحسن استغلاله في المراهقة، توقف عن الدراسة في مرحلة التعليم المتوسط، فكانت أولى تجاربه في تعاطي المواد المخدرة، يشتغل بعض الأحيان في التجارة، ويقضي معظم وقته في بيته الذي أعطاه إياه الجد، وهو يرى بأن الفراغ والمال هو ما فتح له الطريق نحو التوجه إلى الإدمان، كما كانت للمشاكل التي عاشها في طفولته وفقدانه للجو الاسري أثر في سلوكه هذا، يحمل جسد المفحوص وشم بحروف من اسمه مما يشير إلى الاستثمار الذاتي والطاقة النفسية التي يوجهها نحو صورة الجسد.

المقابلة مع المفحوص تمت في جو من التقبل، أين أبدى تعاونه ورغبة في العلاج وتجاوز حالة الاعتماد، حملت أيضا كف في تجاوبه مع الأسئلة الموجهة نحو الحياة العلائقية مع الوالدين، كما حاول تبرير توجهه نحو الإدمان نظرا لفقدانه الروابط الأسرية وصورة والدين تمثل الحماية والاحتواء، فسلوكه حسب تفسيره هو محاولة للهروب ونسيان المشاكل والصراعات الداخلية، وحالة اللاتوازن التي عايشها في

نسق أسري مضطرب، ضف إلى ذلك فهو تخلى عن تفاعله مع الآخرين واختار أن يكون وحيدا مع المواد المخدرة في استهلاك كبير ومتنوع.

طلب العلاج كان من طرف الأسرة، عن طريق الجد والأب، في محاولة لمساعدة المفحوص في تجاوز حالة الاعتماد التي يعيشها والآثار التي خلفتها على حياته وسلوكاته.

الحياة النفسية للحالة بدت تتجه نحو التمحور حول الذات في استثمار نرجسي، اعترف المفحوص بأنه شخص مدمن، ينظر له الآخرون بنظرة سيئة، لذلك فهو دائما ذو مزاج سيء، فيما يشير إلى أنه يربط قيمته الذاتية بنظرة الآخر، فهو شخص حساس "أنا انسان très sensible" ينتظر من الآخرين التقبل وابداء نظرة جيدة، في وضوح لنمط العلاقة السندي الذي يتميز به، وافتقار حياته النفسية لموضوع يمنحه الاحتواء والأمان الداخلي، هذا الدور الذي تؤديه الأم افتقدها في مرحلة مبكرة من حياته، كما يشير إلى زيادة حدة أفكار الشك والوسواس لديه في علاقاته الاجتماعية.

الحياة العلائقية تميزت بالفقر، فهو يفضل البقاء وحيدا، أين اختار الانكفاء بذاته عن التفاعل مع الآخر في سياقات نرجسية لاستثمار الذات، فعلاقته مع جده علاقة مادية فقط حسبه، يميزها برود عاطفي، أما علاقته بالأم فهو لم يلتقيها من قبل، فقد بحث عنها منذ الطفولة إلى أن استطاع التواصل معها عن طريق وسائل التواصل المرئية، حيث أنها هاجرت بعد زواجها خارج البلاد، وهو لا يحمل لها أي مشاعر حب، بل فقط تساؤلات عن طريقة تركها له وهو صغير، "وكان جات امرا ما تخليش ولدها وتروح +++ كي نشوف واحد صغير في طريق يمشي مع يماه نشوف روحي خلاص مكانش" وهو ما يمثل إشارة لصعوبة أن يكون بمفرده بدون موضوع، وقد واجه المفحوص الأسئلة عن الأم باستجابات اكتئابية ومشاعر فقدان الموضوع الذي لا زال في حاجة إليه، غير أنه يقاوم للبقاء وحيدا، في حين كانت علاقته مع الأب فقيرة جدًا، استجاب بالكف ليتجنب حالة النكوص التي تحمل معها تدفق وجداني لا يحتمل، مع الكثير من القلق نتيجة فقدانه في مرحلة الطفولة، نفس الشيء في علاقته مع الإخوة التي شهدت انعدام التواصل.

حياته العلائقية مع الرفاق محصورة حول المواد المخدرة فقط، يسودها بعض الأحيان شجار وعنف في ظهور لسلوكات المرور إلى الفعل، دون وجود روابط عاطفية قوية، أما العلاقة مع الجنس الآخر فهي مربوطة بنظرتهن إليه، فحسب قوله؛ إذا التقى فتاة تنظر اليه نظرة إيجابية فهو بإمكانه إقامة علاقة عاطفية معها، هذا يشير إلى أن استثمار العلاقة يشير على أحد أوجه العلاقة أم ـ طفل، فهو يبحث عن التقبل والحنان أكثر منه موضوع لعلاقة راشد.

المادة المخدرة تحتل جزء كبير من الحياة النفسية للحالة، ونمط علاقته بها اعتمادي، يقول: "ما دام نعيش وحدي لازم نبلع" مما يشير إلى أنه يتخذ من المخدرات موضوع استنادي وانتقالي يساعده على التواجد في العالم الخارجي، تلك المواد التي أخذ في زيادة جرعاتها أثرت عليه من خلال كف في العلاقات الاجتماعية.

التصورات المستقبلية حملت الأمل والرغبة في الشفاء من خلال بناء مشاريع وأفكار كالقيام بتكوين مهني وإيجاد منصب شغل، وكذا تغيير مكان السكن إلى مكان بعيد كسلوك لاستثمار واقع خارجي آخر يساعده على الاستقرار وإيجاد التوازن النفسي.

المقابلة مع كمال أوضحت الأثر الكبير الذي ما زال يعيشه جراء الفقدان، فقدان الروابط الأسرية وموضع الحب الاولي في مرحلة الطفولة الحساسة والمهمة، مع سوء المعاملة التي لقيها في وسط أسري مفكك ومضطرب، والذي انعكس على شخصيته ونمط العلاقات السندية التي يبنيها مع العالم الخارجي والتي تميزت بالشك والقلق، واتخذ من المخدر مادة يستند عليها وموضوع انتقالي يجلب له شيئا من التوازن، في حياة نفسية تتمحور نحو المادة المخدرة، وتصورات مستقبلية تدور حول تغيير مكان السكن كسلوك يساعد على الاستقرار الذاتي من خلال تغيير العالم الخارجي.

3 ـ 2 ـ بروتوكول TAT للحالة الثالثة (كمال)

سلوك المفحوص اثناء التطبيق كان من خلال ارتياح ورغبة كبيرة في التعاون.

البداية: 10:14 النهاية: 10:29 الوقت الكلي: 15 دقيقة

اللوحة 1:

3" دركا ++ هذا يخي كمان؟ ما فهمتش برك كيفاش؟ (ψ: تكرار التعليمة) هذا انسان شغل ما يحبش صوت هاذي الآلة، قافل أذنيه. 1:14"

بعد زمن كمون أولي، البداية بطرح سؤال Cl1، مع عدم تعريف بالأشخاص Cl2، لتظهر بعدها تحفظات كلامية A3-1، لينتقل إلى سياق الانكار A2-3، ويختم بهيئة دالة على العواطف CN3.

الإشكالية:

تناول المفحوص اللوحة من خلال عدم التعريف بالأشخاص في إدراك شامل لكل من الشخص والكمان، يتجنب التموقع كشخص كلي أمام الموضوع، حيث تقمص شخصية اللوحة كشخص عاجز أمام موضوع الراشد، في وضعية نرجسية لتجنب قلق الخصاء.

اللوحة 2:

19" هاذي عايشة في الريف ++ كيما نقولو يخدموا، يحرثوا في أرضهم، كاين اللي يقرا، كاين اللي يخدم، هاذي هي. 50"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي طويل CI1، تبدأ القصة بعدم تعريف بالأشخاص CI2، ثم تحديدات مكانية A1-2، وتختم بتشديد على ما هو يومي وواقعي CF1.

الإشكالية:

تناول المفحوص إشكالية اللوحة بعد زمن كمون طويل يشير إلى الجانب الصراعي، ثم تركيز على ما هو يومي وواقعي في محاولة لتجنب الاستدعاءات التي حرضتها مادة اللوحة، ثم تجاهل الروابط بين الشخصيات في محاولة لتجنب الصراع الأوديبي، الذي يرمي إلى صعوبات تقمصية تظهر من خلال عدم تحديد جنس وجيل الشخصيات، وصعوبة في التموضع أمام الثلاثية الأوديبية، وتفادي الصراع المحتمل.

اللوحة 3BM:

10" هذا انسان يبات برا، عندو مشاكل هاك تعرف ++ راقد مسكين، هاك تعرف ++ c'est bon. 33"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تبدأ القصة بعدم تعريف بالأشخاص CI2، مع تشديد على ما هو يومي وواقعي CF1، ثم التشديد على الصراعات الضمنفسية A2-4، دون تحديد دوافع الصراعات CI2، ثم مثالية لتصورات الموضوع CN2، تختتم بالاستناد على الموضوع CM1.

الإشكالية:

إشكالية اللوحة التي تدور حول الوضعية الاكتئابية، تناولها المفحوص من خلال التركيز على ما هو يومي وواقعي كدفاع لتجنب الصراع الذي حرضته، مع عدم التعريف بشخصية القصة الذي يبدو غير واضح من حيث الجنس والسن، الذي يبعث إلى صعوبات على مستوى السيرورات التقمصية، مع إدراك الوضعية الاكتئابية الراجع إلى صراعات ضمنفسية.

اللوحة 4:

5" هاذي مرا تحب راجلها، كيم راني نشوف، مرا +++ هكا (يضع اللوحة ثم يرفعها، ليضعها مرة أخرى) 30"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، عدم تعريف بالأشخاص CI2، ثم شبقية العلاقات B3-2، مع استناد على الحسي CL2، في قصة تميل إلى التقصير CI1.

الإشكالية:

تدور إشكالية اللوحة حول صراع نزوي في علاقة جنسية عادية، يستقبلها المفحوص بادراك العلاقة النزوية بين شخصيتي القصة، أين يكون الانجذاب نحو الجنس المختلف.

اللوحة 5:

10" هاذي امرا خايفة من حاجة، داخلة للبيت، شغل خايفة من حاجة، ولا تحوس على حاجة. 30"

A3-1, A3-1, A1-1, CF2, CI2

حركية السياقات:

بعد زمن كمون، عدم تعريف بالأشخاص CI2، مع عواطف ظرفية CF2، ثم وصف مع التعلق بالتفاصيل A1-1، في وجود تحفظات كلامية A3-1، وتردد بين تفسيرات مختلفة A3-1.

الإشكالية:

إشكالية هذه اللوحة تدور حول الصورة الامومية، يتناولها المفحوص من خلال عدم تعريف بالأشخاص، وتجنب التموضع أمام الموضوع كهيئة أنا أعلى، أين يتجه نحو تفادي التصورات الخاصة بالأم التي تمثل الممنوع، وهذا يشير إلى صعوبة التخرج من إشكالية اللوحة.

اللوحة 6BM:

8" شغل شخصين يسناو في حاجة، هكا ++ l'essentiel يسناو في حاجة.28 "

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تحفظات كلامية A3-1، ثم عدم تعريف بالأشخاص Cl2، وعزل بين التصورات والعاطفة A3-4، مع التشديد على الانطباع الذاتي CN1.

الإشكالية:

إشكالية اللوحة تدور حول التقارب أم ـ ابن، تناولها المفحوص من خلال عدم تعريف بالأشخاص فلا يوضح الفرق بين الجنسين ولا الجيل، في اشارة إلى صعوبة على مستوى السيرورات التقمصية، ضف إلى ذلك غياب أي صدى وجداني يربط بين الشخصيتين، مما يجعلنا نقول بأن المفحوص قد فشل في إدراك إشكالية اللوحة، وأخفق في التخرج من وضعيتها.

اللوحة 8BM:

12" كي شغل أشخاص كانوا في حرب، كانوا في حرب هكا فيها +++ (يقرب اللوحة ويبعدها، ايماءات، تعجب) انسان قتلوه ++ C'est bon. 1:02"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تحفظات كلامية A3-1، وعدم تعريف بالأشخاص Cl2، ثم عناصر مقلقة متبوعة بتوقف في الخطاب Cl3، مع تعجبات B2-1، وتعبيرات فجائية مرتبطة بموضوع عدواني E2-3.

الإشكالية:

إشكالية اللوحة تدور حول قلق الخصاء والعدوانية اتجاه الصورة الأبوية، تناولها المفحوص من خلال قصته التي غاب عنها التعريف بالأشخاص من حيث الجنس والجيل، وركز على الجانب العدواني، أين ظهرت تصورات القتل والحرب في إشارة إلى رغبة في التخلص من الأب في المشهد الأوديبي وأخذ مكانته، هذا التعبير الوجداني يبرر استعمال العدوانية، يمكننا أن نفهم صعوبة المفحوص في التموضع وتجاوز الإشكالية الأوديبية.

اللوحة 10:

5" (غمز بالعين) باينة هاذي، كي شغل فتاة تشتي راجلها، عندها بزاف ما تلاقاتوش، شغل واحد كان مسافر en plus كاين حكاية، واحد فيهم عندو وفاة كشغل هكا، ولا بيناتهم حب كبير. 45"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، بدأ المفحوص بغمز بالعين CM3، ثم استناد على الموضوع CM1، في وجود تحفظات كلامية A3-1، ثم شبقية العلاقات B3-2، لينتقل إلى استدعاء فجائي لتعبيرات خاصة بموضوع عدواني E2-3، وتختم بتعبيرات عاطفية B1-3.

الإشكالية:

تدور إشكالية اللوحة حول تقارب ليبيدي بين زوجين، يتناولها المفحوص من خلال اعتراف بالعلاقة الليبيدية، والرابط الجنسي بين الزوجين، مما يدل على قدرة المفحوص على التموضع امام إشكالية اللوحة.

اللوحة 11:

5" منظر جبلي هكا ++ (يدق بيده على المكتب) هكا وخلاص. 27"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، وصف مع التعلق بالتفاصيل A1-1، مع تحفظات كلامية A3-1، في قصة تميل إلى التقصير Cl1.

الإشكالية:

تناول المفحوص لإشكالية اللوحة التي ترمز للعلاقة مع الأم الطبيعية، وتحيي مواضيع نفسية بدائية من خلال الكف الشديد، والتركيز على الوصف وتجنب الصراعات كمقاومة للإيحاءات المقلقة التي تبعثها الصورة، فيما تظهر الاستجابات السلوكية كوسيلة لمواجهة إشكالية اللوحة، التي فشل المفحوص في التخرج منها.

اللوحة 12BG:

6" شغل منظر ثلج ++ (ينظر تحت المكتب) هاذي ما فهمت. 30"

CI1, A3-1, E2-1, A3-1

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تحفظات كلامية A3-1، ثم عدم ملائمة الموضوع للمنبه E2-1، ثم تحفظات كلامية A3-1، في قصة تميل إلى التقصير CI1.

الإشكالية:

يتناول المفحوص هذه اللوحة التي تحمل الهدوء مقارنة باللوحة السابقة من خلال ميل إلى التقصير وتحفظات كلامية، والتركيز فقط على الادراك الخارجي والوصف، في غياب أي صدى وجداني أو صراعي.

اللوحة 13B:

7" هذا صبي مريح في دار شبه مهجورة، par exemple مسكين ما عندوش أمو وباباه، مريح كشغل ما لقاش كيفاش، ما عندوش أهل. 43"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، وصف مع التعلق بالتفاصيل A1-1، ثم تشديد على الواقع الخارجي CF1، لينتقل إلى مثالية لتصورات الموضوع CN2، تليه تحفظات كلامية A3-1، وهيئة دالة على العواطف CN3، ويختم باجترار A3-1.

الإشكالية:

ترجع إشكالية هذه اللوحة إلى العزلة وتحيي الوضعية الاكتئابية، يتناولها المفحوص من خلال التركيز على ما هو واقعي ويومي في إشارة إلى التجنب الذي يستعمله في مواجهة المادة الإسقاطية، ثم ينتقل إلى إدراك الوضعية الاكتئابية وقلق فقدان الموضوع الذي يجسده في طفل يتيم، في احياء كبير لقلق الانفصال، يترجمه من خلال تعابير "دار مهجورة، مسكين".

اللوحة 13MF:

16" كيما نقولوا زوجة تاعو ماتت، راهو يبكي ++ هاذي هي. 34"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي طويل CI1، تحفظات كلامية A3-1، ثم إدراك شخص ميت E1-4، لينتقل إلى تشديد على العلاقات البينشخصية B1-1، ويختم بعاطفة ظرفية CF2.

الإشكالية:

إشكالية اللوحة ترجع إلى مدى القدرة على التعبير الجنسي والعدواني لدى الزوجين، استقبلها المفحوص من خلال إدراك نوعية العلاقة بين شخصيات الصورة، مع ادماج واضح للحركات النزوية والعدوانية، بوجود وجدانات الندم وتأنيب الضمير، مما يشير إدراك صراع نفسي داخلي، يجعلنا نفهم قدرة المفحوص على الربط بين النزوات العدوانية والحركات الليبيدية.

اللوحة 19:

15" (يحدق ايماءات ينظر إلى الفاحص) هاذي مغريبة (إبتسامة) شغل دار مغطية بالثلج، هاذي ما فهمت منها طبيب. 36"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي طويل CI1، تظهر ايماءات وسخرية CM3، ينتقل إلى تحفظات كلامية A3-1، ثم وصف مع التعلق بالتفاصيل A1-1، ويختم بالاستناد على الموضوع CM1.

الإشكالية:

ترجع إشكالية اللوحة على الصورة الهوامية للأم، تناولها المفحوص من خلال زمن كمون أولي طويل يشير على الصراع الذي حرضته، مع كف وتحفظات كلامية، ثم تركيز على الادراك الخارجي في تجنب واضع للإيحاءات التي تحرضها المادة الإسقاطية، والتي عجز المفحوص عن تحملها، وهو ما يوضح الصعوبة في التخرج من إشكالية اللوحة.

اللوحة 16:

10" عاودلي السؤال (ψ: تكرار التعليمة) (حركات، يمد يديه، يدق على المكتب) نحكي حكاية؟ (ψ: ايه) +++ نحكي حكاية وفرات، كاين مستشفى في بليدة يجيوه ناس مدمنين فيهم مدمنين على الكحول، كاشيات، شراب، يتعالجوا 2:19

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، طرح أسئلة CI1، ثم صمت مهم داخل الخطاب CI1، لينتقل إلى مصادر شخصية CN1، وتحديدات مكانية A1-2، ويختم بالتشديد على ما هو يومي وواقعي CF1.

الإشكالية:

ترجع إشكالية اللوحة إلى طريقة تركيب وتنظيم المفحوص لمواضيعه المفضلة، والعلاقات الموضوعية بينها، أين انطلق من خلال إستثارات سلوكية وتردد، إلى التركيز على ما هو واقعي ويومي، في غياب أي صدى وجداني، يعكس دفاعات التجنب التي يلجأ إليها المفحوص مقابل الصراعات الداخلية، يوحي بهشاشة الحياة النفسية.

سياقات الرقابة A		سياقات المرونة B		سياقات التجنب C		السياقات الأولية E	
A1: الرجوع إلى الواقع الخارجي		**B1**: استثمار العلاقة.		**CF**: افراط في استثمار الواقع الخارجي.		**E1**: تشويه الادراك.	
A1-1: وصف مع التعلق بالتفاصيل، مع أو بدون تبرير.	4	B1-1: تشديد على العلاقات البينشخصية، استعمال الحوار.	1	CF1: تشديد على ما هو يومي، واقعي، فعلي، مصدر مركز على الواقع الخارجي.	4	E1-4: ادراك لمواضيع تالفة أو أشخاص مرضى، مشوهين.	1
A1-2: تحديدات زمانية، مكانية، رقمية.	2	B1-3: تعبيرات عاطفية.	1	CF2: عواطف ظرفية، الرجوع إلى معايير خارجية.	2	**E2**: كثافة الاسقاط.	
A2: استثمار الواقع الداخلي:		**B2**: درامية		**CI** : الكـف		E2-1: عدم ملائمة الموضوع مع المنبه	1
A2-3: انكار	1	B2-1: دخول مباشر في التعبير، تعجبات، تعليقات شخصية، تمثيل، قصة فيها قفزات.	1	CI1: ميل عام للتقصير (زمن الكمون طويل و/أو صمت مهم داخل النص ، ضرورة طرح الأسئلة، ميل إلى الرفض، رفض)	9	E2-3: تعبيرات خاصة مرتبطة بموضوع عدواني.	2
A2-4: تشديد على الصراعات الضمنفسية ـ ذهاب/ إياب بين التعبير النزوي والدفاع.	1	**B3**: سياقات من النمط الهستيري		CI2: دوافع الصراعات غير محدد، ابتذال، عدم التعريف بالأشخاص.	8		
A3: سياقات من النمط الهجاسي:		B3-2: شبقية العلاقات، رمزية شفافة، تفاصيل نرجسية ذات قيمة اغرائية.	2	CI3: عناصر مقلقة متبوعة أو مسبوقة بتوقف في الخطاب.	1		
A3-1: شك: تحفظات كلامية، تردد بين تفسيرات مختلفة، اجترار.	13			**CN**: استثمار نرجسي.			
A3-4:عزل بين التصورات، أو بين التصور والعاطفة، عاطفة منخفضة.	1			CN1: تشديد على الانطباع الذاتي، مصادر شخصية.	2		
				CN2: تفاصيل نرجسية – مثالية لتصورات الذات و/أو لتصور الموضوع (قيمة زائدة أو ناقصة)	2		
				CN3: وضع في لوحة فنية – عاطفة معنونة – هيئة دالة على العواطف.	2		
				CL: عدم استقرار الحدود.			
				CL2: الاستناد على المدرك و/أو الحسي.	1		
				CM: سياقات ضد اكتئابية.			
				CM1: التشديد على وظيفة السند للموضوع (قيمة زائدة أو ناقصة) طلب من الأخصائي.	3		
				CM3: لف و دوران، استخفاف، الغمز بالعين، سخرية، دعابة.	1		
22 (%33)		05 (%7)		36 (%54)		04 (%6)	

جدول رقم (4): يبين مجمل السياقات الدفاعية للحالة 3

شكل رقم (3) يوضح توزيع استعمال السياقات الدفاعية للحالة 3

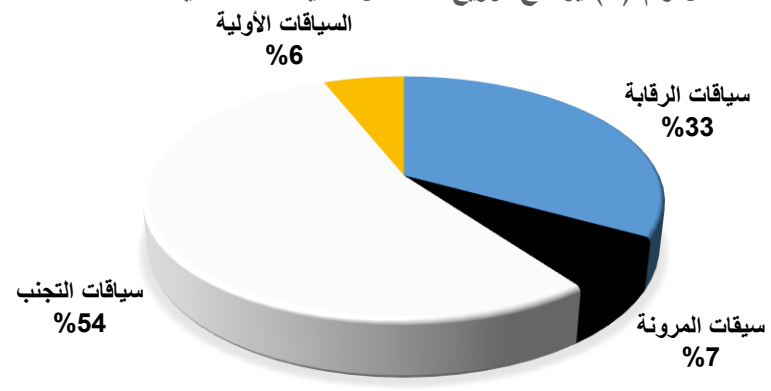

3 ـ 2 ـ 1 ـ السياقات الدفاعية:

استعمل المفحوص في اسقاطاته 67 سياق دفاعي، تتجه نحو التجنب في المقام الأول بنسبة 54%، أين لجأ إلى سياقات الكف CI بشكل كبير، من خلال زمن الكمون الطويل في بداية القصة أو خلالها، مما جعلها متقطعة أحيانا وتميل نحو التقصير والاختصار كدفاع ضد الصراعات التي تحملها لوحات الاختبار كوسيلة لقمع كل تعبير وجداني، كما تميز الخطاب القصصي بالتوجه نحو عدم التعريف بشخصيات القصة في أغلب اجاباته وعدم بناء علاقات بينهم، تنطوي على صعوبات علائقية كبيرة لدى المفحوص، وهذا ما جعله يستعمل سياقات تركز على استثمار الواقع الخارجي CF، كتعبير خالي من أي صدى هوامي وبعيدا عن الطابع الصراعي الذي يمكن أن يواجهه، كما لجأ إلى السياقات النرجسية CN كاستثمار موجه نحو الذات في مواجهة العالم الخارجي، ضف إلى هذا الحاجة إلى الاستناد على الموضوع الذي ظهر من خلال السياقات ضد الاكتئابية CM التي ظهرت بتكرار معتبر، يدل على الهشاشة النفسية في مواجهة الصراعات الأوديبية.

في المرتبة الثانية جاءت سياقات الرقابة A بنسبة 33% لتقف في وجه التعبير النزوي، أين ركز المفحوص بشكل مكثف على سياقات النمط الهجاسي، فظهرت تعابير الشك والتردد والتحفظات الكلامية، لتشير إلى صعوبة بناء علاقة مع الاخر، تلك العلاقة التي يراها بنظرة الشك وغياب الثقة، كما ظهرت سياقات عزل التصورات عن الوجدانات، مع التركيز على المحتوى الظاهري في لوحات أخرى كأسلوب مقاومة أمام الإيحاءات التي تثيرها الصورة، وظهور قليل لسياقات استثمار الواقع الداخلي من خلال التشديد على الصراعات الداخلي والانكار كإشارة للطابع الصراعي الداخلي لدى المفحوص الذي استعمل دفاعات نفسية صلبة أعاقت التخرج من إشكاليات اللوحة.

سياقات المرونة B الملائمة للتخرج من إشكاليات اللوحات، كان حضورها قليلا بنسبة 7%، ظهرت من خلال تشديد على العلاقة بين الشخصية وتعبيرات عاطفية كسياق أكثر نضجا، وتعجبات، ثم شبقية العلاقات لتشير إلى التقارب الوجداني والليبيدي.

السياقات الأولية E كانت أقل حضورا بنسبة 6%، أين لجأ إليها المفحوص في إدراك مواضيع تالفة، وعدم ملائمة الموضوع مع المنبه، وأيضا تعابير مرتبطة بموضوع عدواني، حيث ظهرت التصورات العدوانية خلال البروتوكول.

يتضح من خلال تحليل وقراءة البروتوكول توجه المفحوص نحو استعمال سياقات دفاعية صلبة، أين ركز على التجنب والرقابة، في حضور سياقات المرونة بنسبة ضئيلة مع السياقات الأولية، مما يشير على صعوبة التخرج، وعدم القدرة على إرصان إشكاليات اللوحات.

3 ـ 2 ـ 2 ـ إشكالية البروتوكول:

مناقشة إشكالية لوحات رائز تفهم الموضوع، بين لنا بأن المفحوص توجه نحو اخراج شخصيات القصص في صورة ضبابية، من خلال عدم التعريف بالأشخاص في معظم اللوحات، وعدم بناء علاقة بينهم، فيما شهدت لوحات أخرى عدم تحديد للأجيال والجنس باستعمال عبارات مثل "هذه، هذا، انسان" في قصص قصيرة وأحيانا مبتذلة، تشهد فقر هوامي، تميزت بالكف وتميل نحو الاختصار، ذات بناء متقطع أحيانا، يدل على صعوبات علائقية حقيقية يواجهها المفحوص.

ففي اللوحة الأولى ظهر المفحوص في مواجهة موضوع الراشد من خلال التجنب، أين تقمص شخصية العاجز أمام موضوع الراشد من خلال استثمار نرجسي، أما اللوحة 2 و3BM التي تدور حول العلاقة الأوديبية والوضعية الاكتئابية فلجأ إلى استثمار الواقع الخارجي من خلال التركيز على ما هو يومي وواقعي مع تجاهل الروابط بين الشخصيات وعدم تحديد جنس وجيل الشخصيات، يدل على فشل في بناء العلاقة الأوديبية، وصعوبة إرصان الوضعية الاكتئابية والذي يرمي بدوره إلى صعوبات تقمصية كبيرة، كما لاحظنا تجنب التموضع أمام الصورة الأمومية كهيئة أنا أعلى في اللوحة 5، لتفادي التصورات الخاصة بالأم، هذا ما تأكد من خلال اللوحة 6BM التي تحمل اشكالية التقارب أم ـ ابن، تناولها المفحوص بدون تفريق بين الجنسين ولا الجيل في غياب صدى وجداني يربط بين الشخصيتين، في اشارة إلى صعوبة على مستوى السيرورات التقمصية، أما اللوحة 8BM فأوضحت تصورات العدوانية في إشارة إلى رغبة في التخلص من الأب في المشهد الأوديبي وأخذ مكانته، فيما أحيت اللوحة 13B قلق فقدان الموضوع وقلق الانفصال، وكان تناوله للوحات التي لا تحمل محتوى انساني من خلال الكف في قصص قصيرة وأحيانا مبتذلة لا تحمل أي صدى هوامي.

يظهر لنا من خلال إشكالية البروتوكول أن المفحوص قد استعمل الكف من خلال عدم التعريف بالأشخاص وإقامة علاقات بينهم، مما يدل على صعوبات على المستوى العلائقي مع فشل في ارصان الوضعية الاكتئابية وبناء العلاقة الأوديبية، وطابع سندي للعلاقات، ويميزها هشاشة على مستوى السيرورات التقمصية.

3 ـ 3 ـ خلاصة الحالة:

من خلال المقابلة العيادية مع المفحوص التي بينت؛ الأثر الكبير الذي ما زال يعيشه جراء فقدان الروابط الأسرية وموضوع الحب الأولي أين اجتاز طفولة سيئة، عايش خلالها سوء المعاملة في وسط أسري مفكك، انعكس على شخصيته ونمط العلاقات التي يبنيها مع العالم الخارجي، لذا كان السلوك الادماني موضوع استناد وموضوع انتقالي يجلب له شيئا من التوازن، في حياة نفسية تتمحور نحو المادة المخدرة ظهر خلالها عرض التحمل من خلال زيادة كميات المادة، التي اثرت على حياته العلائقية والنفسية مع ظهور سلوكات المرور إلى الفعل، وتصورات مستقبلية فقيرة ورغبة في تغيير مكان العيش كسلوك للبحث عن الهدوء في العالم الخارجي وليس في الداخل.

وبيّن رائز تفهم الموضوع؛ بناء قصص متقطع يميل نحو التقصير، مع عدم التعريف بالأشخاص وتجنب بناء علاقة بينهم تجنبا للطابع الصراعي الذي تحييه المادة الإسقاطية، وشخصيات في صورة ضبابية يغيب عنها تحديد الجنس والجيل، مع انتاج اسقاطي يتجه نحو استعمال مكثف لسياقات التجنب والرقابة في دفاعات نفسية صلبة غير كافية للتخرج من إشكالية مادة الاختبار الإسقاطي، وتركيز على السياقات النرجسية وسياقات الاستناد على الموضوع، وحضور ضئيل للسياقات الأولية، وسياقات المرونة التي تساعد على التخرج من الصراعات، وفشل في ارصان الوضعية الاكتئابية والعلاقة الأوديبية، مما يدل على صعوبات علائقية هامة.

وبناءً على نتائج كل من المقابلة العيادية ورائز تفهم الموضوع، يظهر انتاج اسقاطي يتميز بالاستعمال الصلب للدفاعات النفسية، وفشل في التخرج من إشكالية المادة الإسقاطية، ونمط سندي للعلاقات وسيرورات تقمصية تتسم بالهشاشة.

4 ـ عرض الحالة الرابعة (سعيد):

السن: 19 سنة.	الجنس: ذكر.
عدد الاخوة: 6	الترتيب: الثاني.
المستوى الدراسي: مستوى التعليم المتوسط.	بداية التعاطي: 12 سنة.
المواد الإدمانية المستعملة: Cannabis, Alcool, L'artane^{+++}	

4 ـ 1 ـ المقابلة العيادية:

سعيد؛ يبلغ من العمر 19 سنة، يقطن في حي شعبي، يعيش مع والديه في البيت الأسري، لديه ستة إخوة، أربع ذكور وبنتان، ترتيبه الثاني، توقف عن الدراسة في مستوى التعليم المتوسط بعد مسار دراسي متذبذب كثير الغياب والإهمال، اتجه نحو التكوين المهني ليتخصص في مجال الدهن، نشاطه المهني متذبذب، أين يعمل فقط من أجل توفير المواد المخدرة التي يستهلكها.

جرت المقابلة في جو جيد، أين كان متعاونا معنا، أبدى رغبة في العلاج والتخلص من ادمانه، حاول إعطاء صورة إيجابية حول ذاته بحثا عن القبول من طرف الآخر، لاحظنا طابع سندي للعلاقات من خلال تأكيده في كل مرة على الاستناد على الباحث في اجاباته من خلال تعابير مثل " آك شايف، راه علابالك، علابالي تفهمني".

بداية تعاطي المواد المخدرة كان في سن مبكرة جدا، في 12 من عمره، كتجربة مع جماعة الرفاق، بحثا عن اللذة والاثارة، ضف إلى ذلك المشاكل العائلية التي عايشها في طفولته والتي كان لها ثقلا في دفعه نحو التعاطي مما يوفره من تجنب وهروب من الواقع، وأيضا الاحتواء بين جماعة الرفاق، وبناء روابط علائقية تعويضية، ففي أولى تجاربه تعاطى القنب Cannabis، بعدها لجأ إلى مضاعفة الكمية التي أصبحت لا تحقق مستوى النشوة المرغوب، في ظهور لعرض التحمل La tolérance المميز للإدمان، ثم الانتقال إلى مواد ذات أثر اعتمادي أكبر، وتنويع في المواد المستهلكة، هذا السلوك أثر على حياته النفسية والعلائقية.

يجدر الإشارة إلى أن المفحوص قد تابع علاجا دوائيا للتخلص من ادمانه قبل سنتين من تاريخ المقابلة، غير أن ذلك لم يدم طويلا، حيث بعد أشهر قليلة من الإقلاع حدثت الانتكاسة، التي فجرتها حسبه المشاكل العلائقية مع الوسط الاسري.

الحياة النفسية للحالة اتسمت بالانكفاء على الذات والاستثمار النرجسي، أين اتجه نحو التشديد على قيمته الإيجابية، وطيبته، في محاولة لإيجاد القبول لدى الآخر، وظهور النمط الاستنادي في علاقاته، كما حملت أفكاره الشك والوسواس وأحيانا طابعا اضطهاديا، أين يرى بأن الاخرين يحسدونه ويكيدون له المشاكل.

الحياة العلائقية اتجهت نحو الكف الاجتماعي فهو قليل التواصل مع الآخرين، ويفضل البقاء وحيدا بعيدا عن الصراعات، أما علاقته مع الأم فقد كانت علاقة اعتمادية منذ الطفولة "دايرتني في عينيها، نحكي لها ونميل ليها بزاف" فبالرجوع إلى الطفولة كان شديد التعلق بها، يحس بكل ما كانت تعاني منه ضمن العائلة الكبيرة، أما العلاقة مع الأب فكانت سطحية وصراعية أحيانا كثيرة "ما حسيتش معاه بالحنانة، jamais هدرت معاه" فهو يشير إلى صورة أب تسلطي، لا يثق فيه أبدا ولا يسمع كلامه، ومن هنا فعلاقته معه تشهد الكثير من الصدام، في حين كانت العلاقة مع الإخوة جد فقيرة، تشهد غياب التواصل، "خويا الكبير نحشم منو بزاف، والآخرين ما نحكيش معاهم"

علاقته مع مجموعة الرفاق هي علاقة نفعية، يمتلك فقط صديقين مقربين، يحمل نحوهم مشاعر عاطفية، لكن في الآونة الأخيرة فهو يفضل الوحدة، في سياق استثمار موجه نحو الذات، تلك العلاقة شهدت في سلوكات مرور إلى الفعل من خلال العنف، فيما لم تحمل العلاقة مع الجنس الآخر أي وجدانات، فهو لم يقم أي علاقة مع الإناث، ولا يريد التواصل معهن "jamais حكيت مع طفلة ولا فكرت نحكي معاها" مما يشير على صعوبة في القيام بعمل حداد على موضوع الحب الاولي، واستثمار مواضيع حب خارجية جديدة.

تحمل المادة المخدرة مساحة كبيرة في الحياة النفسية للحالة، فهي موضوع سند لا يستطيع الاستمرار من دونها، رغم أثارها التي ألقت في حياته الكثير من السلبيات سواء صحته الجسدية أو النفسية والعلائقية.

التصورات المستقبلية كانت فقيرة، لم تشهد أي بناء لأفكار أو مشاريع أو توجه نحو استثمار مواضيع جديدة، هو فقط يريد الشفاء والتخلص من حالة الإدمان، بالاعتماد على الطبيب كموضوع مثالي اتكالي، وهذا لا يساعد على القيام بعمل حداد على المواد المخدرة.

المقابلة مع المفحوص حملت كثير من الوجدانات السلبية، وأوضحت الطابع السندي للعلاقات التي يبنيها، مع صعوبة في استثمار مواضيع حب خارجية جديدة، اذ هناك تشبث بموضوع الحب الاولي، مع ظهور أفكار الشك والوسواس والاحساس بالاضطهاد، في حياة نفسية تتمحور حول الذات واستثمار كبير للمادة المخدرة، وصعوبة في بناء علاقة مستقرة مع العالم الخارجي، وفقر واضح في بناء التصورات المستقبلية.

4 ـ 2 ـ بروتوكول TAT للحالة الرابعة (سعيد):

سلوك المفحوص اثناء التطبيق كان من خلال اظهار ارتياح ورغبة في التعاون مع كف وتحفظات في التعبير.

البداية: 12:48 النهاية: 13:01 الوقت الكلي: 13 دقيقة

اللوحة 1:

3" هذا نورمالمو راه يقرا ++ هذا راه يخمم تبانلي راه غايس بعيد، وماصابش فكرة مناسبة ++ نورمالمو هكا. 39"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، بدأ بعدم تعريف بالأشخاص Cl2، ثم تحفظات كلامية A3-1، لينتقل لوصف مع التعلق بالتفاصيل A1-1، ثم تظهر التحفظات الكلامية من جديد A3-1، بعدها تشديد على الصراعات الضمنفسية A2-4، ويختم بتحفظ A3-1.

الإشكالية:

ينطلق المفحوص في قصة هذه اللوحة من خلال عدم التعريف بالأشخاص في إدراك جزئي لمكونات الصورة، أين يدرك فقط الشخص في حالة صراع ضمنفسي، يعترف بعدم نضجه، في حالة عجز وعدم قدرة تشير إلى عدم كفاية الاستثمار الذاتي الذي يبدو من خلال الوجدان الاكتئابي كما يعبر عنه، في اعتراف واضح بقلق الخصاء.

اللوحة 2:

3" هاذي بحر نورمالمو ++ هاذي تبانلي امرا شادة كتابات تاعها، رايحة تقرا ++ كاين أم بالجوف، وراجل راه يعمل في المزرعة مع لعواد، وبيوت قصديرية ++ هاذي هي 50"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، بدأ بادراك أجزاء نادرة E1-2، ثم تحفظات كلامية A3-1، لينتقل إلى وصف مع التعلق بالتفاصيل A1-1، ثم إدراك تفاصيل ذات نرجسية B3-2، مع عدم تعريف بالأشخاص في اللوحة Cl2، وتختم بتشديد على ما هو يومي وواقعي CF1.

الإشكالية:

يبدأ المفحوص في تناول القصة من خلال أجزاء غير مألوفة ونادرة، وتجاهل الروابط بين شخصيات القصة وعدم تحديد جيلهم، ثم تركيز على ما هو يومي وواقعي، يشير إلى الفشل في التموضع أمام الإشكالية الأوديبية.

اللوحة 3BM:

4" هاذي تبان لي تخمم ++ ولا تبكي ++ كاش مشكل في راسها ولا ++ هاذي هي. 40"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تبدأ القصة بعدم تعريف بالأشخاص Cl2، مع تحفظات كلامية A3-1، ثم عواطف ظرفية CF2، لينتقل إلى التشديد على الصراعات الضمنفسية A2-4، دون تحديد دوافع الصراعات Cl2.

الإشكالية:

تناول إشكالية اللوحة من خلال عدم تعريف بالأشخاص، واستثمار شخصية اللوحة كصورة انثوية، ثم اعتراف بضياع الموضوع واحساس بالذنب الذي تحرضه المادة الإسقاطية، وتشير أيضا إلى صعوبة في إيجاد مخرج لهذه الوضعية يظهر من خلال عدم تحديد دوافع الصراع.

اللوحة 4:

5" هاذي نورمالمو راهي مع راجلها، بالاك ماهوش عاطيها قيمة، وهي تحاول معاه، وهو ماهوش دايرها في الحساب 34"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تبدأ القصة بتحفظات كلامية A3-1، ثم تشديد على العلاقات البينشخصية B1-1، ثم تظهر التحفظات الكلامية من جديد A3-1، ثم ذهاب واياب ين رغبات متناقضة B2-3.

الإشكالية:

إدراك اشكالية اللوحة، من خلال علاقة نزوية جنسية بين زوجين، مع ذهاب واياب بين الانجذاب الوجداني والدفاع، يشير إلى إدراك اشكالية اللوحة، مع ترك اسباب الصراع غير واضحة.

اللوحة 5:

3" هاذي امرا ولا أم ++ دخلت صالو (salon) ولا شمبرة (chambre) تاع وليدها، ولا مكتبة ++ puisque كاين فيها كتب، بالاك راجلها ++ يقرا ولا يخدم. 50"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، عدم استقرار في التقمصات CM2، ثم وصف مع التعلق بالتفاصيل A1-1، ويظهر من جديد عدم استقرار في التقمصات CM2، ويختم بتردد بين تفسيرات مختلفة A3-1.

الإشكالية:

تناول إشكالية لوحة الصورة الأمومية من طرف المفحوص كان من خلال صعوبات تقمصية، أي ظهر تذبذب في تحديد جيل شخصيات اللوحة، ونمط العلاقة الرابط بينها، ثم تجنب مواجهة الصراع التي تحرضه اللوحة، مما يشير إلى صعوبة في التخرج من الوضعية، أين فشل المفحوص بتناول شخصية اللوحة باعتبارها أم تمثل هيئة الأنا الأعلى.

اللوحة 6BM:

2" ولد مع يماه، وتبانلي هاذي يماه زعفانة معاه، وهو يحاول معاها، وهي عاطياتو بالظهر، ما حبتش تشوف فيه، وهو تبانلي راه زعفان ولا ندمان. 43"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تبدأ القصة بتشديد على العلاقات البينشخصية B1-1، ثم تحفظات كلامية A3-1، يليها ذهاب واياب ين رغبات متناقضة B2-3، ثم هيئة دالة على العواطف CN3، ثم تحفظات كلامية A3-1، ويختم بعواطف ظرفية CF2.

الإشكالية:

نجح المفحوص في إدراك إشكالية اللوحة، أين قام بتقمص شخصيتي اللوحة كأم وطفل في وضعية صراعية، في محتوى أوديبي متعلق بالممنوع، مع قلق فقدان الموضوع الذي يترجم من خلال الوجدان الاكتئابي في العلاقة الثنائية، ومنه فالمفحوص تمكن من التموضع أمام إشكالية اللوحة.

اللوحة 8BM:

4" هاذي طبيب راهو يداوي، يعالج في مريض، بالمساعد اللي يعاون فيه، وعندو وليدو يخمم عليه، قلبو مجروح عليه، راني جايبها مليح؟ 36"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، استناد على الموضوع CM1، ثم إدراك شخص مريض E1-4، تليها عواطف ظرفية CF1، لينتقل إلى تشديد على الصراعات الضمنفسية A4-2، مع عواطف قوية B2-2، ثم طلب من الاخصائي CM1.

الإشكالية:

يبدأ المفحوص القصة من خلال استثمار العدوانية التي تمثلها إشكالية اللوحة في عمل جيد، اين يتجنب الطابع الصراعي ويركز على الحب، في عمل مرصن يسمح بالانفصال عن صورة الأب، أين يظهر جانب آخر للعلاقة الابوية يحاول به تصليح في حق الأب المجروح وغير المقتول، هنا يظهر التجاذب الوجداني من خلال الكراهية من جهة والحب من الجهة الأخرى.

اللوحة 10:

4" راجل ومرتو نورمالمو ++ راهم في علاقة ++ نورمالمو هاذي هي. 32"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تبدأ القصة بالتشديد على العلاقات البينشخصية B1-1، ثم تظهر تحفظات كلامية A3-1، تليها شبقية العلاقات B3-2، ثم تحفظات كلامية A3-1، في قصة تميل إلى التقصير CI1.

الإشكالية:

تمكن المفحوص من التموضع أمام إشكالية اللوحة التي تدور حول تقارب ليبيدي بين زوجين، رغم التحفظات الكلامية التي طبعت القصة.

اللوحة 11:

4" هاذي ماهيش تبانلي مليح ++ هاذي تبانلي غابة مع الصخور والجبال ++ منظر طبيعي شباب. 25"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، طلب من الاخصائي CM1، ثم تحفظات كلامية A3-1، لينتقل إلى الوصف مع التعلق بالتفاصيل A1-1، ويختم بوضع في لوحة فنية CN3.

الإشكالية:

يبدأ المفحوص القصة من خلال نقد المادة، لينتقل إلى التركيز على الوصف مع التعلق بالتفاصيل وتجنب النكوص إلى الصراعات البدائية لعدم قدره على تحمل الوضعية، فهو يركز على الادراك الخارجي على حساب العالم الداخلي، مما يشير إلى صعوبة التموضع أمام إشكالية اللوحة.

اللوحة 12BG:

5" هاذي تبانلي غابة، ولا مزرعة بالشجر +++ وشالوتي صغير تع الحوت. 38"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تحفظات كلامية A3-1، ثم وصف مع التعلق بالتفاصيل A1-1، يتخللها صمت مهم داخل النص CI1.

الإشكالية:

تناول المفحوص هذه اللوحة التي تحمل معنى الهدوء، ولا تحرض في الغالب نكوصات عميقة، من خلال التركيز على الوصف مع التعلق بالتفاصيل، في غياب أي صدى وجداني أو صراعي.

اللوحة 13B:

5" هذا تبانلي طفل صغير حزين، بالاك قدرة معيشية صعيبة ++ وراه يخمم علاش صحابو عندهم وهو ما عندوش، ولا يشوف صحابو يضحكوا عليه ++ عايش في مأساة. 40"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تبدأ القصة بتحفظات كلامية A3-1، ثم وصف مع التعلق بالتفاصيل A1-1، يليها تعبيرات عاطفية B1-3، لتسود بعدها من جديد التحفظات الكلامية A3-1، ثم تعبيرات خاصة مرتبطة بموضوع عدواني E2-3، ثم تردد بين تفسيرات مختلفة A3-1، ثم استدعاء موضوع اضطهاد E2-2، ليختم بعاطفة معنونة CN3.

الإشكالية:

تناول المفحوص إشكالية اللوحة التي تدور حول الوضعية الاكتئابية، من خلال وجدانات الحزن، تصورات صراعية ضمنفسية، تحيي قلق فقدان الموضوع وقلق الانفصال في غياب الترميز الاومي، أين واجه المفحوص هذه الايحاءات القوية بتصورات اضطهادية، يقوم بإصلاحها من خلال دفاعات نرجسية، تبين صعوبة التموضع أمام إشكالية اللوحة.

اللوحة 13MF:

4" هاذي بالاك ماتت مرتو، راه قاعد يبكي عليها، ماهوش قادر وش يدير ++ ولا هو لي قتلها. 29"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تبدأ القصة بتحفظ A3-1، ثم إدراك مواضيع تالفة E1-4، يليها تشديد على العلاقات البينشخصية B1-1، ثم عواطف ظرفية CF2، وهيئة دالة على العواطف CN3، ليظهر بعدها تردد بين تفسيرات مختلفة A3-1، ثم تعبيرات خاصة بموضوع عدواني E2-3.

الإشكالية:

تختبر إشكالية اللوحة قدرة المفحوص على الربط بين النزوات العدوانية والحركات الليبيدية، الذي بدت واضحة من خلال تعريف نوع العلاقة بين شخصيتي الصورة، وظهور تصورات العدوان والندم تأنيب الضمير.

اللوحة 19:

3" هاذي واش ++ هاذي تبانلي رسمة عادية (تعجب) 24"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، استناد على الموضوع CM1، ثم تحفظات كلامية A3-1، يليها وضع في لوحة فنية CN3، ثم تعجب B2-1، في قصة تميل إلى التقصير CI1.

الإشكالية:

تناول المفحوص إشكالية اللوحة التي ترمز إلى الصورة الهوامية للأم، من خلال الكف الشديد والتجنب، في غياب أي صدى وجداني، وتوجه نحو تجميد القصة في صورة فنية لتفادي النكوص، وفشل في تنظيم الانفصال بين الداخل والخارج، الذي أدى إلى تجنب تناول الصراع الداخلي، ومشكل على مستوى التعبير عن الهوامات، كل هذا يشير إلى فشل في تموضع أمام إشكالية اللوحة.

اللوحة 16:

5" بالاك ظروف اجتماعية كي كنت صغير كانت ناقصة، كان بابا يخلص 12 مية، يجوزو طبسي علينا للجيران يشوفونا ويعايرونا، يطيحو حوايجنا، عشنا ظروف صعيبة، يديرو زكارة فينا، ما يحبوش يما، جاجة تشد لنا رمضان، واحد ما وقف معانا، طاونا تفاح وقالونا فيهم السم ورميناهم، كان جدي بابات يما يحاوزوه يقولو لنا عندنا الحرمة، وجدي لاخر خاربها قع، وان شاء الله نرجع لها شوي ونبرا ونرجع كثر. 2:25"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تبدأ القصة بتحفظات كلامية A3-1، ثم مصادر شخصية CN1، يليها تعبيرات خاصة بموضوع عدواني E2-3، ثم تحديدات رقمية A1-2، بعدها استدعاء موضوع اضطهاد E2-2، ثم تعبيرات خاصة بموضوع عدواني E2-3، ثم مثالية لتصورات الذات CN2.

الإشكالية:

تناول المفحوص لإشكالية اللوحة التي تتمحور حول طريقته في تنظيم مواضيعه المفضلة والعلاقات بينها، بداية من التركيز على ما هو يومي وواقعي، لينتقل إلى التعبير عن الكثير من العدوانية والتصورات الاضطهادية في مواجهة الصراعات النفسية الداخلية، استخدم فيها سياقات أولية، وختم القصة بتجنيد الاساليب النرجسية للتحكم في الوضعية.

سياقات الرقابة A		سياقات المرونة B		سياقات التجنب C		السياقات الأولية E	
A1: الرجوع إلى الواقع الخارجي		**B1**: استثمار العلاقة.		**CF**: افراط في استثمار الواقع الخارجي.		**E1**: تشويه الادراك.	
A1-1: وصف مع التعلق بالتفاصيل، مع أو بدون تبرير.	6	B1-1: تشديد على العلاقات البينشخصية، استعمال الحوار.	4	CF1: تشديد على ما هو يومي، واقعي، فعلي، مصدر مركز على الواقع الخارجي.	2	E1-2: ادراك أجزاء نادرة أو غريبة مع أو بدون تفسير تعسفي.	1
A1-2: تحديدات زمانية، مكانية، رقمية.	1	B1-3: تعبيرات عاطفية.	1	CF2: عواطف ظرفية، الرجوع إلى معايير خارجية.	3	E1-4: ادراك لمواضيع تالفة	2
A2: استثمار الواقع الداخلي:		**B2**: درامية		**CI** : الكـف		**E2**: كثافة الاسقاط.	
A2-4: تشديد على الصراعات الضمنفسية - ذهاب/ إياب بين التعبير النزوي والدفاع.	3	B2-1: دخول مباشر في التعبير، تعجبات، تعليقات شخصية، تمثيل، قصة فيها قفزات.	1	CI1: ميل عام للتقصير (زمن الكمون طويل و/أو صمت مهم داخل النص ، ضرورة طرح الأسئلة، ميل إلى الرفض، رفض)	3	E2-2: استدعاء موضوع اضطهاد.	2
A3: سياقات من النمط الهجاسي:		B2-2: عواطف قوية أو مبالغ فيها.	1	CI2: دوافع الصراعات غير محدد، ابتذال، عدم التعريف بالأشخاص.	4	E2-3: تعبيرات خاصة مرتبطة بموضوع عدواني.	4
A3-1: شك: تحفظات كلامية، تردد بين تفسيرات مختلفة، اجترار.	21	B2-3: تصورات و/أو عواطف متضادة، ذهاب/ اياب بين رغبات متناقضة.	2	**CN**: استثمار نرجسي.			
		B3: سياقات من النمط الهستيري		CN1: تشديد على الانطباع الذاتي، مصادر شخصية.	1		
		B3-2: شبقية العلاقات، رمزية شفافة، تفاصيل نرجسية ذات قيمة اغرائية..	2	CN2: تفاصيل نرجسية – مثالية لتصورات الذات و/أو لتصور الموضوع (قيمة زائدة أو ناقصة)	1		
				CN3: وضع في لوحة فنية – عاطفة معنونة – هيئة دالة على العواطف.	5		
				CM: سياقات ضد اكتئابية.			
				CM1: التشديد على وظيفة السند للموضوع (قيمة زائدة أو ناقصة) طلب من الأخصائي.	3		
				CM2: فرط في عدم استقرار التقمصات.	2		
31 (41%)		**11** (15%)		**24** (32%)		**09** (12%)	

جدول رقم (5): يبين مجمل السياقات الدفاعية للحالة 4

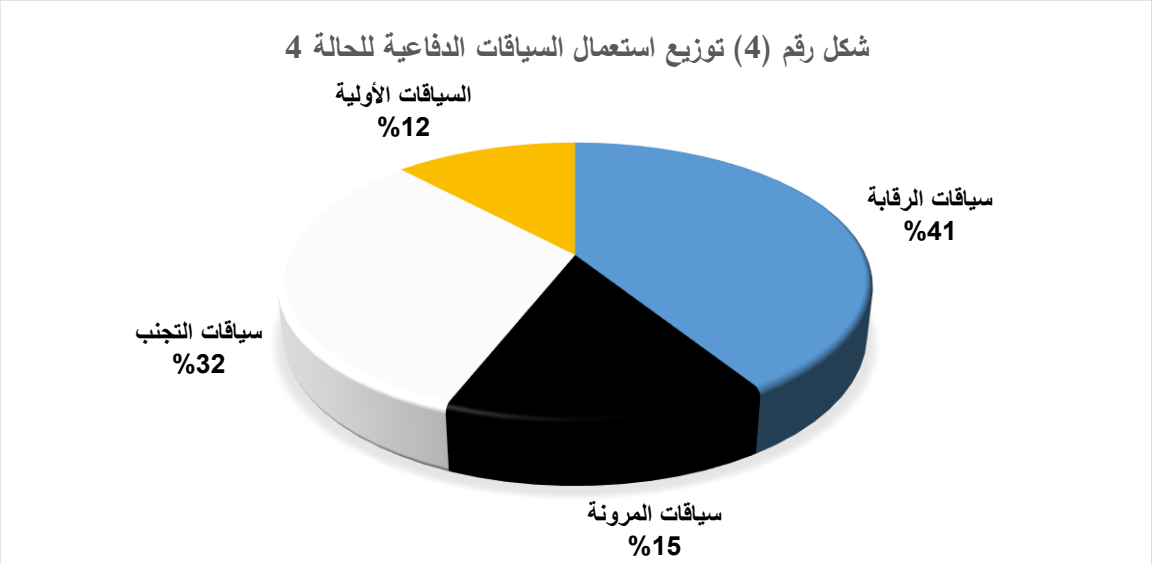

4 ـ 2 ـ 1 ـ السياقات الدفاعية:

قراءة وتحليل بروتوكول رائز تفهم الموضوع، أوضح أن المفحوص استعمل في اسقاطاته 75 سياق دفاعي، تتجه في المقام الأول نحو سياقات الرقابة A التي جاءت بنسبة 41%، في توجه مكثف نحو سياقات النمط الهجاسي أين استعمل 21 سياق دفاعي في التحفظات الكلامية، الشك والتردد، مما أعاق سيولة التفكير في ارصان الإجابة، فالرقابة المفروضة على الاسقاطات جعلت من الخطاب القصصي يشهد نوعا من التقطع في كثير من اللوحات، كما اعتمد أيضا على استثمار الواقع الخارجي، أين ركز على الوصف في حركة دفاعية تبتعد عن المحتوى الكامن وما يثيره من صراعات نفسية، وأيضا التشديد على الصراعات النفسية الداخلية.

في المستوى الثاني ظهرت سياقات التجنب C والتي جاءت بنسبة 32%، مقاربة لسياقات الرقابة، هذا الدفاع جعل الخطاب القصصي متقطعا، فرغم عدم وجود زمن كمون أولي طويل إلا أنه ظهر ميل نحو التقصير في القصص وعدم التعريف بالأشخاص ضمن سياقات الكف CI، من أجل عدم بناء علاقات بين أشخاص اللوحة وما يثيره من صراعات، وهو ما جعله يلجأ إلى استثمار الواقع الخارجي في سرد لوقائع يومية أو خارجية خالية من أي طابع صراعي ويبتعد بواسطتها عن أي صدى هوامي يمكن أن تحرضه مادة الاختبار، في حضور كبير للسياقات النرجسية CN، من خلال وضع في لوحة فنية، ادراج عاطفة معنونة وهيئة دالة على العواطف، تشير إلى أن المفحوص يوجه استثمار نرجسي نحو الذات في مواجهة الصراعات وأن له صعوبات علائقية مع الآخر، كما ظهرت السياقات ضد الاكتئابية CM بتكرار معتبر، منها استناد على الموضوع يشير إلى نمط علاقة استنادي يبنيه المفحوص، أين ظهرت هذه السياقات في لوحات التي تحمل إشكالية الصورة الابوية والصراعات البدائية، كما ظهرت سياقات فرط عدم استقرار التقمصات في اللوحة 5 التي تحمل إشكالية الصورة الأمومية، تشير إلى صعوبات كبيرة على المستوى التقمصي.

سياقات المرونة A ظهرت بنسبة 15%، تشير إلى عمل مهم أنجزه المفحوص في ارصان الإجابات، واستعمال سياقات أكثر نضجا، حيث لجأ إلى سياقات استثمار العلاقة من خلال التشديد على العلاقات بين الشخصية، ظهرت في اللوحات التي تحمل إشكالية التقارب الليبيدي بين الزوجين والصورة الأمومية، كما ظهرت سياقات من النمط الدرامي، وأيضا السياقات الهستيرية من خلال شبقية العلاقات وتفاصيل نرجسية.

السياقات الأولية E كانت حاضرة بصورة ملاحظة وذات معنى في بروتوكول الاختبار بنسبة 12%، كانت تتجه نحو العدوانية، من خلال تشوه الادراك، أين ظهرت أجزاء غريبة ومواضيع تالفة، وأيضا سياقات كثافة الإسقاط من خلال استدعاء موضوع اضطهاد وتعبيرات عن موضوع عدواني، كإشارة لأفكار الاضطهاد المرضية لدى المفحوص.

من خلال تحليل سياقات بروتوكول الاختبار اتضح أن المفحوص استعمل دفاعات أكثر صلابة في اسقاطاته، فرغم التنوع الا أن هناك ميل نحو سياقات الرقابة والتجنب، وهو ما أخرج لنا بروتوكول يحمل الكثير من الشك، التردد والتحفظ مع ظهور سياقات عدم استقرار التقمصات في محتواه، متقطع ويميل نحو التقصير من الناحية الشكلية، ورغم حضور سياقات المرونة إلا أنها لم تكن كافية للتخرج من إشكالية اللوحات التي بينت أن هناك طابع هجاسي اضطهادي للأفكار، وصعوبات كبيرة في ارصان الصراعات من خلال الرائز الاسقاطي.

4 ـ 2 ـ 2 ـ إشكالية البروتوكول:

من خلال مناقشة إشكالية كل لوحة، ظهر لنا أن المفحوص قام بعمل اسقاطي يظهر من خلاله الرقابة الكبيرة التي ظهرت من خلال الشك والتردد، مع خطاب قصصي يتسم بالكف والميل نحو التقصير، وعدم التعريف بالأشخاص وتجنب بناء روابط علائقية بينهم، وعدم تحديد للأجيال والجنس لشخصيات اللوحة، وأحيانا فرط في عدم استقرار التقمصات، أين ظهر تذبذب في الصفة التي يحملها الشخص ونمط العلاقة مع الآخر.

ففي اللوحة 1 عجز المفحوص عن إدراك شامل لمكونات اللوحة، فكان ادراكه جزئيا لشخص في صراع ضمنفسي، يعترف بالعجز وعدم نضجه أمام موضوع الراشد، يشير إلى عدم كفاية الاستثمار الذاتي الذي يبدو من خلال الوجدان الاكتئابي، في حين عجز في اللوحة 2 عن بناء العلاقة الأوديبية لشخصيات اللوحة، حيث أخرج لنا شخصيات متجاهلا الروابط بينها مع عدم تحديد الجيل، أما اللوحة 3BM، فقد تقمص المفحوص شخصيتها كصورة أنثوية في حالة فقدان موضوع، تشير على أن المفحوص عاجز عن التموقع كشخص مجنس وتدل على صعوبات في السيرورات التقمصية وتجاوز الصورة الأمومية، وهو ما ظهر أيضا من خلال إشكالية الصورة الامومية التي تحملها اللوحة 5، حيث ظهر تذبذب في تحديد جيل شخصيات اللوحة، ونمط العلاقة الرابط بينها أين فشل في ادراك أم تمثل هيئة الأنا الأعلى، أما اللوحة 6BM فقد بينت قلق فقدان الموضوع ترجم عن طريق الوجدان الاكتئابي في العلاقة الثنائية، أما اللوحة

13B التي تحيي الوضعية الاكتئابية، فتناولها من خلال وجدانات الحزن وقلق فقدان الموضوع وقلق الانفصال في غياب الترميز الامومي، أين واجه المفحوص هذه الايحاءات القوية بتصورات اضطهادية، يقوم بإصلاحها من خلال دفاعات نرجسية، في حين نجح في ارصان إشكاليات التقارب الليبيدي بين الزوجين، وتناول اللوحات التي تحمل مضمون غير انساني بالكف والقلق، مع تركيز على المحتوى الظاهري بعيدا عن أي صدى هوامي.

بين لنا تحليل إشكاليات البروتوكول أن المفحوص لجأ إلى الكف والتقصير، واتجه نحو عدم التعريف بالأشخاص وتجنب بناء روابط بينهم، مما يدل على صعوبات على المستوى العلائقي مع فشل في ارصان الوضعية الاكتئابية وعجز عن بناء العلاقة الأوديبية، وظهر الطابع السندي بشكل جلي من خلال اسقاطاته، وصعوبات على مستوى التقمصات ظهر في سياقات عدم استقرار في التقمصات، في حضور مكثف للأفكار الهجاسية والاضطهادية.

4 ـ 3 ـ خلاصة الحالة:

من المقابلة العيادية التي بينت؛ أن المفحوص يحمل الكثير من الوجدانات السلبية، في حياة نفسية تتجه نحو الاستثمار النرجسي وتتمحور حول المادة المخدرة، التي أثرت على حياته النفسية والعلائقية، فظهرت سلوكات الإدمان والتحمل من خلال زيادة الكمية والتنويع في المواد التي يتعاطاها، هذا السلوك الإدماني لجأ إليه في علاقة تعويضية عن العلاقة الأمومية الأولية، فعلاقته مع الأم هي علاقة جد اعتمادية اذ هناك تشبث بموضوع الحب الاولي، وصورة أب تسلطي، يشير إلى صعوبة في الانفصال والقيام بعمل حداد ناجح واستثمار مواضيع خارجية، مما أوضح الطابع السندي للعلاقات التي يبنيها، كما لحظنا حضور لأفكار الشك والوسواس وتصورات اضطهادية وسلوكات المرور إلى الفعل، ساهمت في عجزه عن بناء علاقة مستقرة مع العالم الخارجي، وتصورات مستقبلية فقيرة، أين عجز عن بناء أفكار أو مشاريع لتجاوز حالة الاعتماد التي يعيشها، فإقلاعه عن هذه المواد المخدرة مرتبط بالاعتماد على الطبيب كموضوع مثالي اتكالي، مما يجعلنا نقول بأن المفحوص يشهد صعوبات في التوافق مع الذات ومع الآخر.

ومن خلال بروتوكول اختبار تفهم الموضوع؛ الذي بين أن المفحوص لجأ إلى الكف والقلق أمام مادة الاختبار، وميل نحو التقصير والاختصار من حيث الشكل، وأظهر اتجاه نحو عدم التعريف بالأشخاص وتجاهل الجيل والجنس لشخصيات القصص، وعدم بناء روابط بينهم، وفقر استجاباته حول اللوحات التي لا تحمل محتوى انساني من الصدى الهوامي والوجداني، في انتاج اسقاطي يركز بشكل كبير على سياقات الرقابة والتجنب، كدفاعات نفسية صلبة تعيق التخرج من إشكاليات اللوحات، كما ظهرت السياقات النرجسية لتشير إلى صعوبة علائقية مع الآخر، والسياقات ضد الاكتئابية التي تدل على وظيفة السند على الموضوع وهشاشة في التعامل مع الصراعات النفسية، وتركيز على سياقات فرط عدم استقرار التقمصات، في حين أن حضور سياقات المرونة لم يكن كاف لجعل الخطاب أكثر ليونة، أما السياقات الأولية فقد أظهرت إشارات مرضية، حيث أن المفحوص أظهر طابع اضطهادي للأفكار مع حضور تصورات مرتبطة بالموضوع العدواني، ومن هنا فقد أظهرت مناقشة إشكاليات اللوحات صعوبة في ارصان الوضعية الاكتئابية مع فشل في بناء العلاقة الأوديبية.

بناءً على نتائج المقابلة العيادية واختبار تفهم الموضوع يتضح لنا بأن المفحوص قد اظهر دفاعات نفسية صلبة في انتاجه الاسقاطي لم تسمح بالتخرج من إشكاليات المادة الإسقاطية، في وجود طابع سندي للعلاقات، وهشاشة على مستوى السيرورات التقمصية.

5 ـ عرض الحالة الخامسة (ياسين):

السن: 19 سنة.	الجنس: ذكر.
عدد الاخوة: 2	الترتيب: الاول.
المستوى الدراسي: مستوى التعليم المتوسط.	بداية التعاطي: 14 سنة.
المواد الإدمانية المستعملة: .Rivotril, parkidyl, Subutex, Cannabis	

5 ـ 2 ـ المقابلة العيادية:

ياسين، يبلغ من العمر 19 سنة، يقطن في حي شعبي، في الوسط الأسري مع والديه وأخ أصغر منه، مستواه الدراسي أولى ثانوي، أين توقف عن الدراسة بعد مسار دراسي متذبذب بكثير من الغيابات والإهمال، لا يمارس أي نشاط مهني حاليا.

المقابلة مع المفحوص شهدت الكثير من الكف والتوقفات، والميل نحو التقصير وإعطاء إجابات مبتذلة وفضفاضة كمقاومة للاستدعاءات التي تحرضها الأسئلة المطروحة، وانتظار الإجابة من الباحث، أو طلب رأيه في أحيان أخرى، أين شهدنا إجابات من نمط " كيما علابالك، اك شايف" في علاقة اتكالية وسندية، وأحيانا اغرائية، كما لحظنا ضعف في ارتباط ثنائية وجدانات ـ تصورات، التي لم تكن متوافقة.

بداية تعاطي المادة المخدرة كان في سن المراهقة 14 سنة، أين بدأ بالقنب Cannabis في تجربة وبحث عن الاثارة والاكتشاف مع جماعة الرفاق، ثم أخذ في زيادة الجرعات وتنويع المواد المستهلكة ليتجه نحو مواد لها أثر اعتمادي أكبر، فيما يشير إلى عرض التحمل la tolérance الذي يميز الإدمان، هذا السلوك الادماني ألقى بآثار سلبية على حياته النفسية من خلال أفكار الشك والوسواس وتفضيل البقاء وحيدا، وأيضا الآثار الجسدية من خلال مشاعر الوهن والتعب.

سبق للحالة أن تابع علاجا دوائيا قبل سنتين ولم يدم توقفه طويلا، أين ظهرت الانتكاسة وعاد إلى تعاطي المواد المخدرة، لذا كان طلب العلاج مرة أخرى من الأم، دون وجود رغبة كبيرة لدى المفحوص في الإقلاع، فهو يساير رغبة الأم فقط.

الحياة النفسية اتجهت نحو الاستثمار النرجسي والتركيز على القيمة الإيجابية للذات، أين أظهر المفحوص نفسه كشخص ذو صورة إيجابية "أنا عاقل، قلبي أبيض، لاباس بيا" في محاولة لإيجاد القبول لدى الآخر، مع ظهور نمط العلاقة السندي بصورة واضحة، ولم تعط استجاباته أي إشارات عن ادمانه، حيث أن الاعتراف بالإدمان يعد أول خطوة نحو التوقف عنه.

الحياة العلائقية اتجهت نحو الكف والانعزال والبقاء وحيدا، بعد أن كان شخصا اجتماعيا قبل ادمانه، فعلاقاته منحصرة جدا الآن، أما علاقته بالأم فهي علاقة اعتمادية مع تعلق طفولي بها، فمنذ الطفولة كان المفحوص شديد الارتباط بها، فهي تلبي كل رغباته، وحتى التوجه نحو العلاج يسايره المفحوص لأنه طلب من الأم وليس رغبة ذاتية تنبع من داخله، مما يشير إلى مدى العلاقة الاتكالية التي يبنيها مع الأم، أما العلاقة مع الأب فتشير إلى غياب دوره، فهو لا يمثل صورة لهيئة أنا أعلى ذو سلطة وقوانين، حيث أنه عند اكتشاف تعاطي ابنه للمخدرات لم يبد أي اعتراض "علابالو بلي يهدر ولا ما يهدرش كيف كيف" يظهر لنا المفحوص في علاقة ثنائية يميل إلى الأم بعلاقة اعتمادية في غياب نفسي للأب، فيما كانت العلاقة مع الأخ صراعية يغيب عنها التواصل، فهو يرى بأنه لا يشبهه ولا يلتقي معه في أفكاره ولا في النظرة إلى الحياة.

العلاقة مع الأصدقاء، تنحصر فقط مع المدمنين على المواد المخدرة، فهي علاقة نفعية حسب قوله، وليس هنالك ارتباط عاطفي وثيق بينهم، وهو في الآونة الأخيرة يفضل البقاء وحيدا، أما العلاقة بالجنس الآخر فهي جد فقيرة، أين لم يبني من قبل أي علاقة معهن ولا يريد الحديث معهن، إذ يرى بأنه شخص خجول ولا يستطيع المواجهة، في سياق صعوبة تجاوز استثمار الموضوع الأولي والتوجه نحو مواضيع حب خارجية جديدة.

المادة الإدمانية تشغل مساحة كبيرة من حياته النفسية "la drogue هي حياتي" ويوجه نحوها استثمار نفسي كبير، رغم الآثار السلبية التي ألقتها عليه، فهو يأخذ وقتا طويلا في البحث عنها "نحوس غير نعمر راسي برك، مكان حتى حاجة تهمني" هذا التمحور حول المادة ظهر أيضا من خلال فقر التصورات المستقبلية، فهو يرى نفسه ضائع "نحس روحي Perdue" أين عجز عن بناء أي تصورات مستقبلية لمشاريع أو محاولة استثمار مواضيع جديدة تساعده على التخلص من حالة الاعتماد التي يعيشها، وعن رغبته في الشفاء فهو يعلق أمله فقط على الطبيب كعلاج سحري، فيما يرى بأنه سوف يتجه نحو الصلاة والبقاء في المسجد، مما يشير إلى نمط العلاقة السندي والاتكالي الذي يبنه في حياته.

المقابلة العيادية مع ياسين شهدت كف شديد وقلق، مع صعوبة في الارتباط بين التصورات والوجدانات، وأوضحت حياة نفسية تتجه نحو الاستثمار نرجسي نحو الذات، مع الطابع السندي للعلاقات التي يبنيها المفحوص، وعلاقة اعتمادية مع الأم وصعوبة استثمار مواضيع حب خارجية جديدة، ثم تمحور حول المادة المخدرة وصعوبة بناء تصورات مستقبلية بعيدا عن الإدمان، وعدم استقرار في علاقته مع العالم الخارجي.

5 ـ 2 ـ بروتوكول TAT للحالة الخامسة (ياسين):

سلوك المفحوص أثناء تطبيق الاختبار كان من خلال دفاعات الكف والتحفظ كبيرين في حضور علاقة فاحص/مفحوص ذات نمط استناد على الموضوع، مع سلوك اغوائي.

البداية: 12:59 النهاية: 13:11 الوقت الكلي: 12 دقيقة

اللوحة 1:

2" موسيقى، يتعلم موسيقى +++ ما شفتش وذنيه علابالك، ماشفتش بلي داير صباعتيه في وذنيه +++ (يضرب على الطاولة) ما يحبش يسمع موسيقى. 1:37"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، فكرنة A2-2، مع عدم التعريف بالأشخاص Cl2، ثم تركيز على ما هو واقعي CF1، بعدها صمت مهم داخل النص Cl1، ليظهر إدراك أجزاء نادرة E1-2، ثم هيئة دالة على العواطف CN3، ويختم بإنكار A2-3.

الإشكالية:

إشكالية اللوحة التي تدور حول تقمص شخصية شاب في حالة عدم نضج وظيفي أمام موضوع الراشد، تناولها المفحوص من خلال عدم تعريف بالأشخاص، في صعوبة أمام التموقع الكلي أمام الموضوع، مع تجنب الاعتراف بقلق الخصاء.

اللوحة 2:

16" آآآ وقت الثمانينات 1800 وحتى 1900+++c'est bon الريف+++aucune idée."1:15

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي طويل Cl1، تحديدات زمنية A1-2، ثم صمت مهم داحل النص Cl1، بعدها وصف مع التعلق بالتفاصيل A1-1، تليها ميل إلى الرفض Cl1.

الإشكالية:

إشكالية اللوحة التي تدور حول الصراع الأوديبي، واجهها المفحوص بكف ومقاومة شديدين، يظهر من خلال زمن الكمون الأولي الطويل، وميل نحو التقصير، وتجاهل شخصيات اللوحة، في إشارة إلى صعوبة في السيرورات التقمصية، والتركيز فقط على البعد الزماني والمكاني، يجعلنا نفهم الصعوبة في التموضع أمام الثلاثية الأوديبية، وفشل في التخرج من هذه الوضعية.

اللوحة 3BM:

9" (تنهيدة) امرأة حزينة ++ هذا ما كان 23"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، عدم تعريف بالأشخاص Cl2، ثم عاطفة معنونة CN3، يليها تحفظ A3-1، في قصة تميل نحو التقصير Cl1.

الإشكالية:

تناول اللوحة من خلال الكف الشديد والميل نحو التقصير، يستثمر شخصية اللوحة كصورة أنثوية، يمكن أن نفهم أيضا الصعوبات في التعبير عن الوجدانات، فالمفحوص لا يستثمر الموضوع في حركة علائقية، بل يأخذ قيمة جرح نرجسي يبعث على الانهيار.

اللوحة 4:

16" (يد على الفم) رجل ++ نساء، ما علابالیش هاذي، ونت واش تبان لك (ψ: حبيت نعرف النظرة تاعك) ++ هذا ما كان. 48"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي طويل Cl1، عدم تعريف بالأشخاص Cl2، وصف مع التعلق بالتفاصيل A1-1، ثم تحفظات كلامية A3-1، ثم طلب إلى الفاحص CM1، ثم تحفظ A3-1.

الإشكالية:

صعوبة كبيرة في تناول إشكالية اللوحة، ظهرت من خلال زمن الكمون الأولي الطويل، ثم التحفظ الكبير، مع عدم تعريف شخصيات القصة، وعدم وجود ارتباط عاطفي وجداني، أين يظهر صعوبة في الربط بين الليبيدو والعدوان، يجعلنا نفهم صعوبة المفحوص في التموضع أمام إشكالية اللوحة، فختم من خلال استناد على الموضوع، لتجنب الايحاءات الصراعية التي حرضتها المادة الإسقاطية.

اللوحة 5:

16" (تنهيدة) أم في المنزل ++ تحوس على كاش حاجة، أم في المنزل. 25"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي طويل Cl1، وصف مع التعلق بالتفاصيل A1-1، ثم اجترار A3-1، في قصة تميل نحو التقصير Cl1.

الإشكالية:

انطلق المفحوص في القصة بعد زمن كمون أولي طويل، يشير إلى الجانب الصراعي الذي حرضته اللوحة، أين بدأ بالتركيز على الوصف كدفاع، أين يدرك شخصية الصورة كأم تبحث عن شيء غير محدد، ليعود على التمسك بالوصف لتجاوز الجانب الصراعي للوحة، أين فشل في إدراك صورة الأم التي تمثل هيئة أنا أعلى.

اللوحة 6BM:

10" أم حزينة وابن ++ قرار صعب للأم. 20"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، عاطفة معنونة CN3، ثم تشديد على العلاقات البينشخصية B1-1، مع عدم تحديد دوافع الصراع Cl2، في قصة تميل نحو التقصير Cl1.

الإشكالية:

إشكالية اللوحة التي تتركز حول تقارب أم ـ طفل في محتوى مضطرب، ترجمها المفحوص من خلال القصة المرصنة، التي تميزت بالكف الشديد الواضح من خلال الميل نحو التقصير، وظهر الفرق بين الجيلين واضح بين شخصيتي القصة في إشارة إلى الممنوع في التقريب الأوديبي، مع وجدان اكتئابي يسجل في منحى فقدان الموضوع.

اللوحة 8BM:

12" عباد يقطعو في عباد، هاذي مرا ولا راجل؟ ما عرفتش césarienne بالاك. 27"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، عدم تعريف بالأشخاص Cl2، ثم إدراك اشخاص مشوهين E1-4، مع عدم استقرار في التقمصات CM2، ثم تردد بين تفسيرات مختلفة A3-1.

الإشكالية:

العدوانية اتجاه الصورة الأبوية التي تمثلها إشكالية اللوحة، يتناولها المفحوص بكف كبير يظهر من خلال الميل نحو التقصير، وعدم تعريف بشخصيات القصة، في محاولة لتجنب الطابع الصراعي، ويظهر كم كبير من العدوانية يتجسد في تمثيلات سادية تتجه نحو التخلص من الأب في المثلث الأوديبي وأخذ مكانه، ومن ثم التخلص من هوامات الخصاء، ثم يستدرك المفحوص الأمر في نهاية القصة ليقوم باستثمار تلك العدوانية في عمل جيد يمثل ثنائية ميل وجداني في العلاقة الأبوية، الكراهية من جهة ورغبة في مكانه، والحب من الجهة الأخرى.

اللوحة 10:

20" أب وإبن، أب يحضن وليدو. 27"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي طويل Cl1، تشديد على العلاقات البينشخصية B1-1، ثم استناد على الموضوع CM1، في قصة تميل نحو التقصير Cl1.

الإشكالية:

تدور إشكالية اللوحة حول التقارب الليبيدي بين الزوجين، يتناولها المفحوص من خلال زمن كمون أولي طويل ثم ميل شديد نحو التقصير، يشير على الطابع الذي حرضته المادة الإسقاطية، مع إدراك شخصيتي اللوحة كأب وابن، أين تظهر دفاعات شديدة أمام الاعتراف بالرابط الجنسي، ويتم استثمار الرابط كعلاقة اسنادية، يشير إلى فشل الفحوص في التخرج من إشكالية اللوحة.

اللوحة 11:

31" (تدوير اللوحة) جبال صخرية 35"

Cl1, A1-1, Cl1

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي طويل Cl1، وصف مع التعلق بالتفاصيل A1-1، في قصة تميل نحو التقصير Cl1.

الإشكالية:

ينطلق المفحوص في القصة من خلال زمن كمون أولي طويل، يشير إلى الجانب الصراعي، أين لا يظهر القلق في هذه الصورة مما يجعل غيابة يسجل كإشارة مرضية، فهو يركز فقط على الوصف والادراك الخارجي، ويتجنب الصراعات التي يمكن أن تحييها إشكالية اللوحة، التي عجز عن التموضع أمامها.

اللوحة 12B:

7" (همهمة) قارب ++ في وسط الغابة. 18"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، وصف مع التعلق بالتفاصيل A1-1، وميل إلى التقصير Cl1.

الإشكالية:

هذه اللوحة التي تحمل نوع من الهدوء مقارنة باللوحة السابقة، تناولها المفحوص من خلال الوصف والكف الشديد الظاهر في الميل نحو التقصير، أين فشل المفحوص في إبداء أي صدى وجداني أو صراعي.

اللوحة 13B:

5" طفل فقير ++ 9"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، تركيز على الواقع الخارجي CF1، وميل عام إلى التقصير Cl1.

الإشكالية:

تناول المفحوص إشكالية اللوحة التي تدور حول تحمل العزلة والوضعية الاكتئابية، من خلال تركيز على الواقع الخارجي، وميل نحو التقصير وكف شديد، في غياب أي صدى وجداني، وفشل في الترميز الاومي، الذي يستعمل كسند لإسقاط صورة أم مضطربة، مع هوامات اضطهادية، تعبر عن فشل في التموضع أمام الوضعية الاكتئابية.

اللوحة 13MF:

10" رجل نادم على فعايل البارح، لالا ماشي نادم، مش حاب يشوف، ايه مش حاب يشوف، يقاوم في روحو. 27"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، عدم تعريف بالأشخاص Cl2، مع تشديد على الصراعات الضمنفسية A2-4، ثم إلغاء A3-2، بعدها تردد بين تفسيرات مختلفة A3-1، ويختم بسياق التشديد على الصراعات الضمنفسية A2-4.

الإشكالية:

تدور إشكالية اللوحة حول التعبير النزوي والعدواني لدى الزوجين، استقبلها المفحوص من خلال التركيز فقط على إحدى شخصيات الصورة في صراع ضمنفسي ووجدان اكتئابي، ندم وتأنيب الضمير، في غياب أي علاقة مع الشخصية الأخرى، يشير إلى فشل المفحوص في التخرج من إشكالية اللوحة.

اللوحة 19:

5" هاذي، هاذي، هاذي رسوم متحركة +++ (يضرب بيده على المكتب) دار مغطية بالثلج. 25"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، وضع في لوحة فنية CN3، يسود بعدها صمت مهم داخل النص Cl1، ثم وصف A1-1.

الإشكالية:

تناول هذه الاشكالية كان من خلال تجميد الصورة في لوحة فنية، لتجنب التعبير عن الصراعات النفسية التي قد تحييها، في غياب أي صدى وجداني يعكس صعوبة على مستوى العبير عن الهوامات، هذا التركيز على الجانب الإدراكي الخارجي يبين صعوبة في تنظيم الانفصال بين الداخل والخارج، وتفادي النكوص الذي تفرضه اللوحة، كل هذا يشير إلى صعوبة التخرج من إشكالية اللوحة.

اللوحة 16:

11" أنا كنت نمشي في طريق تاعي معوجة، ومبعد ولات طريق مسرحة نمشي فيها. 20"

حركية السياقات:

بعد زمن كمون أولي، عودة إلى مصادر شخصية CN1، يليها مصادر ثقافية A1-4، ثم مثالية إيجابية لتصورات الذات CN2.

الإشكالية:

ترجع إشكالية اللوحة إلى طريقة المفحوص في تنظيم مواضيعه الأولية والعلاقات بينها، تناولها المفحوص بشيء من الكف والميل نحو التقصير، أين استعمل المقاومة للتحكم في الوضعية، مع تجنيد

الأساليب النرجسية لمواجهة الصراعات الضمنفسية التي حرضتها المادة الإسقاطية، مع مثالية لتصورات الذات.

سياقات الرقابة A		سياقات المرونة B		سياقات التجنب C		السياقات الأولية E	
A1: الرجوع إلى الواقع الخارجي +++		**B1**: استثمار العلاقة.		**CF**: افراط في استثمار الواقع الخارجي.+		**E1**: تشويه الادراك+	
A1-1: وصف مع التعلق بالتفاصيل، مع أو بدون تبرير.	6	B1-1: تشديد على العلاقات البينشخصية	2	CF1: تشديد على ما هو يومي، واقعي، فعلي، مصدر مركز على الواقع الخارجي.	2	E1-2: ادراك أجزاء نادرة أو غريبة مع أو بدون تفسير تعسفي.	1
A1-2: تحديدات زمانية	1			**CI** : الكـف +++		E1-4: ادراك لمواضيع تالفة أو أشخاص مرضى، مشوهين.	1
A1-4: مصادر أدبية، ثقافية.	1			CI1: ميل عام للتقصير (زمن الكمون طويل و/أو صمت مهم داخل النص ، ضرورة طرح الأسئلة، ميل إلى الرفض، رفض)	16		
A2: استثمار الواقع الداخلي+				CI2: دوافع الصراعات غير محدد، ابتذال، عدم التعريف بالأشخاص.	6		
A2-2 : فكرنة.	1			**CN**: استثمار نرجسي +++			
A2-3: انكار	1			CN1: تشديد على الانطباع الذاتي، مصادر شخصية.	1		
A2-4: تشديد على الصراعات الضمنفسية ـ ذهاب/ إياب بين التعبير النزوي والدفاع.	2			CN2: تفاصيل نرجسية – مثالية لتصورات الذات و/أو لتصور الموضوع (قيمة زائدة أو ناقصة)	1		
A3: سياقات من النمط الهجاسي +++				CN3: وضع في لوحة فنية – عاطفة معنونة – هيئة دالة على العواطف.	4		
A3-1: شك: تحفظات كلامية، تردد بين تفسيرات مختلفة، اجترار.	5			**CM**: سياقات ضد اكتئابية +			
A3-2: إلغاء.	1			CM1: التشديد على وظيفة السند للموضوع (قيمة زائدة أو ناقصة) طلب من الأخصائي.	2		
				CM2: فرط في عدم استقرار التقمصات.	1		
18(%33)		2(%3،5)		33(%60)		2(%3،5)	

جدول رقم (6): يبين مجمل السياقات الدفاعية للحالة 5

شكل رقم (5) يوضح توزيع استعمال السياقات الدفاعية للحالة 5

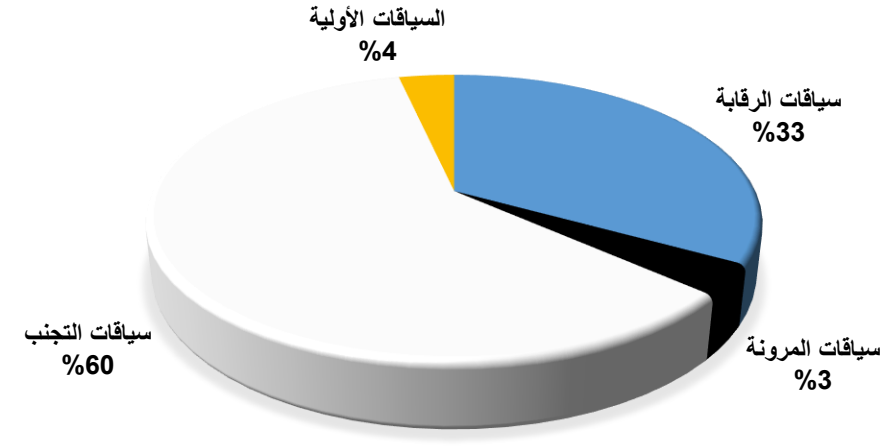

5 ـ 2 ـ 1 ـ السياقات الدفاعية:

لقد جاء الخطاب القصصي فقيرا جدا، أين استعمل المفحوص 55 سياقا دفاعي، اتجهت في الغالب نحو سياقات التجنب بنسبة 60%، مع تركيز شديد على سياقات الكف CI، فطوال البروتوكول أبدى المفحوص، ميل نحو الاختصار في اجاباته وأحيانا ميل للرفض، وتجنب النكوص الى إشكاليات اللوحة وما يمكن أن تثيره من هوامات وصراعات وصدى وجداني، أين أخذ في الغالب زمن كمون أولي طويل يشير إلى صعوبة تناول اللوحة ونمط التفكير الفوبي، كما شهدت لوحات أخرى زمن توقف داخلها، مع توجه نحو عدم تعريف الأشخاص، فأخرج لنا شخصيات دون تحديد الجيل وأحيانا الجنس، مع عدم بناء علاقات بينهم، ففي النهاية نحن أمام بروتوكول فقير في حضور قصص مبتذلة، ينبئ عن صعوبات كبيرة في تناول المادة الإسقاطية.

كما ظهرت سياقات استثمار الواقع الخارجي CF، من خلال التركيز على ما هو يومي وواقعي كأسلوب تناول سطحي يساعد على عدم النكوص على إشكاليات اللوحة وتجنب الصراعات التي تحركها، تلك الصراعات التي واجهها في لوحات أخرى من خلال الاستثمار النرجسي حيث ظهرت سياقات نرجسية، كعاطفة معنونة ووضع في لوحة فنية، لتجميد الصورة في لوحة يساعد على عدم الاقتراب من محتواها الكامن، هذه السياقات تشير إلى هشاشة الجانب العلائقي مع الآخر، الذي يؤكده اللجوء إلى سياقات ضد اكتئابية CM من خلال السند على الموضوع، ليشير إلى الطابع السندي في العلاقات، كما نلاحظ ظهور سياق عدم استقرار التقمصات، أين فشل المفحوص في تعريف الشخص كجنس ذكر أو أنثى، يجعلنا نفهم الصعوبات التقمصية لدى المفحوص.

سياقات الرقابة A جاءت في المقام الثاني بنسبة 18%، من خلال التركيز على الواقع الخارجي وتوجه كبير نحو الوصف أين توقف في تناوله على مستوى سطحي دون النزول إلى مستوى المحتوى الكامن، كأسلوب رقابة يمنع ظهور الصراعات غير المتحكم فيها، والتي لازال يواجه صعوبة في إرصانها، كما ظهرت سياقات استثمار الواقع الداخلي لتبين الحركة الصراعية الداخلية، من خلال التشديد على الصراع الضمنفسي، وحضور سياقات أكثر نضجا تمثلت في الفكرنة، وأيضا الانكار، انكار تصورات غير مسموح لها أن تطفو على مستوى الشعور، كما ظهرت أيضا سياقات النمط الهجاسي بصورة واضحة، حيث لجأ المفحوص إلى الشك، التردد، التحفظ والاجترار، مما أعطى البروتوكول طابعا متقطعا أكثر.

سياقات المرونة B المهمة في إعطاء ليونة للإنتاج الاسقاطي، ظهرت بصورة نادرة بنسبة 3%، من خلال سياق التشديد على العلاقة البينشخصية، هذا الفقر هو ما أخرج لنا دفاعات صلبة أعاقت التخرج من إشكاليات الرائز الاسقاطي، وتنبئ على صعوبات في الحياة النفسية، كما ظهرت السياقات الأولية E بنسبة 3% في تشوه الادراك من خلال سياق إدراك أشياء نادرة غريبة، وأشخاص مشوهين.

من خلال بروتوكول رائز تفهم الموضوع، اتضح لنا أن الإنتاج الاسقاطي اتجه نحو الكف الشديد مما أنتج لنا خطاب فقير ومتقطع ويميل نحو الاختصار، في حضور شخصيات غير معرفة تغيب عنها العلاقات البينشخصية، مع حضور سياقات نرجسية تدل على هشاشة علائقية وسياقات ضد اكتئابية تدل على الطابع السندي للعلاقات، في حضور سياق عدم استقرار التقمصات تنبئ عن صعوبات على المستوى التقمصي، ثم ظهور مقاومة كبيرة لإشكاليات اللوحات ظهرت من خلال اللجوء الكبير لسياقات الرقابة التي لم تسمح للصراعات أن تطفو في دفاعات نفسية صلبة، وحضور ضئيل جدا لسياقات المرونة والسياقات الأولية، أين فشل المفحوص في التخرج من إشكالية الرائز الاسقاطي.

5 ـ 2 ـ 2 ـ إشكالية البروتوكول:

مناقشة إشكاليات اللوحات، أظهر لنا بناء قصصي متقطع وفقير يميل نحو الاختصار، يبدأ بزمن كمون أولي طويل، وتوجه نحو عدم التعريف بالأشخاص في غياب تحديد الأجيال والجنس أحيانا، وتجاهل العلاقة بين أشخاص اللوحات، مع فرط في عدم استقرار التقمصات.

تناول إشكالية اللوحة 1 التي تدور حول تقمص شخصية شاب في حالة عدم نضج وظيفي أمام موضوع الراشد، أظهر صعوبة التموقع الكلي أمام الموضوع، مع تجنب الاعتراف بقلق الخصاء، في حين كانت هناك مقاومة كبيرة في ارصان الإجابة حول اللوحة 2 أين تجاهل شخصيات اللوحة، يشير إلى صعوبة علائقية في التموضع أمام الاشكالية، وفشل ارصان الوضعية الأوديبية، فيما جاء تناول اللوحة 3BM من خلال استثمار شخصية اللوحة كصورة أنثوية تشير إلى صعوبة الانفصال على الصورة الامومية، فالمفحوص لا يستثمر الموضوع في حركة علائقية، بل يأخذ قيمة جرح نرجسي يبعث على الانهيار، وتنبئ هذه اللوحة عن صعوبات تقمصية، وفي اللوحة 4 ظهرت صعوبة في الربط بين الليبيدو والعدوان واجهها من خلال استناد على الموضوع، لتجنب الايحاءات الصراعية التي حرضتها المادة الإسقاطية، ثم فشل في ادراك الصورة الأمومية التي تمثل هيئة أنا أعلى في اللوحة 5، أما اللوحة 8BM التي تتناول العدوانية اتجاه الصورة الوالدية، فظهر من خلالها كم كبير من العدوانية يتجسد في تمثيلات سادية تتجه نحو التخلص من

الأب في المثلث الأوديبي وأخذ مكانه، ومن ثم التخلص من هوامات الخصاء، ثم يستردك المفحوص الأمر في نهاية القصة ليقوم باستثمار تلك العدوانية في عمل جيد، كما نلاحظ في إشكالية اللوحة 10 فشل في إدراك الطابع الليبيدي بين الزوجين، أين يستثمرهما في شخصيتي الأب والابن، ويتم استثمار الرابط كعلاقة اسنادية، مما يدل على فشل في ارصان إشكالية اللوحة، ثم فشل في ارصان إشكالية التعبير النزوي والعدواني لدى الزوجين التي تحملها اللوحة 13MF، في حضور صراع ضمنفسي ووجدان اكتئابي، في حين كان تناول اللوحات التي لا تحمل محتوى انساني من خلال الرقابة والكف لتجنب النكوص الى اشكالياتها.

تحليل إشكالية اللوحات بين لنا لجوء المفحوص إلى الكف والرقابة الشديدين في التناول، مما أخرج لنا قصص متقطعة وقصيرة، تتضمن عدم تعريف بالأشخاص وتوجه نحو تجنب بناء علاقة بينهم، مما ينبئ عن صعوبات على المستوى العلائقي، كما ظهر صعوبة في ارصان الإشكالية الاكتئابية واشكالية التقارب الليبيدي، مع فشل في بناء الوضعية الأوديبية.

5 ـ 3 ـ خلاصة الحالة:

من خلال المقابلة العيادية الي بينت؛ استجابات تميزت بالكف وشهدت صعوبة في الارتباط بين التصورات والوجدانات، لاحظنا حياة نفسية فقيرة تتجه نحو الاستثمار الذاتي وتتمحور حول المادة الإدمانية، في حضور اعراض التحمل من خلال مضاعفة جرعات المادة والتنويع، والتي ألقت بآثار على الحياة النفسية والعلائقية أين أصبح يفضل البقاء وحيدا، وعلاقة اعتمادية مع الأم في تعلق طفولي بها، فمنذ الطفولة كان شديد الارتباط بها مما يشير إلى مدى العلاقة الاتكالية التي يبنيها مع الأم، وصعوبة في تجاوز مواضيع الحب الأولية واستثمار مواضيع حب خارجية، يظهر في تجنب بناء علاقات مع الجنس الآخر، في حين لم يستثمر العلاقة مع الأب كصورة لهيئة أنا أعلى ذو سلطة وقوانين، بل بدا غياب دوره النفسي، كما ظهر الطابع السندي للعلاقات وصعوبة استثمار مواضيع حب خارجية جديدة، وصعوبة بناء تصورات مستقبلية بعيدا عن الإدمان، وعدم استقرار في علاقته مع العالم الخارجي.

ومن رائز تفهم الموضوع الذي بين؛ خطاب قصصي متقطع، يبدأ بزمن كمون أولي طويل، يغيب عنه التعريف بالأشخاص وبناء علاقات بين شخصيات اللوحة، في حضور مكثف لسياقات التجنب والسياقات النرجسية، لتدل على صعوبات على المستوى العلائقي، وحضور سياقات ضد اكتئابية تشير على الطابع السندي الذي يبنيه المفحوص، مع حضور سياقات عدم استقرار التقمصات، كما ركز المفحوص سياقات الرقابة التي تعيق حرية التفكير والإنتاج، وتتجاوز المحتوى الكامن الذي تحركه اللوحة، وتقف فقط بصورة سطحية على الظاهر منها، في حضور ضئيل لسياقات المرونة والسياقات الأولية، فرغم وجود شيء من التنوع في السياقات، إلا أنها كانت تتجه في الاغلب نحو التجنب والرقابة في دفاعات نفسية صلبة تعيق التخرج من مادة الاختبار، فيما بينت مناقشة إشكاليات البروتوكول أن هناك صعوبات على المستوى العلائقي وصعوبة في بناء ارصان الإشكالية الاكتئابية واشكالية التقارب الليبيدي، مع فشل كبير في بناء الوضعية الثلاثية الأوديبية الذي ظهر بصورة جلية في اللوحة الثانية.

وبناء على النتائج سالفة الذكر التي بينت الطابع السندي للعلاقات، والاعتمادية في العلاقة مع الام الذي يشير على صعوبة تجاوز المواضيع الأولية، وإنتاج اسقاطي تميز بالاستعمال الصلب للدفاعات النفسية كما ظهر في الاختبار، في حضور السياقات النرجسية وضد الاكتئابية وسياقات عدم استقرار التقمصات، يمكن أن نقول بأن المفحوص عجز عن التخرج من مادة الاختبار الاسقاطي، وأظهر عجزا واضحا على المستوى العلائقي مع هشاشة في التقمصات.

6 ـ خلاصة الحالات الخمس:

إن تحليل النتائج المحصل عليها من دراسة الحالات الخمس، عن طريق المقابلة العيادية نصف الموجهة ورائز تفهم الموضوع، أظهر لنا تشابه في الدفاعات النفسية المستعملة، والصعوبات العلائقية المواجهة، سوف نحاول أن نلخص ذلك فيما يلي:

فالمقابلة العيادية جعلتنا نقف على الخصائص التالية:

- **صعوبات علائقية:** أظهرت الحالات التي تمت دراستها صعوبات على المستوى العلائقي، أين اتجهوا نحو سلوك الكف والانعزال والبقاء وحيدا، وعلاقات اجتماعية منحصرة جدا، حتى أن العلاقات التي يبنيها المفحوص مع جماعة الرفاق هي علاقة نفعية تدور حول المادة المخدرة، يغيب عنها الارتباط الوجداني، ويسودها سلوكات المرور إلى الفعل، واستعمال تعبيرات خاصة للتواصل لا يفهمها الآخرون، كسمة من سمات التواصل لدى جماعة المراهقين.
- **علاقة ذات نمط سندي:** ظهر النمط السندي في حياة الحالات من خلال المقابلة، فكانت استجابات المفحوص تتميز بالكف والقلق، وتحمل في مضمونها فقدان الموضوع، وتجنب أخذ المبادرة وانتظار الإجابات من طرف الباحث، وطلب رأيه أحيانا، كما شهدنا إجابات من نمط " كيما علابالك، اك شايف، راك فاهم"
- **علاقة مضطربة مع الوالدين (نسق أسري مضطرب):** بالرجوع إلى الطفولة ظهر لدى الحالة الأولى والثالثة، صراع في العلاقة مع الصورة الأمومية، حيث لم توفر الأم الاحتواء للطفل مما يساعده على مواجهة العالم الخارجي بشكل مستقر فيما بعد، ففقدان علاقة السند في الطفولة يجعل أسس شخصيتهم جد هشة في مواجهة متطلبات البلوغ، فيصبحون مراهقين عرضة للبحث عن موضوع اعتماد خارجي بديل، فيما ظهر لدى الحالات الأخرى نمط علاقة اعتمادي على الأم في الطفولة، أحيانا يستمر حتى المراهقة، هذه الاعتمادية الزائدة هي ما جعلت المراهق يواجه صعوبة في التواجد ككيان مستقل بدون موضوع اعتماد.

فيما كانت العلاقة مع الأب صراعية أحيانا تشهد الصدام مثل الحالة الأولى، الثالثة والرابعة، أما بالنسبة للحالة الثانية والخامسة فقد لحظنا غياب لدور الأب، فهو لم يُستثمر كهيئة لأنا أعلى يمثل القوة والسلطة والقوانين، بل يشير إلى غياب نفسي أحيانا تملؤه الأم أو الأخ، في نسق أسري يتسم بالاضطراب.

- **صعوبة تجاوز الاستمارات الأولية:** ظهر لدى بعض الحالات استثمار للصورة الأمومية كموضوع حب أولي، مع صعوبة التوجه نحو استثمار مواضيع حب خارجية جديدة، فالمراهق لازال يواجه صعوبة في التوجه نحو بناء علاقة مع الجنس الآخر، في حين ظهر لدى آخرين أن استثمار تلك العلاقة بحثا عن الاحتواء، الحنان والقبول كأحد أوجه علاقة أم ـ طفل.
- **تصورات مستقبلية فقيرة:** جاءت التصورات المستقبلية فقيرة، يغيب عنها توجه واضح لبناء أفكار أو مشاريع تساعد على الإقلاع عن الإدمان، وهو ما يجعلنا نفهم غياب أي عمل حداد حول المادة المخدرة، حتى أن طلب العلاج كان من طرف الأسرة وليس نابعا من المفحوص، فيما لاحظنا لدى حالات أخرى رغبة في الهجرة وتغيير مكان العيش كسلوك للبحث عن الهدوء في العالم الخارجي وليس في الداخل.

رائز تفهم الموضوع بيّن النتائج التالية:

	سياقات الرقابة A	سياقات المرونة B	سياقات التجنب C	السياقات الأولية E
الحالة 1 (مسعود)	%38	%10	%47	%5
الحالة 2 (أيوب)	%30	%12	%46	%12
الحالة 3 (كمال)	%33	%7	%54	%6
الحالة 4 (سعيد)	%41	%15	%32	%12
الحالة 5 (ياسين)	%33	%3،5	%60	%3،5
المتوسط	%35	%9،5	%47،8	%7،7

جدول رقم (7): يبين السياقات الدفاعية للحالات الخمس

شكل رقم (6) توزيع نسب السياقات الدفاعية

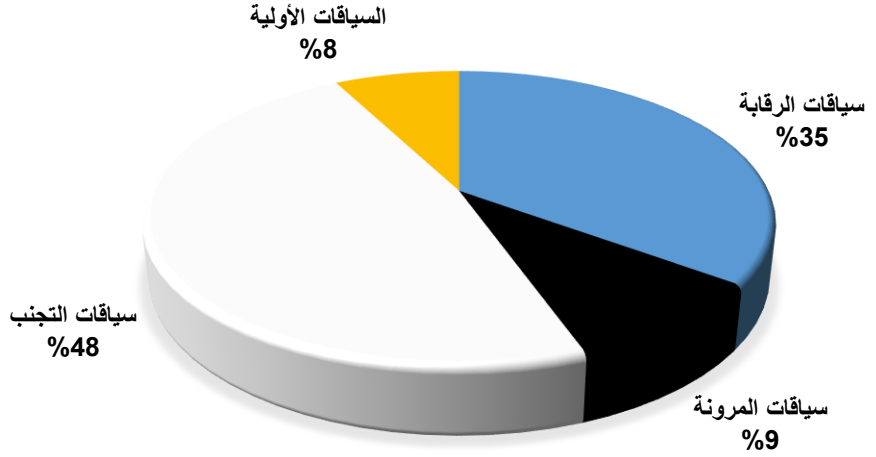

من خلال قراءة وتحليل بروتوكول تفهم الموضوع للحالات، وتفسير النتائج المحصل عليها خلصنا إلى الملاحظات التالية:

- **سيطرة سياقات الكف:** في كل الحالات لاحظنا استعمال مكثف لسياقات الكف، أين ظهر الخطاب القصصي فقير، متقطعا ويميل نحو التقصير والاختصار، في حضور شخصيات غير معرفة من حيث تحديد الجيل وأحيانا الجنس، مما أضفى طابعا ضبابيا عليها، ضف إلى ذلك تجنب إقامة علاقات بينشخصية بين شخصيات اللوحات، مما يدل على وجود هشاشة علائقية لدى المفحوص.
- **دفاعات نفسية صلبة:** أظهر كل المفحوصين استعمال صلب للدفاعات النفسية، ترجمت من خلال التركيز على سياقات التجنب، كدفاع أمام إشكاليات اللوحات وتجنبا للطابع الصراعي التي تحركه المادة الإسقاطية، وكذا سياقات الرقابة أين حاول المفحوص أن يضع حاجز أمام التفكير الحر فلجأ إلى سياقات هجاسية تتضمن الشك والتردد، وأيضا التمسك بالمحتوى الظاهري، تجنبا للصدى الهوامي والوجداني الذي تحمله إشكاليات اللوحات، وحضور ضئيل جدا لسياقات المرونة والسياقات الأولية، أين فشل المفحوص في التخرج من إشكالية الرائز الاسقاطي.
- **حضور السياقات النرجسية والسندية:** حمل الإنتاج الاسقاطي حضور سياقات نرجسية تدل على توجيه الاستثمار نحو الذات، وهشاشة على المستوى العلائقي، كما لاحظنا سياقات الاستناد على الموضوع لتدل على الطابع السندي، فيما ظهر لدى حالات أخرى سياقات عدم استقرار التقمصات، ليدل على صعوبات على المستوى التقمصي.
- **صعوبة ارصان الإشكالية الاكتئابية والأوديبية:** ظهر لدى الحالات صعوبة في التموضع أمام مادة الاختبار الاسقاطي، وصعوبة في ارصان الإجابة التي ظهرت من خلال قصص قصيرة سيئة التركيب، والشيء الأهم أننا لاحظنا صعوبة في ارصان الوضعية الاكتئابية خلال الخطاب القصصي، فيما فشل كل الحالات في بناء الوضعية الأوديبية في اللوحة 2 من خلال ادراك ثلاثة اشخاص في علاقة أوديبية، حيث تراوح الإنتاج من ادراك شخصين في علاقة ثنائية، عدم ادراك شخصيات اللوحة، واحيانا قصص مبتذلة بعيدا عن الطابع الصراعي الذي تحرضه، مما ينبئ عن صعوبات على المستوى التقمصي.

هذه النتائج لها تفسير ذو معنى سوف نتناوله بالمناقشة في العنصر الموالي.

7 ـ مناقشة النتائج في ضوء الفرضيات:

إن التناول النظري الذي قمنا ببنائه فيما سبق سمح لنا بالوقوف على أهمية مرحلة المراهقة باعتبارها مرحلة نمو تتميز بالاضطراب وخلل التوازن، لها من الخصائص ما يجعل منها فترة حرجة في حياة الفرد، انها سيرورة نفسية تضع المراهق تحت ضغط التغيرات النفسية والفيزيولوجية الناتجة عن البلوغ، وتجعله مجبرا على إعادة بناء ذاته من أجل البلوغ والتخلي عن واقع الطفولة الذي عاشه، ويتجه نحو البحث عن هوية جديدة، في ضوء توازن بين العالم الداخلي والعالم الخارجي، هذا الطابع الصراعي هو ما أنتج لنا مفاهيم مختلفة ترتبط بالمراهقة، أين ينظر إليها البعض كمرحلة أزمة أو سيرورة تقوم بإبراز قدرات جديدة في عملية توازن متدرج مع الواقع.

هذا العمل النفسي هو ما أوجد مظاهر نفسية هامة تأتي لمجابهة تغيرات المرحلة سواء من ناحية اقتصادية أو دينامية، يرافقها استعمال ميكانيزمات دفاعية جديدة والتخلي عن أخرى قديمة، وأهمية هذه التغيرات المعقدة تأتي لتسوية الأخطار المرضية المحتملة، وربطها في شخصية المراهق، "**تهدف إلى التكيف مع النمو المحقق والتوافق مع الأزمات المهيكلة، مثل قلق الشهر الثامن، الأوديب أو في ميدان الحياة، ويعبر التطور النسقي الذي يطبعها عن اختلال مؤقت يتم تعديله من خلال ميكانيزمات محددة.**" (Cahn Raymond, 1998, 10)

هذه التغيرات التي تظهر على مستوى مختلف جوانب النمو في المراهقة باعتبارها أحد المراحل الهامة والحاسمة في حياة الفرد، تقوم بوظيفة بناء نظام هوية نهائية من خلال إعادة بناء وهيكلة التقمصات، عمل حداد على المواضيع الأولية من خلال تجاوز التقمصات البدائية للوالدين واستثمار مواضيع جديدة خارج الأسرة، ثم إدماج صورة نهائية للجسم، إن هذا العمل الشاق هو ما يساهم في ظهور اضطرابات نفسية وسلوك مرور إلى الفعل، ولعل من أهمها اضطرابات الإدمان، الذي نختص بدراسته في هذا البحث، والذي بدأناه بتساؤل حول مدى وجود علاقة بين نوعية التقمصات التي بناها المراهق وتوجهه نحو السلوك الإدماني.

هذا البناء النظري الذي عرضناه في الفصول السابقة، انطلقنا فيه من تحديد مشكلة البحث، مبرراتها وأهدافها، ثم الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع والتناول النظري لمتغيرات البحث، كما تناولنا الجانب المنهجي، أين اعتمدنا المنهج العيادي الذي سمح لنا بالوقوف على الواقع النفسي للفرد من خلال دينامية الميكانيزمات الدفاعية والجانب العلائقي، واستعملنا المقابلة العيادية نصف الموجهة التي اتاحت لنا فهم العوامل النفسية التي أدت الى الحالة الراهنة، والسيرورات النفس مرضية للمفحوص كما تبدو من خلال

الأعراض، فيما كان استعمال رائز تفهم الموضوع ملائما باعتباره أداة تتيح لنا قياس الإنتاج القصصي الذي ينتجه المبحوث، ويدل على عمل وظائف الأنا المتعلقة بالصراع الذي نشطته المادة الإسقاطية، انتقلنا بعدها إلى عرض النتائج المحصل عليها، لنناقش فيما بعد هذه النتائج وتفسيرها، للإجابة على التساؤلات الذي طرحناها في البداية:

- ما نوعية التقمصات لدى المراهق المدمن على المخدرات؟
- ما مميزات الإنتاج الإسقاطي لديه؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة، اتجهنا نحو بناء فرضيات انطلاقا من الاستطلاعات التي قمنا بها، فكانت صياغتها كما يلي:

- يظهر لدى المراهق المدمن على المخدرات تقمصات هشة.
- يستعمل المراهق المدمن على المخدرات سياقات دفاعية صلبة.

لقد أظهرت النتائج المحصل عليها من خلال المقابلة العيادية نصف الموجهة ورائز تفهم الموضوع، المطبقة على مجموعة بحث تكونت من خمس مراهقين مدمنين على المخدرات، تتراوح أعمارهم بين الـ 18 و19 سنة، أن هناك تشابه مع وجود جزئيات تتعلق بخصوصيات كل حالة.

فبالنسبة لنتائج المقابلة العيادية، اتضح أن التوجه نحو السلوك الادماني كان مدفوعا بالرغبة في التجربة والبحث عن الاثارة ضمن جماعة الرفاق، في سلوك للتمرد على الممنوع واكتشافه، وهذ احدى سمات المراهقة، أين يتجه نحو التمرد على نماذج السلطة ويحاول لمس الممنوع، هذه الرغبة تخفي وراءها أيضا صراعات نفسية منذ الطفولة، فالواقع النفسي المعاش في تلك المرحلة التي تتسم بالاعتمادية، قد اعطى فضاءً خصبا للتوجه نحو تجارب الاعتماد، وهو ما لاحظناه بصورة جلية في الحالة الثالثة، أين كان لتجارب الإساءة في الطفولة دور هام في البحث عن موضوع سند خارجي، أين يرى Jeammet بأن **السلوكات الإدمانية تهدف إلى البحث عن مضمون خارجي من طرف الشخص الذي هو في حاجة إلى التوازن، هذا التوازن لم يجده في عالمه الداخلي.** (Ph. Jeammet, 2006, 60)

التوجه نحو تعاطي المواد المخدرة ظهر لدى الحالات الخمس في سن مبكرة تتراوح بين الـ 14 و15 سنة، في مرحلة التعليم المتوسط، أين يجد المراهق نفسه في توجه نحو العالم الخارجي، بعد مرحلة كمون استثمرها في اللعب والتحصيل المعرفي واستلهام القيم والمبادئ الاجتماعية والخصوصيات الثقافية داخل مجتمعه، ليأتي اكتشاف العالم الخارجي من خلال جماعة الرفاق، ومحاولات لفت الانتباه، هذا ما

انعكس على المسار الدراسي، الذي شهد اهمال وكثرة الغيابات وانتهى بالفشل الدراسي لدى كل الحالات، فاتجه البعض دون الآخرين نحو النشاط المهني كسلوك تعويضي، فيما لاحظنا لدى كل الحالات وقت فراغ كبير يساعد على دفع المراهق نحو الإدمان، واضطراب في النشاط المهني لدى البعض في حين يغيب كليا لدى الحالات الأخرى.

طلب العلاج كان من طرف الأسرة لدى كل الحالات، ففي الوقت الذي أبدى البعض رغبة في الشفاء والعلاج، ظهر البعض الآخر بأنه يساير فقط رغبة الأسرة ولا يريد العلاج، إذ أن سلوك الاعتماد له أثر كبير في حياته، وهو لم يتوجه بعد نحو عمل حداد على تلك المواد، والبحث عن استثمار مواضيع أو تصورات جديدة تساعده على الإقلاع، حتى وإن أظهر المفحوصون شيء من التعاون في المقابلات التي اجريناها معهم، الا أن الحديث مع العاملين في المركز أوضح بأن المدمنين الذين يتم العمل معهم كثيرا ما يكونون ذوي علاقة منفعة ولا يتعاونون بشكل جيد، وهو ما يوافق دراسة Ridouh 2003 بأن **هؤلاء يصعب التعامل معهم، علاقاتهم معقدة مع المعالجين، غير متعاونين، مضطربين واعتماديين.**

الحياة النفسية لدى المراهقين المدمنين الذين تم دراستهم، كانت تتجه نحو الاستثمار النرجسي، أين لاحظنا توجه نحو استثمار الذات وتفضيل الوحدة والبقاء بمفرده، على الانخراط في حياة علائقية غنية ومرنة، وهو ما يقول به Mercelli et Braconnier بأن **التوظيف النفسي لدى المدمن يؤول نحو توظيف يتمحور حول الذات** (Mercelli, Braconnier, 2011, 381) فالحياة النفسية لدى هؤلاء اتسمت بالهشاشة وعدم النضج، أين لاحظنا عدم أخذ المبادرة وانتظار الإجابة من طرف الباحث وكف وقلق أمام الأسئلة، استعمال اجابات مبتذلة لا تحمل أين صدى لتجنب الايحاءات التي تحركها في واقعه النفسي، وهو ما يوافق رأي Huguette et Cogler من أن المدمن على المخدرات **ذو أنا ضعيف ونفسية هشة وعاطفة غير متكيفة، يتميز بالقلق والضغط النفسي الدائم، وعدم القدرة على تأجيل إشباع حاجاته** (Huguette, Cogler, 1991, 62)

فيما لاحظنا ظهور أفكار الشك، التردد والوسواس وأحيانا حتى أفكار اضطهادية، كآثار لاستعمال المواد المخدرة، وأيضا تبين مدى الهشاشة النفسية لدى هؤلاء وصعوبة بناء أفكار مرنة تساعد على التكيف مع العالم، اذ يكتب Bergeret بأن المدمن **ذو شخصية اتكالية لها صعوبة في التكيف الاجتماعي، كما تتميز بعدم النضج التام** (J. Bergeret, 1984, 30) فهذه الدفاعات الهجاسية تقف في طريق التكيف الجيد والفعال، وتمثل أسلوب لحماية الذات من خلال تصور الآخر بأنه خطير ولا يمكن الثقة فيه، وهو ما ينطوي على ضعف في البناء النفسي، **فالإدمان يعتبر كحماية للأنا الذي يتميز بالهشاشة والمُهدَّد في كماليته.** (Mercelli, Braconnier, 2011, 404)

الحياة العلائقية لدى الحالات التي تمت دراستها جاءت فقيرة، فالروابط العلائقية كانت جد محدودة، تم تعويضها بالعلاقة مع المادة المخدرة، أو علاقات مستثمرة ضمن الاهتمام المشترك بالسلوك الادماني، مثلما ذكرنا سابقا من أن تجربة التعاطي كانت ضمن جماعة الرفاق، وما تمثله من احتواء وانتماء، يمنح المراهق توازن نرجسي أكبر، كما شهدنا وجود علاقة سندية تميزهم اذ أن المراهق المدمن في حاجة إلى موضوع يستند عليه ليحقق توازنه، هذا النمط من العلاقات هو ما يعرضه للانكسار في حالة غياب موضوع اسنادي، والذي يعوضه بالمادة المخدرة، فتسمح له **بالتأكد من حقيقة الارتباط العلائقي على المستوى الداخلي، وايجاد علاقة تعلق مع مواضيع مرغوبة، تشير إلى علاقة الاعتماد الطفلية التي يجهلها المدمن.** (Frenandez, Cotteeuw, 2005, 47)

الصراعات الأسرية كان لها أثر واضح لدى المراهقين الذين تم العمل مهم خلال هذا البحث، أين توصلنا إلى أن تلك الصراعات لها علاقة مع التوجه نحو الإدمان على المخدرات، وهو ما يوافق دراسة Hops 1990 التي أوضحت **قيمة الصراع العائلي لدى المراهقين الذين يستعملون مواد مخدرة**، وأظهرت بأن **العائلات التي لها رب أسرة واحد هو الأم، تنتج أعلى عدد من المدمنين، اذ يتأثر مراهقو تلك الأسر بسهولة بضغط الأقران وانحراف السلوك مقارنة بمراهقين من أسر عادية، ويستمر هؤلاء في استعمال المواد حسب درجة الصراع داخل العائلة، وترتبط مشكلاتهم بالتغيرات التي تحدث أثناء البلوغ**، ويوافق هذا ما توصلت إليه دراسة إسماعيلي 2009 من أن **سوء العلاقة الوالدية يساهم في الإحساس بالقلق وعدم الاستقرار مما يسهل لجوء الفرد إلى الإدمان على المخدرات.**

وبالرجوع إلى العلاقة مع الأم، ظهر لدى الحالات الأولى (مسعود) والثالثة (كمال) غياب علاقة السند في مرحلة الطفولة، هذا الغياب جعلهم يفتقدون موضوع حب يوفر لهم الحماية والاحتواء، في حضور خبرات الإساءة خاصة لدى الحالة الثالثة (كمال) جعل الطفل حينئذ يفتقد الحماية العاطفية، اذ لم يعش التعبير عن الحب والرضى والتشجيع اللازم لتحقيق مستوى قبول للذات يساعده فيما بعد على التفاعل مع العالم الخارجي بكل ثقة وتكيف، إن فقدان ذلك الواقع الهادئ الملائم لنمو سليم، يجعلهم يواجهون الواقع دون مساعدة الآخرين، فهؤلاء حسب Tony Anatrella **يُظهرون نوع من الانفجار عند البلوغ وتكون أسس شخصيتهم جد هشة في مواجهة متطلبات البلوغ، فيصبحون مراهقين عرضة لاضطرابات الاعتماد أين يستعملون سلوكات إدمانية مثل الإدمان على المخدرات.** (Tony Anatrella, 1988, 40)، إن حضور الوالدين في حياة الطفل بشكل غير عاطفي، لا يضمن له علاقة السند، مما يجعل حاجته لها تستيقظ بقوة خلال تحولات المراهقة.

وعلى الجانب الآخر، فقد لاحظنا وجود علاقة جد اعتمادية مع الأم في الطفولة لدى الحالات الأخرى، وتستمر حتى المراهقة مثلما هو في الحالة الخامسة (ياسين) اذ أن هناك صعوبة في تحقيق الاستقلالية، والتخلي عن مرتكزاته الداخلية والانفصال عن النماذج الوالدية وأخذ مسافة عنهم، فتحقيق الاستقلالية يتم من خلال سيرورة انفصال / فردنة séparation/ individuation التي تكلم عنها Blos، اذ يرى بأن **على المراهق طرح مواضيعه المستدخلة من أجل استثمار مواضيع خارج الأسرة**، إن الاعتمادية الزائدة في العلاقة مع الموضوع الأولي وصعوبة التخلي عنه فترة الطفولة، يجعل المراهق فيما بعد في وضعية البحث عن موضوع تعويضي، فهو لا يستطيع أن يكون بمفرده، فيأتي السلوك الإدماني كمحاولة لطلب السند والمساعدة، يبحث عنها الفرد في مادة إدمانية، ليعيش الشعور باللذة والحنان الذي يمثله اللقاء مع موضوع الحب الأولي، إذن فهذه السلوكات هي تعويضية، فاللجوء الى المادة لا يكون من أجل المادة في حد ذاتها، وإنما للخبرات السارة التي يعيشها من خلالها.

تميزت العلاقة مع الأب لدى الحالات بالصراع في الحالات الأولى (مسعود)، الثالثة (كمال) والرابعة (سعيد) تشير إلى صعوبة ارصان الوضعية الأوديبية، أين يحاول المراهق التمرد على السلطة، **فظهرت صورة الأب خارج النظام العلائقي، ومن ثم فان هناك صعوبة في تجسيد قوانين الأب لدى المدمن، وحضوره لا يوحي بالثقة** (Bergeret, Fain, 1981, 20) وتشكل هذه العلاقة المتعارضة ذات طبيعة التحدي والعدوان التي يسلكها المراهق نحو أبيه وأيضا مع الجنس الآخر دفاعات ضد إحياء عقدة أوديب السلبية، وعلى العكس من هذا فقد لاحظنا بالنسبة للحالة الثانية (أيوب) والخامسة (ياسين)، غياب دور الأب، الذي أخذ مكانه الأخ أو الأم، هذا الغياب النفسي جعل من نسق الأسرة يتميز بنوع من الاضطراب، فأصبح إستدخال صورة أنا أعلى يمثل القوانين والقيم صعبا، وتعيق سيرورة التقمص، مثلما ظهر لدى الحالة الخامسة (ياسين) أين لاحظنا سلوكات اغراء وهشاشة في تقمص الأب والخصائص الذكرية، بصفة عامة فهيكلة شخصية المدمن تكون سيئة، أين يكون الأنا الأعلى هش، فعدم إستدخال قوانين الأب يجعله يفتقد إلى هيئة داخلية لتجسيد القانون، عندئذ يصبح أي قانون وكأنه خارجي ومفروض من الآخر، وهذا ما قد يفسر التوجهات ضد الاجتماعية وضد القوانين الذي نلاحظه لدى بعض المدمنين.

وقد ظهرت هذه التوجهات من خلال سلوكات المرور إلى الفعل، والعدوانية والعنف الممارس لدى كل الحالات ماعدا الحالة الخامسة (ياسين) حيث تتميز سلوكات المراهقين المدمنين بالعنف مقارنة بالتعبير الجنسي، أين يكتب Bergeret بأن **ما يميز المدمنين هو غياب العمل النفسي الليبيدي الذي يتسم بصعوبة إرصان العنف الأساسي مع مطالب مصبوغة بالقلق** (J. Bergeret, 1982, 25) كما ظهرت صعوبة في التعبير العاطفي، وصعوبة الارصان النفسي من خلال الربط بين التصورات والوجدانات.

تجاوز الاستثمارات الأولية كان صعبا، أين فشل عمل الحداد على المواضيع البدائية، والتوجه نحو مواضيع خارجية جديدة، أين لاحظنا صعوبة في استثمار علاقة مع الجنس الآخر لدى كل الحالات ما عدا الحالة الأولى (مسعود)، فالمراهقة حسب Emmanuelli تمثل **فرصة للانفصال، وتحريك عمل نفسي للتخلي عن الروابط الطفلية مع الصور المستدخلة عن الوالدين، مع فقدان صورة الذات التي تحمل الطفولة المثالية** (Emmanuelli, 2009, 42) إن هذا الفشل يشير إلى صعوبة ارصان الوضعية الأوديبية وما تمثله من عملية لبناء تقمصات نفسية أكثر مرونة.

التصورات المستقبلية جاءت فقيرة، لتشير على صعوبة التخلي عن المادة الإدمانية، أين عجز المبحوثين بصورة متفاوتة عن بناء أفكار أو مشاريع مستقبلية تساعد على الإقلاع، حتى أن الطلب لم يأت منهم، بل من الأسرة، في حين لاحظنا لدى الحالة الثانية (أيوب) والثالثة (كمال) رغبة في الهجرة أو تغيير مكان العيش كأسلوب هروب، والبحث في العالم الخارجي عن واقع جديد يمثل الاستقرار والأمان الذي يفتقدانه بدلا من البحث عنه في واقعه النفسي، فالرغبة في الهجرة حسب شرادي؛ **مدفوع بصعوبة في مواجهة الظروف الاجتماعية من طرف الجهاز النفسي نظرا لنوعية التقمصات التي أدت إلى تكون أنا هش، فالمراهق يقوم بالابتعاد عن موضوع الرغبة، بحثا عن ملجأ يغيب فيه الشعور بالذنب فيحاول الهجرة.** (نادية شرادي، 2010، 90) وفي نفس السياق يكتب Jeammet **بأن السلوكات الإدمانية تهدف إلى البحث عن مضمون خارجي لدى الشخص الذي هو في حاجة إلى التوازن، هذا التوازن لم يجده في عالمه الداخلي.** (Jeammet, 2006, 60)

هذه النتائج المحصل عليها من خلال المقابلة العيادية والتي أوضحت صعوبات كبيرة على المستوى العلائقي، جاءت لتؤكدها وتدعمها نتائج الرائز الاسقاطي، نفصل فيها فيما يلي:

ظهر الخطاب القصصي سيء البناء في كل الحالات، فلاحظنا بروتوكول يتميز بالتقطع والميل نحو التقصير، بدأ من خلال أزمنة الكمون الطويلة، في بداية القص أو أثناءها، أين سيطرت عليه سياقات الكف والرقابة وبالتالي قلة الخيال والتصورات، وهو ما أخرج لنا انتاج ضعيف من حيث كثافة التصورات وسيولتها مع ضعف في ارتباطها مع الوجدانات لدى حالات، ففي حين تمكن البعض من اخراج بروتوكول يحتوي صدى وجداني وهوامي، فشل الأخرون في ذلك، فلاحظنا تركيز على الجانب الظاهر في قصص مبتذلة بعيدا عن أي طابع صراعي.

كما ظهر ميل نحو اخراج قصص مبنية للمجهول، اذ تفادى الحالات تعريف اشخاص اللوحات من حيث الأجيال وأحيانا من حيث الجنس، فظهرت شخصيات غير مجنسة باستعمال تعبيرات مثل "هذا، هذه،

انسان، شخص"، كما ظهر في لوحات أخرى صعوبة وفشل في بناء علاقة بين شخصيات القصة، اذ ان هناك عزل بينهم بعيدا عن أي رابط عاطفي أو وجداني، وظهر هذا جليا في اللوحات التي تحمل إشكالية الثلاثية الأوديبية، هذا التوجه يشير الى صعوبات علائقية حيث أن المراهق عاجز عن بناء علاقات مع الآخر، لأنه لم يتمكن من عملية الحداد على مواضيع الحب الأولى، **إذا لم يتم الحداد إزاء المواضيع اللبيدية المستثمرة سابقا، لن يكون هناك نضج نفسي.** (شرادي نادية، 2011، 193) وهو ما أكدته دراسة عنو عزيزة 2008 من أن المدمنين يُظهرون **غموض وكف في استجاباتهم، واضطرابات على المستوى العلائقي، وأيضا ضعف في تناول محاور المقابلة لأن المخدر شغل الساحة العقلية لديهم، مع انعدام الدينامية العلائقية.**

السياقات المستعملة في ارصان الخطاب القصصي الذي تحركه المادة الإسقاطية، لدى الحالات الأربع ما عدا الحالة الرابعة (سعيد) اتجهت غالبا نحو سياقات التجنب Procédés de la série C (l'évitement du conflit) في المقام الأول، **فاستعمال هذه السياقات التي توضح بأن الإشكالية الأساسية لها علاقة مع تجنب الصراع الداخلي.** (F, Berlet, C, Chabert, 2003, 87) ففي أغلب الحالات استعمل المفحوصين سياقات الكف بكثافة، من خلال التقطع في الخطاب وزمن الكمون الطويل وعدم التعريف بالأشخاص، لتدل على الصعوبة في ارصان الصراع الذي تمثله الصورة، لذلك فهو يواجهه بدفاع التجنب والكف.

فيما ظهر أيضا تركيز على سياقات افراط استثمار الواقع الخارجي CF، من خلال تشديد على ما هو يومي وواقعي، وأيضا العواطف الظرفية، فاللجوء الى هذه السياقات يساعد على تجنب الطابع الصراعي والتوقف فقط على ما هو يومي في سرد لأحداث يومية أو أفعال يمكن ترجمتها حسب Berlet et Chabert **بفقدان القدرة على الحلم والتخيل والنشاط الهوامي، فالفرد يتجاوز واقعه النفسي الداخلي، ليتجه نحو استثمار العالم الخارجي، ويسجل حسب مدرسة البسيكوسوماتيك لـ Pierre Marty ضمن عصاب السلوك، اين يكون انقطاع في سيولة التصورات بين الشعور واللاشعور.** (F, Berlet, C, Chabert, 2003, 87)

اللجوء إلى السياقات النرجسية CN كان حاضرا لدى كل الحالات، وظهر بصورة أكبر من خلال سياق العاطفة المعنونة وهيئة دالة على العواطف ووضع في لوحة فنية، **يدل على محاولة كف التعبير النزوي، عن طريق تجميد اللوحة في صورة أو نفي ادراكات أو عواطف داخلية،** في حضور سياقات الانطباع الذاتي والمصادر الشخصية، وأيضا مثالية للذات أو الموضوع، هذا اللجوء إلى السياقات النرجسية

يدل على استثمار صورة الذات وصعوبة على المستوى العلائقي، جعلته يتمحور حول الذات من خلال الاستثمار النرجسي.

السياقات ضد الاكتئابية CM ظهرت لدى كل الحالات من خلال التشديد على وظيفة السند على الموضوع، كسياق للدفاع ضد الاكتئاب وسيناريوهات الفقدان، التي يحركها قلق فقدان الحب والموضوع، مثلما يكتب فرويد بأنها **وسيلة للدفاع ضد الألم** (F, Berlet, C, Chabert, 2003, 102) وتبين الطابع السندي والاتكالي للعلاقات التي يبنيها المفحوص مثلما سبق وأن أوضحته نتائج المقابلة العيادية، فيما ظهرت أيضا سياقات فرط عدم استقرار التقمصات لدى الحالة الرابعة (سعيد) والخامسة (ياسين)، حيث لاحظنا فشل وتردد في التفريق بين جنس الشخصية، أين يملأ المفحوص كل الأدوار من أجل تجنب المخاطرة بأخذ دور واحد، مما يعطي التقمصات صورة ضبابية، ويعبر عن هشاشة على المستوى التقمصي.

سياقات الرقابة Procédés de la série A (Rigidité) التي تدل على العودة إلى الواقع الخارجي ظهرت في المقام الأول لدى الحالة الرابعة (سعيد)، استعملها الحالات الأخرى بتكرار معتبر في المقام الثاني، فبدت السياقات الهجاسية بكثافة لدى كل الحالات من خلال التركيز على الشك، التحفظات الكلامية، التردد بين التفسيرات المختلفة والاجترار، جعل الخطاب القصصي يتسم بمزيد من التفكك ويشير إلى أن المفحوصين يعتبرون العالم الخارجي خطيرا، لذلك فلا ثقة فيه فيعمدون إلى استعمال الشك في علاقاتهم معه، هذه السياقات تدل على وزن الدفاع الكبير المستعمل في العلاقة مع الآخر، ويوافق ما خلصت إليه نتائج المقابلة من ظهور لأفكار الشك والوسواس وفقدان الثقة في الآخر.

كما ظهرت سياقات الرجوع إلى الواقع الخارجي، من خلال الوصف والتعلق بالتفاصيل الخارجية للوحات، في استثمار للإطار الادراكي من أجل تجنب أي صراع وصدى هوامي يمكن أن تحركه اشكالياتها، فالبقاء على مستوى سطحي من التناول يوفر نوع من الامان، ويتجنب اختبار قدرات الأنا في تنظيم التوازن بين الإستثارات الخارجية ومتطلبات العالم الداخلي، فهؤلاء الأفراد حسب دراسة عنو عزيزة 2008 **يرتبطون بالمواضيع الخارجية ارتباطا وثيقا.**

وقد أظهر البعض من الحالات استعمال لسياقات دفاعية أكثر نضجا منها الفكرنة، من خلال الاختصار، الترميز وإعطاء عنوان لوحة، بواسطتها يلجأ المفحوص إلى اختصار الصراعات أو العواطف التي يستدعيها الخطاب، ومنه يتمكن من وضع مسافة عنها، كما ظهرت أيضا سياقات التشديد على الصراعات الضمنفسية **تدل على وجود صراعات داخلية ناتجة عن متطلبات داخلية متناقضة، بين رغبات متناقضة أو بين الرغبة والممنوع.** (F, Berlet, C, Chabert, 2003, 69) فهؤلاء المراهقين يواجهون صراع

بين الرغبة في المادة المخدرة والممنوع الذي يمثله القانون والواقع، ومتطلبات الأنا الأعلى، تلك المادة التي جاء ادمانها كموضوع تعويضي لموضوع الحب الأولي.

سياقات المرونة Procédés de la série A (Labilité) التي تتجه نحو استثمار العلاقات جاء حضورها ضئيلا خلال كل البروتوكول، لدى كل الحالات، لتدل على الدفاعات الصلبة التي يلجأ إليها المراهق المدمن، بعيدا عن أي تسوية مرنة للصراعات التي تحركها إشكاليات اللوحات، والذي يقتضي استثمار علاقات بين الأشخاص وظهور صدى وجداني وتعبير عاطفي يوافق الخطاب القصصي في ارتباطه مع المحتوى الكامن للمادة الإسقاطية، أين ظهر سياق التشديد على العلاقات بين الشخصية بكم قليل، واحيانا تعبيرات عاطفية، في حضور لسياقات من النمط الهستيري، تتضمن شبقية العلاقات بالنسبة للحالة الثالثة (كمال) والرابعة (سعيد).

إن فقر بروتوكول الاختبار من سياقات المرونة يشير إلى صعوبات ذات نمط علائقي، في ظل استعمال دفاعات صلبة تعيق التخرج من مادة الإسقاطية، وهذا يوافق ما خلصت إليه دراسة زين العابدين 2009 من أن **المدمنين يتجهون نحو استعمال أساليب دفاعية غير ناضجة، ويتميزون بعدم القدرة على التعبير عن مزاجهم وانفعالاتهم وأحاسيسهم وحوارهم خال من العواطف والكلمات.**

ظهور السياقات الأولية Procédés de la série E (Procédés primaires) كان ضئيلا أيضا لدى كل الحالات، واتجه لدى البعض نحو إخفاء موضوع ظاهري أو إدراك أجزاء نادرة، يدل على تجنب تقمص المواضيع أو التقرب منها، مع حضور سياقات كثافة الاسقاط التي تضمنت تعبيرات عدوانية واستدعاء الموضوع السيء، في حين ظهر بصورة واضحة لدى الحالة الرابعة (سعيد) تصورات اضطهاد ذات إشارة مرضية، لتضاف لتصورات الشك والهجاس التي رافقت الإنتاج الاسقاطي لدى المفحوصين، بصوة عامة لاحظنا خطاب قصصي يحمل صبغة عدوانية، فعدم القدرة على ارصان العدوان هو أحد سمات المدمنين، فحسب Bergeret فإن الفرد الذي يستخدم المادة المخدرة **يبحث عن تحقيق رغبة تثيرها حاجة ماسة الى التعبير عن عدوانية نحو الآخر، وتحقيق هذه الرغبة يجعل الفرد يحس بأنه حقق نجاحا نرجسياً لم يحققه من قبل، وبقاء هذه الخبرة السارة في خيال المدمن هو ما يجعله يسعى لتكرارها، وهذه أولى الخطوات في طريق الإدمان.** (J. Bergeret, 1990, 11)

دراسة إشكاليات اللوحات أظهر صعوبة كبيرة في إرصانها، أين لاحظنا فشل كل الحالات في بناء وضعية الثلاثية الأوديبية من خلال اللوحة الثانية، ففي الوقت الذي تجنب البعض وضع علاقات بين شخصيات اللوحة، مثلما حدث مع الحالة الثالثة (كمال) والرابعة (سعيد)، ظهرت علاقة ثنائية بين

الشخصيات من طرف الحالة الثانية (أيوب)، وادراك لشخص واحد في اللوحة من طرف الحالة الأولى (مسعود)، وفي الحالات الأكثر سوءا عجز الحالة الخامسة (ياسين) على ادراك محتوى انساني في اللوحة التي تحمل الإشكالية الأوديبية، فهذا يدل على فشل بدرجات مختلفة على بناء وارصان العلاقة الثلاثية، مما ينبئ عن صعوبات على المستوى التقمصي.

في حين كانت هناك صعوبة في ارصان الإشكالية الاكتئابية بالنسبة لبعض الحالات، كان إدراك تلك الايحاءات من خلال الاعتراف بالوجدان الاكتئابي وضياع الموضوع الذي يأخذ قيمة جرح نرجسي يبعث على الانهيار والنقص، كما شد انتباهنا إدراك شخصية اللوحة 3BM كصورة أنثوية من طرف مفحوصين ذكور وآخرين أعطوا صورة ضبابية لشخصية القصة، كإشارة لصعوبة الانفصال عن الصورة الأمومية، وهشاشة على المستوى التقمصي.

واجه الحالة الثالثة (كمال) صعوبة في إدراك الصورة الأمومية من خلال إشكالية اللوحة 5 و6BM، في حين ظهر لدى الاخرين صعوبات متفاوتة في التموضع أمام صورة أمومية تمثل هيئة أنا أعلى.

تراوحت القدرة على ارصان إشكالية التقارب الليبيدي بين المفحوصين، أين فشل في التموضع أمامها الحالة الثانية (أيوب) والخامسة (ياسين)، أين تم استثمار العلاقة كموضوع استنادي، اما الحالات الأخرى فقد نجحت في ارصان الإشكالية.

بصورة شاملة فقد لاحظنا صعوبات كبيرة في ارصان إشكاليات الاختبار الاسقاطي، والقدرة على التموضع أمامها، حيث أنها أحيت صراع نفسي لم يحتمله المراهقين المدمنين، وهو ما توصلت له دراسة عنو عزيزة 2008 من أن **للمدمنين صعوبة في إدراك إشكاليات لوحات اختبار تفهم الموضوع، وإرصان الصراعات التي تثيرها، مع ظهور تقمصات قليلة**، وهو ما لاحظناه أيضا من خلال تجنب تعريف الأشخاص من حيث الجيل والجنس وتفادي إقامة علاقات بينهم.

انطلاقا من هذه النتائج المحصل عليها من خلال المقابلة العيادية ورائز تفهم الموضوع، والتي جاءت توافق دراسات أخرى، والتفسيرات التي أعطيناها، فهل تحقق ما سبق بناءه بداية من خلال فرضيات البحث؟

مناقشة النتائج في ضوء الفرضية الأولى:

نصت الفرضية الأولى على أن: **المراهق المدمن على المخدرات يُظهر تقمصات هشة**؛ فبالرجوع إلى النتائج التي أمامنا، يظهر نمط اسنادي للعلاقات التي يبنيها المراهق، في علاقة اتكالية على الموضوع، وتوظيف نفسي يتجه نحو الاستثمار النرجسي للذات، وصعوبة الحداد على الصورة الأمومية واستثمار مواضيع حب خارجية جديدة، لتأتي المادة الإدمانية كموضوع بديل يستطيع التحكم فيه، ويوفر له خبرات اللذة، ضف على ذلك صعوبة تجاوز تلك المادة الذي ظهر من خلال تصورات مستقبلية فقيرة، حملت لدى البعض الرغبة في الهجرة للبحث عن واقع جديد يوفر الهدوء والاستقرار في العالم الخارجي وليس في الواقع النفسي.

كما ظهرت دفاعات نفسية تتسم بالصلابة في مواجهة المادة الإسقاطية، اتجهت في الأغلب نحو التجنب من خلال بناء قصصي يتميز بالكف وقصص قصيرة ومتقطعة مبنية للمجهول، شخصياتها غير معرفة، وليس بينها رابط علائقي أحيانا، في حضور واضح للسياقات النرجسية وضد الاكتئابية، وعلى الجانب الآخر لاحظنا حضور معتبر لسياقات الرقابة للتركيز على المحتوى الظاهر بعيدا عن أي صراع أو صدى هوامي، مع حضور سياقات ذات نمط هجاسي، وسياقات مرونة بتكرار قليل، وتعبيرات عدوانية من خلال السياقات الأولية، وفشل متفاوت في إرصان إشكاليات الاختبار، يتقدمها فشل كبير في بناء الثلاثية الأوديبية، وصعوبات في التموضع أمام الإشكالية الاكتئابية.

من هذه النتائج نقول بتحقق الفرضية الأولى مع كل الحالات، فالتقمصات النفسية ظهرت هشة، مع صعوبات على المستوى العلائقي.

مناقشة النتائج في ضوء الفرضية الثانية:

نصت الفرضية الثانية على أن: **المراهق المدمن على المخدرات يستعمل سياقات دفاعية صلبة،** رغم وجود شيء من التنوع في السياقات الدفاعية لدى كل الحالات، إلا أنها اتجهت في الغالب نحو سياقات تجنب الصراع، لتدل على صعوبات على المستوى النفسي الداخلي، ثم سياقات الرقابة، أين ظهرت تعبيرات سطحية تركز على المحتوى الظاهري بعيدا عن أي صدى هوامي أو صراعي، في حضور ضئيل لسياقات المرونة التي تسمح بإنتاج خطاب قصصي من خلال دفاعات لينة ذات سيولة وأكثر نضجا، وسياقات أولية أظهرت صعوبة في ارصان العدوان.

ومن هنا يمكن أن نقول بتحقق الفرضية الثانية مع الحالات الخمس، الذين فشلوا في ارصان إشكاليات المادة الإسقاطية واستعملوا دفاعات نفسية صلبة.

تبقى النتائج المحصل عليها في هذا البحث صالحة ضمن مبدأ هنا والآن l'ici et maintenant، خاصة بالمجموعة التي تمت عليها الدراسة، ففي ميدان العمل النفسي العيادي تبقى كل حالة هي حالة متفردة في حد ذاتها، أين تمتاز تقنية دراسة الحالة بالعمق والخصوصية للفرد بعيدا عن مفهوم تعميم النتائج.

خلاصة:

لقد انطلقنا في هذا الفصل من عرض المعطيات المحصل عليها من المقابلة العيادية وفق المحاور التي تم بناؤها في البداية وتحليلها واستقاء الاشارات ذات الدلالة التفسيرية، ثم عرضنا نتائج رائز تفهم الموضوع من خلال تحليل السياقات المستعملة ثم مناقشة إشكالية البروتوكول، لنخلص في الأخير إلى خلاصة حول كل حالة.

وجات النتائج التي تحصلنا عليها من خلال المقابلة، لتوضح وجود توظيف نفسي يميل إلى الاستثمار النرجسي، ونمط علاقة سندي واتكالي، مع صعوبات على المستوى العلائقي وفي التكيف مع العالم الخارجي الموضوعي.

هذه النتائج تدعمت من خلال الرائز الإسقاطي، أين ظهرت دفاعات نفسية تتسم بالصلابة من خلال التركيز على سياقات التجنب في حضور السياقات النرجسية وضد الاكتئابية، وسياقات الرقابة من خلال التشديد على سياقات ذات النمط الهجاسي، في حضور قليل لسياقات المرونة مما يدل على صعوبة التخرج من المادة الإسقاطية، يؤكدها صعوبة التموضع أمام إشكاليات اللوحات، لنخلص في الأخير إلى أن المراهقين المدمنين يتميزون بتقمصات نفسية هشة.

خاتمة البحث:

العلم بناء كامل من التساؤلات والأبحاث التي لا تنتهي، فكلما اعتقدنا أننا توصلنا إلى الحقيقة، بدى لنا فيما بأننا دخلنا نفق غموض وتساؤل آخر، هكذا هو طريق العلم يثير التساؤلات، ليجعلنا نبحث في كنفها من خلال الاستناد على افتراضات قد تتدعم بنتائج جديدة، أو تتصدع أمام اكتشافات أخرى تتجاوزها، فمن هنا كانت المغامرة العلمية التي خضناها في هذا البحث، حركتها الرغبة وأثارها التساؤل والغموض الذي وجدنا أنفسنا فيه، فانطلقنا من تساؤلات عامة حول موضوع له قيمة كبيرة في ميدان علم النفس العيادي، والذي يتمثل في مشكلة الإدمان لدى المراهق، لتتضح أفكارنا فيما بعد وتتحدد خصوصية وأصالة تناولنا، الذي كان يتعلق بنوعية التقمصات لدى المراهق المدمن على المخدرات، وجاء هذا الطرح أصيلا ويدخل ضمن سياق التناولات الكثيرة التي اهتمت بالموضوع من جوانب أخرى.

ويندرج هذا البحث ضمن التناولات الميتاسيكولوجية التي تهدف إلى الوقوف على جوانب التوظيف النفسي والديناميات الدفاعية التي يلجأ إليها الفرد، في ضوء المفاهيم والتفسيرات التي صاغتها المدرسة التحليلية، لذا اتخذنا من ذلك البناء العلمي أساسا لإرساء مشكلة البحث وبناء فرضياته في ضوء الاستطلاعات التي قمنا بها، واتجهنا نحو إتمام هذا البناء من خلال الالتزام بالمنهجية العلمية التي ترسم لنا الطريق من أجل الوصول إلى المعلومات التي نهدف إليها، فسلكنا المنهج العيادي واستعملنا وسائل المقابلة ورائز تفهم الموضوع التي طبقناها على مجموعة تتكون من خمس حالات، وهو ما مكننا من الخروج بمعطيات اتجهنا إلى تحليلها بهدف الوصول إلى نتائج البحث.

لقد أوضحت المقابلة العيادية أن **إشكالية الإدمان تبنى على أسس طفولة تتسم بالهشاشة**، وهذا ما تقول به المدرسة التحليلية في إيثيولوجيا الاضطرابات النفسية، تحققنا منه من خلال تاريخ الحالة أين لاحظنا بأن تلك الحالات قد عاشت طفولة صعبة، فالبعض عاشها كمرحلة اعتمادية كبيرة على الأم التي كانت تلبي كل رغباته وحاجاته ولم تمنحه شيئا من الوقت ليحقق مفهوم الاستقلالية التي يحتاجها في وقت لاحق من حياته، حتى أن البعض الآخر مزال يبني ذلك النمط من العلاقة الاعتمادية على الأم في مرحلة المراهقة، مما يجعله في حاجة دائما إلى موضوع اتكالي يستند عليه، ويحس بالعجز وقلق فقدان الموضوع في غيابه.

إن الانزلاق في مرحلة المرآة وصعوبة تحقيق دورها الأساسي، هو ما جعل الطفل يبقى ضمن علاقة ثنائية مع الأم، في حاجة دائمة إلى علاقة اعتمادية خلال حياته، أين اكتسب الطفل صورة مكسورة وغير

كاملة عن ذاته كانكسار نرجسي narcissisme brisé، ليأتي الإدمان على المواد المخدرة كبديل للاعتماد على الأم.

فيما عاشت الحالات الأخرى غياب معنى الأم الذي يوفر وظيفة الاحتواء، الحماية والسند في مرحلة الطفولة التي تتسم بالضعف والحاجة للاعتماد، من خلال علاقة تحالف مع الوالدين تضمن الحماية العاطفية، فالأطفال الذين يفتقدون هذا النوع من العلاقة ويواجهون الواقع دون مساعدة الآخرين، يظهرون نوع من الانفجار عند البلوغ وتكون أسس شخصيتهم جد هشة في مواجهة متطلبات البلوغ، فيصبحون مراهقين عرضة لاضطرابات الاعتماد أين يستعملون سلوكات إدمانية مثل الإدمان على المخدرات، وهو ما حدث مع الحالات التي تناولناها هنا.

تنطوي إشكالية الإدمان عن تاريخ مرضي يشير إلى **صعوبة في ارصان العقدة الأوديبية وتجاوزها بطرق سوية**، حيث أن السواء يتوقف على مدى القدرة على تجاوز المرحلة الأوديبية، فكلما تحقق الانسجام بين الميول الجنسية المثلية قبل التناسلية والميول الجنسية الغيرية التناسلية، تمكن الفرد من إقامة علاقات مشجعة مع الآخرين مهما كان جنسهم، والسوي هو الذي يتمكن من التحرر من القيم المتشددة لأناه الأعلى، وتخطي الخضوع الذي يميز العجز الطفولي، فبالرجوع إلى معطيات المقابلة والاختبار الاسقاطي، فقد أوضحا بأن كل الحالات عجزت عن ارصان سوي لعقدة أوديب، إذ أبدى البعض حالة تعلق بالأم وصعوبة القيام بعمل الحداد على موضوع الحب الأولي، واستثمار مواضيع حب خارجية جديدة، هذا الفشل هو ما أعاق التكيف مع الذات ومع العالم الخارجي، أين لجأ هؤلاء المراهقون إلى البحث عن موضوع اعتماد خارجي يتمثل في المادة المخدرة، كمحاولة لطلب السند والمساعدة، يمكنه من أن يعيش الشعور باللذة والحنان الذي يمثله اللقاء مع موضوع الحب الأولي، فهذه السلوكات هي تعويضية، تجلب له خبرات سارة تجعله يسعى لتكرارها مع الزمن، ليقع في شباك الإدمان.

ومن هنا يظهر لنا بأن **إشكالية الإدمان تنمو وتتطور في وجود نسق أسري يتسم بالاضطراب**، ففي الحالات التي درسناها ظهر خلل في تأدية الأدوار من طرف أفراد الاسرة، أين ظهر لدى البعض تفكك لبنية الأسرة نتيجة الطلاق وغياب وسط يضمن الحماية والاهتمام، وظهر لدى الآخرين صراع مع صورة الأب في علاقة صدامية يغيب عنها التواصل والتوافق، وأبدى الأخرون غياب للدور النفسي للأب الذي كانت تملؤه الأم ضمن علاقة ثنائية، فصورة الأب لديهم لم تمثل هيئة أنا أعلى يمثل القوانين والقيم والسلطة، تلك العلاقة السطحية جعلت من العمل النفسي لتقمص الأب ينتهي بالفشل، ومن ثم فان هناك صعوبة في تجسيد قوانين الأب لدى المراهق المدمن، هذا الأب لا يوحي بالثقة ويبقى خارج النظام العلائقي في تصورات

المدمن، الذي يتميز بأنا ضعيف ونفسية هشة وعاطفة غير متكيفة، والقلق والضغط النفسي الدائم، مع عدم القدرة على تأجيل إشباع حاجاته.

تظهر إشكالية الإدمان خلال مرحلة المراهقة التي تتسم بعمل دينامي مضطرب يصاحبه تغيرات على مستويات مختلفة من حياته، إن هذا العمل الصعب هو ما يجعل الأسس التي بناها الفرد في مرحلة الطفولة محل اختبار، وقادر على تفجير اضطرابات مرور إلى الفعل مثل الإدمان، فالمراهقة تضع الفرد تحت ضغط التغيرات النفسية والفيزيولوجية الناتجة عن البلوغ، لذلك فهو مجبر على إعادة بناء ذاته، والبحث عن رموز جديدة للهوية والحداد على مرحلة الطفولة بكل ما ترمز اليه من اعتماد على الاخر، والبحث عن الاستقلالية، وفي ظل هذا العمل تظهر تساؤلات مقلقة حول هويتهم من خلال الصراعات التي يعيشونها حول ماهيتهم، وهي مرحلة لإعادة بناء وهيكلة التقمصات، وبناء تقمصات جديدة خارج إطار الأسرة، من خلال إعادة تنظيم بناء الأنا الذي يعيش تغيرات البلوغ، وادماج هذا النضج الفيزيولوجي ضمن نظامه العلائقي، هذا النضج الذي يؤدي إلى ظهور الخصائص الجنسية الثانوية مع نمو الأعضاء التناسلية، يرافقه نمو سريع وهام للجسد، وظهور اختلافات في جسد الذكر والأنثى، فهذه التحولات الجسدية تلقي بآثارها على الجانب النفسي من حيث العلاقات مع الآخر، فالعنف يلخص إشكالية المراهقة.

كل هذه التحولات هامة، والأهم منها كيف يكون مآلها على المستوى النفسي؟ وكيف يتمكن من إدماجها داخل عمل التوظيفات النفسية السائدة في هذه المرحلة؟ فاذا بنيت هذه المرحلة على طفولة هشة ومضطربة فيمكن أن تفجر اضطرابات نفسية مثل الإدمان على المخدرات.

تشير إشكالية الإدمان إلى هشاشة على مستوى التقمصات النفسية، إذ تُبنى شخصية الفرد ويتحدد مصيرها من خلال السياق التقمصي، فمرونتها تمنحه قدرة على إرصان الصراعات التي تواجه جهازه النفسي وتسمح له بالتكيف مع الواقع الداخلي، ثم القدرة على الاندماج والتفاعل بشكل جيد مع العالم الخارجي الموضوعي، في حين أظهرت نتائج الحالات التي تم دراستها، طابع اسنادي واتكالي للعلاقات مع توظيف نفسي يتجه نحو استثمار الذات، وصعوبة تجاوز الاستثمارات الأولية والتوجه نحو استثمار مواضيع حب خارجية جديدة، وتصورات مستقبلية فقيرة، حملت لدى البعض الرغبة في الهجرة للبحث عن واقع جديد يوفر الهدوء والاستقرار في العالم الخارجي وليس في الواقع النفسي، مع فشل متفاوت في ارصان إشكاليات الاختبار الاسقاطي، يتقدمها فشل كبير في بناء الثلاثية الأوديبية، وصعوبات في التموضع أمام الإشكالية الاكتئابية، هذه النتائج تشير إلى هشاشة على المستوى التقمصي، جعل من المراهق في علاقة غير مستقرة مع العالم الخارجي، يغيب عنها التكيف والتوافق، لذا كان البحث إلى المواد المخدرة كموضوع استناد بديل يستطيع التحكم فيه ويوفر له خبرات اللذة.

تنطوي الإشكالية الإدمانية عن استعمال دفاعات نفسية صلبة، فشخصية المدمن غير ناضجة، تتسم بالهشاشة والسلبية ليس لها القدرة على تحمل التوتر والألم، مع صعوبة في التكيف الاجتماعي، وهذا ما خلص إليه هذا البحث من استعمال دفاعات التجنب في حضور السياقات النرجسية وضد الاكتئابية، ودفاعات الرقابة من خلال السياقات الهجاسية لتشير إلى فقدان الثقة في العالم الخارجي، مع حضور ضعيف لسياقات المرونة، يجعلنا نفهم مدى الصلابة التي يواجه بها المراهق المدمن الواقع الخارجي، مما أعاق التخرج من إشكاليات الاختبار الاسقاطي، وانعكس على قدرته في التوافق مع الذات، ثم القدرة على الاندماج والتفاعل الإيجابي مع الآخر.

إن توجه المراهق نحو تعاطي المواد المخدرة من منظور سطحي ينطلق من رغبة في التجربة والبحث عن الاثارة ضمن سلوك مجموعة الرفاق ومحاولة لفت الانتباه، والتعبير عن الخروج من مرحلة الاعتماد الطفولي واثبات الاستقلالية، لذا فاللجوء إلى المخدرات يعبر عن بحث غير نهائي عن فضاء خاص بالمراهق، يحركه اضطرابات في مرحلة الطفولة من منظور تفسيري أكثر عمقا، تلك الاضطرابات التي تظهر على ساحة المراهقة المضطربة هي ما تزيد من حدة الاعتماد على المواد المخدرة، لذلك كان **من المهم التركيز على مفهوم المرافقة l'accompagnement في التعامل مع المراهق،** في جو من التقبل والتفهم والمساعدة لتخطي تلك المشكلة، في جو أسري مشجع وهادئ، فالخوف الأكبر لدى المراهق يكون من فقدان السيطرة ومواجهة الرغبات المجهولة، اذ أن اضطراب الطفل يدل على اضطراب نسق الأسرة مثلما تقول به النظرية النسقية من خلال مفهوم الطفل العرض، هذه المرافقة تساعد على تجاوز صعوبات المرحلة التي يواجهها المراهق، وتسهم في اعطائه الوقت والحرية من أجل تمكينه من إيجاد طريقه المناسب بنفسه، فالمراهق حسب Winnicott كائن غير ناضج والعلاج الوحيد لعدم النضج هو الوقت، ولجوئه إلى المخدرات يعبر عن بحث عن فضاء خاص به.

اقتراحات:

بناءً على الملاحظات التي استقيناها من الواقع، والأفكار التي خطرت لنا، وتتمة للنتائج المحصل عليها من خلال هذا البحث، يمكن أن نقدم الاقتراحات التالية، لتخدم طريق البحث العلمي، وتهتم بالتكفل الأفضل بالأفراد الذين يعانون من الإدمان.

بالنسبة للبحوث:

من المهم أن تتناول البحوث النفسية جوانب أخرى من هذه المشكلة مثل:

- العلاقة بين أنماط التعلق والتوجه نحو الإدمان؛
- العلاقة بين نوعية التقمصات وسلوكات المرور إلى الفعل، للوصول لنتائج أشمل؛
- الروابط الاسرية وعلاقتها بالتوجه نحو الإدمان من وجهة نسقية؛
- الألكستيميا لدى المراهق المدمن؛

بالنسبة للتكفل بهذه الفئة:

نطرح هنا بعض الاقتراحات لتسهم في الوقاية والتكفل بالمشكلة:

- برامج توعية للأولياء بتغيرات مرحلة المراهقة من أجل فهم ابعادها وطرق مرافقة أبنائهم؛
- الاكتشاف المبكر لحالات التعاطي وضمان التكفل الأسري والنفسي؛
- التركيز على التكفل النفسي واستمراريته بعد العلاج الطبي الدوائي.

"واصل قراءة الكتب؛ ولكن تذكر أن الكتب تبقى كتبًا وأن عليك التفكير بنفسك" مكسيم غوركي

قائمة المراجع

1 ـ باللغة العربية:

1. ابن خلدون عبد الرحمن، 2001، **المقدمة**، دار الفكر، بيروت.
2. اسماعيلي يامنة، 2009، **دور الإرشاد النفسي في علاج المدمنين على المخدرات**، مجلة دراسات نفسية وتربوية، العدد 2 جوان 2009، الجزائر.
3. بن خليفة محمود، 2007، **علم النفس المرضي والتقنيات الإسقاطية**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر.
4. بول روزن، 1995، **الحريم الفرويدي**، ترجمة ثائر ديب، دار كنعان للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا.
5. حب الله عدنان، 2004، **التحليل النفسي للرجولة والأنوثة**: من فرويد إلى لاكان، منشورات ANEP، الجزائر.
6. خرشي آسية، 2009، **التناول النسقي العائلي لاضطرابات المرور إلى الفعل لدى المراهق**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر.
7. روبرث هنشل وود، سوزان روبينسون، أوسكار زاريت، 2003، **ميلاني كلاين**، ترجمة حمدي الجابري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
8. صوان عبد الوهاب، 2010، **العلاقة بالموضوع والإدمان**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر.
9. علي إبراهيم، 2014، **التقمص مع المعتدي في ضوء بعض المتغيرات**، رسالة ماجيستير غير منشورة، الجامعة الاسلامية، غزة.
10. عنو عزيزة، 2008، **التنظيم العقلي عند الراشدين المدمنين على المخدرات**، مجلة البحوث والدراسات العلمية، ن: ب ع: 02، الجزائر.
11. فارس زين العابدين، 2009، **القمع النفسي في حالة تقطيع الذات عند الشباب الراشد المدمن على المخدرات**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر.
12. فروم إريك، 1972، **الخوف من الحرية**، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
13. فروم إريك، 1989، **الانسان بين المظهر والجوهر**، ترجمة: سعد زهران، سلسلة كتب ثقافية، الكويت.
14. فرويد سيجموند، 1962، **النظرية العامة للأمراض العصابية**، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت.
15. فرويد سيجموند، 1982، **الأنا والهو**، ترجمة محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت، ط4
16. فرويد سيجموند، 1983، **ثلاث مباحث في نظرية الجنس**، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت. ط 2

17. فرويد سيجموند، 1984، **التحليل النفسي لرهاب الأطفال**، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت.
18. فرويد سيجموند، 1987، **التحليل النفسي للعصاب الوسواسي**: رجل الجرذان، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت.
19. فرويد سيجموند، 1997، **قلق في الحضارة**، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت.
20. فرويد سيجموند، 1999، **الحياة الجنسية**، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، لبنان.
21. فرويد سيجموند، 2000، **الموجز في التحليل النفسي**، ترجمة: سامي علي، مكتبة الأسرة، القاهرة.
22. فرويد سيجموند، 2006، **علم نفس الجماهير وتحليل الأنا**، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت.
23. فكتور سميرنوف، 1985، **التحليل النفسي للولد**، ترجمة: فؤاد شاهين، المؤسسة الجامعية للدراسات، النشر والتوزيع، بيروت، ط 3.
24. فلوران أنييس، 2013، **مدخل إلى علم نفس التطور**: الطفولة والمراهقة: ترجمة ليلى الصواف، الهيئة العامة للكتاب، دمشق.
25. لابلانش، بونتاليس، 2002، **معجم مصطلحات التحليل النفسي**، ترجمة مصطفى حجازي، المؤسسة الجامعية للدراسات وللنشر والتوزيع، بيروت، ط4.
26. ليلى شربي أبيلا، 2013، **الميكانيزمات الدفاعية وتقدير الحياة الذاتية عند المدمنين**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر.
27. موريس أنجرس، 2006، **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية**، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر.
28. ميلاني كلاين، 1993، **الحب والكراهية**، ترجمة: وجيه اسعد، دار البشائر، دمشق.
29. نادية شرادي، 2006، **التكيف المدرسي للطفل والمراهق على ضوء التنظيم العقلي**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، الجزائر.
30. نادية شرادي، 2010، **نوعية التقمصات لدى المهاجرين اللاشرعيين** (الحراقة)، مجلة عالم التربية.
31. نادية شرادي، 2011: **الحداد النفسي إزاء موضوع الحب الأولي وعلاقته بالتوافق الزوجي**، مجلة دراسات نفسية.
32. نيفين زيور، 2000، **من النرجسية إلى مرحلة المرآة**: قراءات في التحليل النفسي، مكتب الأنجلو المصرية، القاهرة.

2 ـ باللغة الأجنبية:

33. Abraham, 1966, **L'histoire d'un chevalier d'industrie a la lumière de la psychologie** œuvre complètes trad, Payot, paris.
34. ANZIEU. D, 1965, **Les méthodes projectives**. PUF, Paris.
35. APA, 2005, **DSM 4TR**, traduction française, Masson, Paris.
36. APA, 2015, **DSM-5**, **manuel diagnostique et statistique des troubles mentaux**, traduction française, Elsevier Masson, PARIS.
37. Balier. C, 1995, **Psychanalyse des comportements violents**, Paris.
38. Benjamin Petrovic, 2005, **éléments fondamentaux de l'identité** : narcissisme, identification, sexuation, Thèse en psychiatrie, université d'Angers, France.
39. Benoît Gauthier, Karine Bertrand, Pierre Nolin, 2010, **Famille et traitement de la toxicomanie chez les adolescents**, Revue internationale de recherche et de transfert, Québec, No. 13, 2010, p. 129-150.
40. Bergeret Jean, 1979, **Psychologie psychopathologique** : théorie et clinique, Masson, Paris.
41. Bergeret Jean, 1984, **précis des toxicomanes**, Masson, Paris.
42. Bergeret Jean, 1990, **la toxicomanie parmi les autres**, Odile Jacob, Paris.
43. Bergeret Jean, Fain. M, 1981, **le psychanalyste à l'écoute de la toxicomanie**, Dunod, Paris.
44. Bergeret. Jean, 1982, **Toxicomanie et personnalité**, PUF, Paris ,4ed
45. Betrand Mechel, 2009, **l'identification à l'agresseur chez ferenczi**: masochisme, narcissisme, PUF, Paris.
46. Braconnier, 2004, **menasse de dégressivité**, idées de vie, idées de mort, la déprissions en question chez l'adolescent, Masson, paris.
47. Cahn Raymond, 1998, **l'adolescent dans la psychanalyse**, PUF, Frans.
48. Cahn Raymond, 2002, **les identifications à l'agresseur**, PUF, Paris, Coblence F, 2002, **Freud et la cocaïne**, revue psychanalyse, vol 66.
49. Chagnon Jean-Yves, 2008, **l'identification**, dans : François Marty, Les grands concepts de la psychologie clinique, Dunod, Paris.
50. Chiland. C, 1983, **l'entretien clinique**, PUF, Paris.
51. Christian Jouvenot, 2003, Freud : **un cas d'identification à l'agresseur**, PUF, Paris.
52. Corcos M, Jeammet .Ph et all, 2002, **Alexithymie et dépendance À l'alcool**, Ann. Med. Interne, vol 153n°3, pp51-60.

53. Damiani, 1997, **les victimes, violences public et crimes privés**, Bayard, Paris.

54. Debray. R, 2000, **L'examen psychologique** de L'enfant a la période de latence (6-12 ans), Dunod, Paris.

55. Donnet. J L, Pinel. J P, 2002, **le problème de l'identification chez Freud**, revue français, Paris

56. Emmanuelli Mechel, 2009, l'**adolescence**, PUF, Paris, 2 éditions

57. Emmanuelli Mechel, Azoulay. C, 2001 : **les épreuves projectives à l'adolescence**, approche psychanalytique, Dunod, Paris.

58. Florence. J, 1978, **l'identification dans la théorie Freudienne**, publications des facultés universitaires, Saint-Louis, Bruxelles.

59. Française Dolto, 2013, **la cause des adolescents**, Pocket, Paris.

60. Françoise Berlet-Foulard, Catherine Chabert, 2003 : **Nouveau manuel du TAT**, Dunod 2 éme édition, Paris.

61. Frédéric Millaud, 2009, **Le passage à l'acte** : aspects cliniques et psychodynamiques, Masson, 2 éme édition, Paris.

62. Frenandez, Cotteeuw, 2005, **clinique des addictions**, Armand Colin, Paris.

63. Freud Ana, 1976, **l'enfant dans la psychanalyse**, Gollimard, France.

64. GREEN. A, 2002, **La Pensée clinique**, éditions Odile Jacob, Paris

65. Gutton Philippe, 2000, **psychothérapie et adolescence**, PUF, Paris.

66. Gutton Philippe, 2002, **violence et adolescence**, presse édition, Paris.

67. Guylaine Benc'h, 2014, **les jeunes et l'alcool**, Dunod, Paris.

68. Huguette, Cogler, 1991, **Adolescence et suicide**, PUF, Paris.

69. Jacuques Sédat, 2009, **Addiction à la psychanalyse**, la revue lacanienne, Paris.

70. Janine Pages-Berthier, 1993, **psychanalyse et toxicomanie**, revue toxibase, n 2, Paris.

71. Jeammet Philippe, 2002, **l'adolescence**, édition solar, Paris.

72. Jeammet Philippe, 2005, **Adolescence et dépendance**, Revue Psychotropes /3 vol 11

73. Jeammet Philippe, 2006, **les troubles du conduit alimentaire**, dans l'acte et dépendance, Dunod, Paris.

74. Jeammet. Philippe, 2001, **Evolution des problématiques à l'adolescence**, groupe liason, France.

75. Joseph Sandler, 1987, **Projection, identification, identification projective**, puf, paris

76. Kestemberg. E, 1999, **l'identité et l'identification chez les adolescents**, In psychiatrie de l'enfant, N°2, T.5

77. khadija Chahraoui, Hervé Bénony, 2003, **Méthodes, évaluation et recherches en psychologie clinique**, Dunod, Paris.

78. Laufer. M, 2000, **l'idéal de moi et pseudo de moi à l'adolescence**, SARP, Alger.

79. Marcelli Daniel, Braconnier Alain, 2011, **Adolescence et psychopathologie**, Masson, Paris.

80. Marcelli. Daniel, 1999, **Entretien avec l'adolescent et son évaluation**, Encycl. Méd. Chir, Psychiatrie, 37-213-A-10,

81. Marie de Noailles, David Delapalme, Gérard Chevalier, John Deen, (sans date), **s'en sortir, c'est possible Addictions**, Livre blanc, France.

82. Marilyn Herie, Tim Godden, Joanne Shenfeld, Colleen Kelly, 2010, **la toxicomanie : Guide d'information**, CAMH, Canada.

83. Marty. F, J-Y. Chagnon, 2006, **Identité et identification à l'adolescence**, Psychiatrie/Pédopsychiatrie, EMC, Paris.

84. Marty. P, Nicolaidis. N, 1996, **Psychosomatique, pensée vivante**, esprit de temps, Paris.

85. Mazet Ph, Houzel D, 1999, **psychiatrie de l'enfant et de l'adolescent**, moloine, Paris.

86. Mercelli Daniel, 1994, **du lien précoce au lien d'addiction**, revue neuropsychiatrie de l'enfant, Paris.

87. Mercelli Daniel, 2004, Adolescence et psychopathologie, Masson, Paris.

88. Novaceck. J, Raskin. R & Hogan. R, 1991, **Why do adolescent use drugs**: age, sex and user differences, In Journal of Youth and Adolescence. 20. 15. 475-492.

89. Pentz. M, 1983, **Prevention of adolescent substance abuse though social skill development**, In T. Glynn, C. Lenkefelt, and J. Ludford(eds). Preventing adolescent drug abuse, NIDA research monograph, 47. 195-232. washington DC: US government printing office.

90. Perron R, Perron – Borelli M, 1997, **Fantasme, société, action, pensée, aux origines de la vie psychique**, SARP, Alger.

91. Perron. R, 1979, **Les problèmes de la preuve dans les démarches de la psychologie dite clinique**. Plaidoyer pour l'unité de la psychologie Française, tome 24, n°1.

92. Perron. r, Perron – Borelli m. 1994, **Le complexe d'Œdipe**, PUF, Paris.

93. Pierre Delion, 2010, **La consultation avec l'enfant** : Approche psychopathologique du bébé à l'adolescent, Elsevier Masson, Paris.

94. Pierre Fedida, 1974, **Dictionnaire de psychanalyse** (Larousse), librairie Larousse, paris.

95. Pierre G. Coslin, 2010, **psychologie de l'adolescent**, Armand Colin, Paris.3 edition

96. POROT. A, 1995, M**anuel alphabétique de psychiatrie clinique et thérapeutiques**, PUF, Paris

97. Reymond-Rivier. B, 1980, **Le développement Social de l'enfant et de l'adolescent**, Pierre Mardaga, Bruxelles, 9 eme édition

98. Ridouh. B, 2003 Faut-il traiter ? Où faut-il gérer ? In ACTES, **Toxicomanie et sida**. Revue bimestrielle (décembre 2003). 1. 4-11.

99. Sandor Rado, 1975 ,**la psychanalyse des pharmacothymies**, in : Revue Française de Psychanalyse, vol.39, N°4, 603-618.

100. Shentoub. V, 1968-1969, **le thématic apperception test de henry A, Murray**, cours polycopié, institut de psychologie.

101. Shentoub. V et al, 1990, **Manuel d'utilisation du TAT**, approche psychanalytique, Dunod, Paris.

102. Shentoub. V, 1955, **le thématic apperception test en neuropsychiatrie infantile**, revue neuropsychiatrie infantile et d'hygiène mentale de l'enfance.

103. Shentoub. V, Debray. R, 1969 : **Contribution du TAT au diagnostic,** différentiel entre le normal et la pathologie chez l'enfant, la psychiatrie de l'enfant, 12, 1.

104. Si Moussi, Roger Perron, 2011, **Problématiques de l'adolescence**, OPU, Alger.

105. Tony Anatrella, 1988, **interminables adolescences** : les 12 / 30 ans, Cujas, France.

106. Winnicott. D, 1970, **Processus de maturation chez l'enfant**. Paris, Payot.

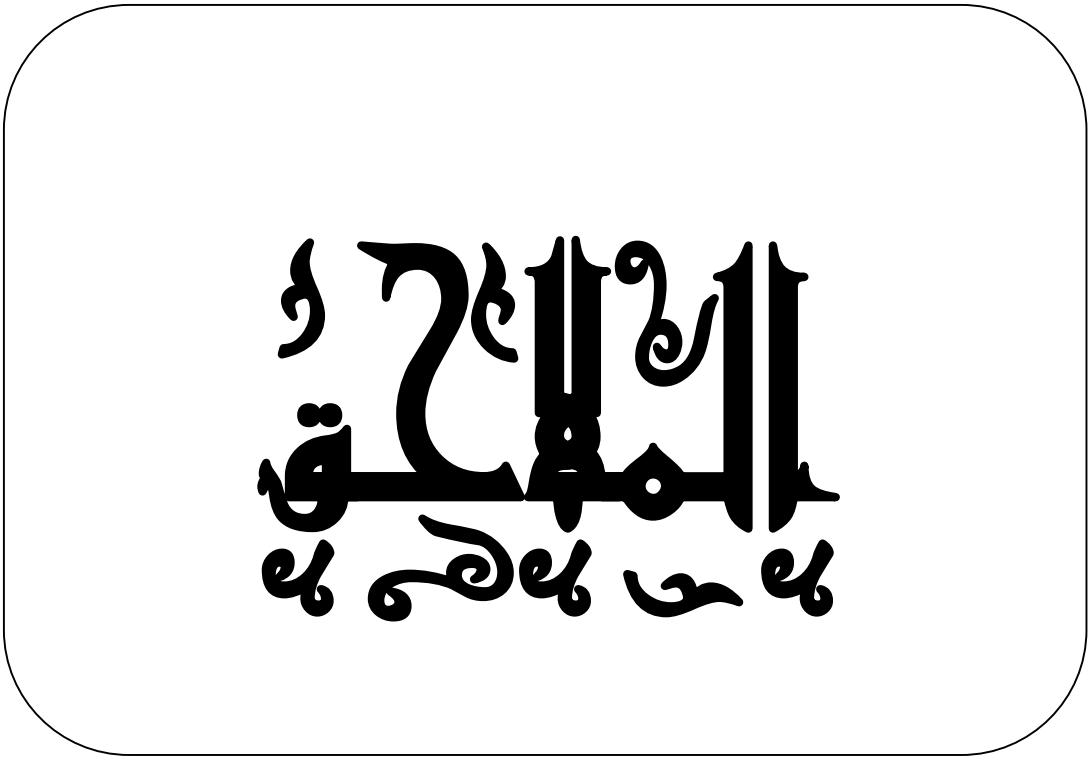
الملحق

الملحق رقم (1): خصائص بروفيل المراهق المدمن طبقا لنتائج البحث الحالي.

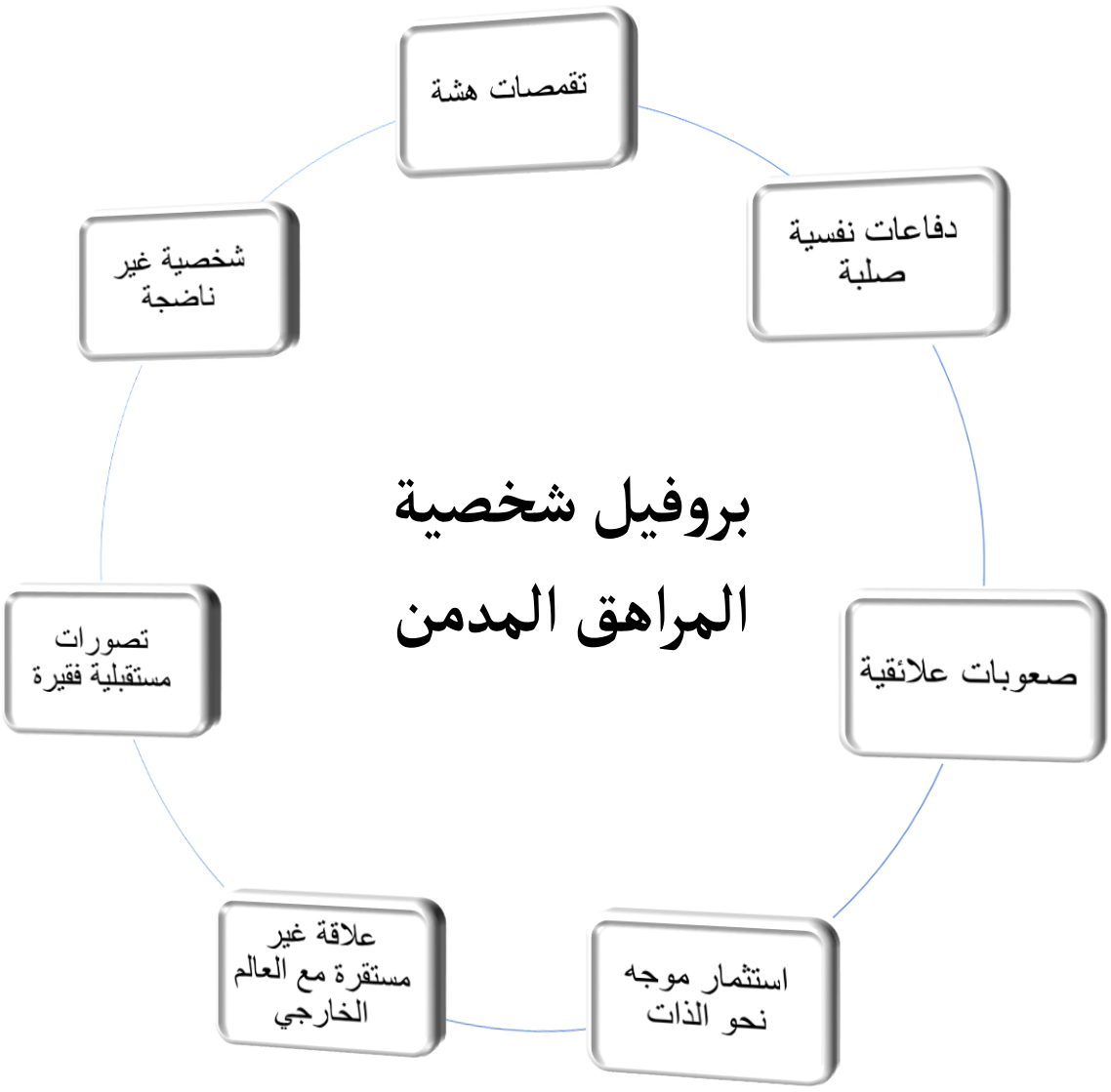

الملحق رقم: (2) ملخص لنتائج المقابلة العيادية مع مجموعة البحث

	الحالة 1	الحالة 2	الحالة 3	الحالة 4	الحالة 5
الطلب	من الأسرة	من الأسرة	من الأسرة	من الأسرة	من الأسرة
القدرة على الارصان	صعوبة	صعوبة	صعوبة	صعوبة	صعوبة
دافع الادمان	رغبة في التجربة	رغبة في التجربة	تفكك أسري	صراعات اسرية	رغبة في التجربة في وجود علاقة اتكالية
الجانب العلائقي	صعوبات علائقية	صعوبات علائقية	صعوبات علائقية	صعوبات علائقية	صعوبات علائقية
نمط العلاقة	اسنادي	اسنادي	اسنادي	اسنادي	اسنادي
القدرة على التعبير العاطفي	صعوبة	صعوبة	صعوبة	صعوبة	صعوبة
نوعية الاستثمارات	استثمار موجه نحو الذات والمادة المخدرة	استثمار موجه نحو الذات والمادة المخدرة	استثمار موجه نحو الذات والمادة المخدرة	استثمار موجه نحو الذات والمادة المخدرة	استثمار موجه نحو الذات والمادة المخدرة
القدرة على تجاوز الاستثمارات الأوديبية	تجاوز	صعوبة تجاوز	صعوبة تجاوز	صعوبة تجاوز	صعوبة تجاوز
سلوك المرور الى الفعل	ظهور سلوك المرور إلى الفعل	ظهور سلوك المرور إلى الفعل	ظهور سلوك المرور إلى الفعل	ظهور سلوك المرور إلى الفعل	ظهور سلوك المرور إلى الفعل
التصورات المستقبلية	رغبة في الهجرة	تصورات فقيرة	رغبة في تغيير مقر السكن	تصورات فقيرة	تصورات فقيرة

الملحق رقم (3) القدرة على إرصان اشكالية لوحات TAT لدى مجموعة البحث:

اللوحات	الاشكالية	الحالة 1	الحالة 2	الحالة 3	الحالة 4	الحالة 5
1	عدم النضج الوظيفي أمام موضوع الراشد	صعوبة	إرصان	إرصان	صعوبة	صعوبة
2	الثلاثية الأوديبية	فشل	فشل	فشل	فشل	فشل
3BM	القدرة على تجاوز الوضعية الاكتئابية وفقدان الموضوع	صعوبة	صعوبة	صعوبة	صعوبة	صعوبة
4	التعبير النزوي والعدواني في علاقة زوجية	صعوبة	صعوبة	إرصان	إرصان	فشل
5	الصورة الأمومية	إرصان	إرصان	صعوبة	صعوبة	صعوبة
6BM	تقارب أم / ابن	صعوبة	فشل	فشل	إرصان	إرصان
8BM	العدوانية ضد صورة الأب	إرصان	فشل	صعوبة	إرصان	صعوبة
10	تعبير ليبيدي بين الزوجين	إرصان	فشل	إرصان	إرصان	فشل
11	اشكالية قبل تناسلية وصورة الأم البدائية.	صعوبة	صعوبة	فشل	صعوبة	فشل
12BG	تصورات العلاقات العاطفية أو الشبقية	فشل	صعوبة	فشل	صعوبة	فشل
13B	القدرة على تحمل البقاء وحيدا	صعوبة	إرصان	إرصان	صعوبة	فشل
13MF	التعبير الجنسي والعدواني بين الزوجين	إرصان	فشل	إرصان	إرصان	صعوبة
19	التنظيم بين الداخل والخارج	صعوبة	فشل	صعوبة	فشل	صعوبة
16	طريقة بناء المواضيع الداخلية والعلاقة بينها	سياقات الكف	مصادر شخصية	مصادر شخصية	مصادر شخصية	مصادر شخصية

الملحق رقم: (4) طريقة تقمص شخصيات لوحات رائز TAT

اللوحات	المحتوى الظاهر	الاشكالية	الحالة 1	الحالة 2	الحالة 3	الحالة 4	الحالة 5
1	طفل امام الكمان	عدم النضج الوظيفي امام موضوع الراشد	ولد	هو	انسان	هو	هو
2	رجل، امرأة وفتاة في الحقل	الثلاثية الأوديبية	امرأة	أم وابنها	هذه	هذه، أم ورجل	/
3BM	انسان غير مجنس مسترخي على الارض	الوضعية الاكتئابية وفقدان الموضوع	امرأة	/	انسان	هذه	امرأة
4	زوجان	التعبير النزوي والعدواني في علاقة زوجية	رجل وامرأة	هو وزوجته	امرأة وزوجها	هذه وزوجها	رجل وامرأتان
5	امرأة تدخل إلى الغرفة	الصورة الأمومية	امرأة	هي وابنها	امرأة	امرأة أو أم، ابن أو زوج	أم
6BM	شاب مع امرأة مسنة تقابله بالظهر	تقارب أم / ابن	رجل وأمه	هم	شخصين	ولد وأمه	أم وابن
8BM	شاب ورجل مسن في محادثة	العدوانية ضد صورة الأب	ولد	واحد والاخر	أشخاص	طبيب، مساعده وابنه	عباد
10	زوجان يتعانقان	تعبير ليبيدي بين الزوجين	رجل وامرأة	هو وابنه	فتاة وزوجها	رجل وزوجته	أب وابنه
11	مشهد صخور	اشكالية قبل تناسلية وصورة الأم البدائية.	/	/	/	/	/
12BG	زورق في منظر غابي	تصورات العلاقات العاطفية أو الشبقية	/	/	/	/	/
13B	طفل امام منزل ذو خشبات لوح متفرقة	القدرة على تحمل البقاء وحيدا	ولد	هو	صبي	طفل	طفل
13MF	امرأة مستلقة ورجل يغطي وجهه	التعبير الجنسي والعدواني بين الزوجين	رجل وزجته	/	هو وزوجته	هو وزوجته	رجل
19	منزل تحت الثلج	التنظيم بين الداخل والخارج	/	ميل الى الرفض	/	/	/
16	لوحة بيضاء	طريقة بناء المواضيع الداخلية والعلاقة بينها	مصادر شخصية	مصادر شخصية	مصادر شخصية	مصادر شخصية	مصادر شخصية

الملحق رقم (5): دليل المقابلة العيادية نصف الموجهة.

المحور الأول: الحياة النفسية للمراهق المدمن: يسمح بفهم نوعية المعاش النفسي.

- نظرة المراهق لنفسه، وموقعة إزاء الآخر ⇦ احكيلي على روحك؟

المحور الثاني: الحياة العلائقية: الوقوف على الدينامية العلائقية، مدى مرونة أو هشاشتها.

- نوعية علاقة المراهق بالوالدين ⇦ كيفاش علاقتك مع يماك؟ وكيفاش كانت العلاقة في الطفولة؟ ومع باباك؟ واخوتك؟
- نوعية علاقة المراهق بالرفاق ⇦ عندك صحابك؟ كيفاش علاقتك معاهم؟ على واش تحكيو؟ واش حاجة لي تجمعكم؟
- نوعية علاقة المراهق بالجنس الآخر ⇦ عندك علاقة مع البنات؟ كيفاش تشوف لهاذيك العلاقة؟ واش الهدف تاعك من العلاقة؟

المحور الثالث: علاقة المراهق بالمادة المخدرة: نوعية استثمار المادة كاعتماد أو كنشوة.

- تأثير المادة المخدرة على العلاقات الشخصية ⇦ واش يمثل لك الدواء لي راك تبلع فيه؟ كيفاش تشوف في روحك قبل وبعد ما وليت تبلع؟

المحور الرابع: تصورات المستقبل: مدى وجود عمل حداد على المادة يساعد على الإقلاع.

- فحص استثمارات، تصورات، توقعات والهوامات المستقبلية للمبحوث ⇦ كيفاش تشوف للمستقبل؟ عندك أفكار ولا مشاريع حاب تحققهم؟

بصفة عامة كانت هذه هي الأسئلة التي طرحناها خلال المقابلة، مع تعديل يختلف باختلاف القدرة على الإجابة، اين نستعمل الصمت لتشجيع المفحوص على الاطراد في الإجابة، أو طرح السؤال بطريقة أخرى، مع تفادي طرح أسئلة أجاب عليها الفحوص تلقائيا في اجاباته السابقة.

ملحق رقم: (6) شبكية تحليل اختبار تفهم الموضوع لـ Chabert 2003

سياقات الرقابة A	سياقات المرونة B	سياقات التجنب C	السياقات الأولية E
A1: الرجوع الى الواقع الخارجي A1-1: وصف مع التطرق بالتفاصيل، مع او بدون تبرير التفسير. A1-2: تحديدات زمانية، مكانية، رقمية. A1-3: مصادر اجتماعية أو أخلاقية. A1-4: مصادر أدبية و ثقافية، ثقافية. **A2:** استثمار الواقع الداخلي: A2-1: لجوء الى الخيال أو الحلم. A2-2 : فكرية. A2-3: افكار A2-4: تشديد على الصراعات الضمنية . ذهاب/إياب بين التعبير الشرجي و الدفاع. **A3:** سياقات من النمط الهيستيري A3-1: شك: تحفظات كلامية، تردد بين تفسيرات مختلفة، احتزار. A3-2: إلغاء. A3-3:تكوين عكسي. A3-4:عزل بين التصورات، أو بين التصور والعاطفة، عاطفة منخفضة.	**B1:** استثمار العلاقة. B1-1: تشديد على العلاقات البينشخصية، استعمال الحوار. B1-2: ادخال أشخاص غير ظاهرين في الصورة. B1-3: تعبيرات عاطفية. **B2:** ورلمية. B2-1: دخول مباشر في التعبير، تحجبات، تخيلات شخصية، تمثيل، قصة فيها قفزات. B2-2: عواطف قوية أو مباغ فيها. B2-3: تصورات و/أو عواطف متضادة، ذهاب/إياب بين رغبات متناقضة. B2-4: تصورات لأحداث مرتبطة أو غير مرتبطة بحالات انفعالية الخوف، الكارثة، الدوار ... **B3:** سياقات من النمط الهيستيري B3_1: تقديم للمواضيع لصالح كبت التصورات. B3-2: شبكية العلاقات، رمزية شفافة، تفاصيل نرجسية ذات قيمة اعرائية. B3-3: مرونة في التقمصات.	**CF:** افراط في استثمار الواقع الخارجي. CF1: تشديد على ما هو يومي، واقعي، فعلي، مصدر مركز على الواقع الخارجي. CF2: عواطف ظرفية، الرجوع الى معايير خارجية. **CI:** الكف. CI1: ميل عام للتقصير (زمن الكمون طويل و/أو صمت ميم داخل النص، ضرورة طرح الأسئلة، ميل إلى الرفض، رفض) CI2: دوافع الصراعات غير محددة، ابتذال، عدم التعريف بالأشخاص. CI3: عناصر مقلقة منبوعة أو مسبوقة بتوقف في الخطاب. **CN:** استثمار نرجسي. CN1: تشديد على الانطباع الذاتي، مصادر شخصية. CN2: تفاصيل نرجسية – مثالية لتصورات الذات و/أو تصور الموضوع (قيمة زائدة أو ناقصة) CN3: وضع في لوحة فنية – عاطفة معنونة – هيئة دالة على العواطف. CN4: تركيز على الحدود و الحواف و الخصائص الحسية. CN5: علاقات مرآتية. **CL:** عدم استقرار الحدود. CL1: مسامية الحدود (بين الرؤى/ شخصية القصة، بين الداخل/الخارج...) CL2: الاستناد على المدرك و/أو الحسي. CL3: تباين أنماط التوظيف (داخلي/خارجي، ادراكي/رمزي، ملموس/مجرد...) CL4: إنشطار. **CM: سياقات ضد اكتئابية.** CM1: التشديد على وظيفة السند للموضوع (قيمة زائدة أو ناقصة) طلب من الأخصائي. CM2: فرط في عدم استقرار التقمصات. CM3: لف و دوران، استخفاف، الغمز بالعين، سخرية، دعابة.	**E1:** تشويه الادراك. E1-1: اخفاء موضوع ظاهري. E1-2: ادراك أجزاء نادرة أو غريبة مع أو بدون تفسير تعسفي. E1-3: ادراكات حسية – ادراكات خاطئة. E1-4: ادراك لمواضيع ثانوية أو أشخاص مرضى، مشوهين. **E2:** كثافة الاسقاط. E2-1: عدم ملائمة الموضوع مع السنيه – تكرار – تكريف بعيد عن الصورة – رمزية مبهمة. E2-2: استدعاء الموضوع السيء، موضوع اضطهاد، بحث تعسفي للتصدية الصورة، و/أو الملامح الوجيهة أو الهيئات – مثلثة من النوع العظامي. E2-3: تعبيرات عن عواطف و/أو تصورات كئيبة – تعبيرات خاصة مرتبطة بموضوع جنسي أو عدواني. **E3: اختلال التنظيم لمعالم الهويات و المواضيع:** E3-1: خلط الهويات – تداخل الأدوار. E3-2: عدم استقرار المواضيع. E3-3: اختلال زماني، مكاني أو السببية المنطقية. **E4: تحريف الخطاب:** E4-1: اضطرابات في التركيب اللغوي – انحدارات كلامية. E4-2: عدم تحديد، غموض في الخطاب. E4-3: تداعيات قصيرة. E4-4: تداعيات عن طريق التقارب، عن طريق التقاعد، حديث متهافت.

الملحق رقم: (7) المحتوى الظاهر والكامن للوحات رائز تفهم الموضوع المستعملة في البحث:

اللوحة 1:

المحتوى الظاهر: طفل يضع رأسه بين يديه، ويشاهد آلة الكمان موضوع أمامه.

المحتوى الكامن: ترجع اللوحة إلى تقمص شخصية شاب في حالة عدم نضج وظيفي في مواجهة شيء يعتبر كموضوع خاص بالراشد، ترمي إلى عدم القدرة الحالية المرتبطة بقلق الخصاء الذي ينظم الصورة، مع مآلات مختلفة تبعا لنوعية الحركات التقمصية.

اللوحة 2:

المحتوى الظاهر: مشهد يتكون من ثلاث اشخاص، في الصف الأول شابة تحمل كتب، في الصف الثاني رجل مع حصان، امرأة متكئة على شجرة، الفرق بين الأجيال والجنس واضح في الصورة.

المحتوى الكامن: ترجع اللوحة إلى الثلاثية الأوديبية، أب، أم وبنت، قادرة على احياء الصراع الأوديبي من جديد.

اللوحة 3BM:

المحتوى الظاهر: شخص ذو جنس وسن غير محدد، مسترخي على الأرض يضع راسه على مقعد.

المحتوى الكامن: ترجع إشكالية اللوحة إلى الوضعية الاكتئابية وإشكالية ضياع الموضوع، تترجمها وضعية وهيئة الشخص.

اللوحة 4:

المحتوى الظاهر: امرأة قرب رجل يدور عنها بظهره، الفرق بين الجنس واضح، ولا يوجد فرق في الأجيال.

المحتوى الكامن: ترجع اللوحة إلى صراع نزوي في علاقة بين زوجين، ضمن قطبي العدوانية والليبيدية، أو بين الحب والكراهية.

اللوحة 5:

المحتوى الظاهر: امرأة في سن متوسط، يدها على مقبض الباب، تنظر داخل غرفة.

المحتوى الكامن: ترجع اللوحة إلى الصورة الأنثوية الأمومية.

اللوحة 6BM:

المحتوى الظاهر: في الصف الأول رجل، وفي الخلف امرأة كبيرة السن تنظر في اتجاه آخر، الاختلاف في الأجيال والجنس واضح.

المحتوى الكامن: ترجع اللوحة إلى التقارب أم ـ ابن في محتوى مضطرب، الفرق في الأجيال يرمي إلى الممنوع في التقارب الأوديبي، ويزيد حدة مادام الشخصين غير متقابلين.

اللوحة 8BM:

المحتوى الظاهر: في المستوى الأول رجل وحيد، يدير ظهره، وفي المستوى الثاني من الصورة رجل مستلقي ورجلين منحنيين عليه، أحدهما يمسك أداة تجرح، ليس هناك فرق في الجنس والأجيال.

المحتوى الكامن: ترجع هذه اللوحة إلى تمثيلات تتعلق بالعدوانية اتجاه الصورة الوالدية، وهل تسمح بالانفصال على صورة الأب.

اللوحة 10:

المحتوى الظاهر: تقارب زوجين، لا يوجد فرق في الأجيال.

المحتوى الكامن: ترجع اللوحة إلى التعبير الليبيدي لدى الزوجين.

اللوحة 11:

المحتوى الظاهر: منظر خاوي مع تناقض فيما يخص الضوء والظل.

المحتوى الكامن: ترجع اللوحة إلى حركات نكوصية جد مهمة، تحيي إشكاليات قبل تناسلية، وصورة الأم البدائية.

اللوحة 12BG:

المحتوى الظاهر: منظر مشجر على حاشية واد مياه، تظهر شجرة وقارب، وفي الخلف مشهد غير واضح.

المحتوى الكامن: تتميز هذه اللوحة بنوع من الهدوء، ترجع إلى تصورات العلاقات العاطفية أو الشبقية، نادرا ما تشهد نكوص عميق.

اللوحة 13B:

المحتوى الظاهر: طفل صغير يجلس أمام باب بيت، خشباته مفككة.

المحتوى الكامن: ترجع اللوحة إلى القدرة على تحمل البقاء وحيدا، تحيي مشاعر الوحدة.

اللوحة 13MF:

المحتوى الظاهر: في المشهد الخلفي امرأة مستلقية صدرها عاري، وفي الامام رجل واقف يضع ذراعه على وجهه، هناك فرق في الجنس ولا يوجد فرق في الأجيال.

المحتوى الكامن: ترجع اللوحة إلى التعبير الجنسي والعدواني بين الزوجين.

اللوحة 19:

المحتوى الظاهر: صورة سريالية لمنزل تحت الثلج او باخرة في عاصفة هائجة.

المحتوى الكامن: ترجع اللوحة على التنظيم بين الداخل والخارج، الجيد والسيء، وتحيي إشكاليات بدائية للاكتئاب.

اللوحة 16:

المحتوى الظاهر: بطاقة بيضاء.

المحتوى الكامن: ترجع اللوحة إلى طريقة بناء الفرد لمواضيعه الداخلية والخارجية، وتنظيم العلاقات معها.

الملحق رقم: (8) لوحات رائز تفهم الموضوع المستخدمة في البحث

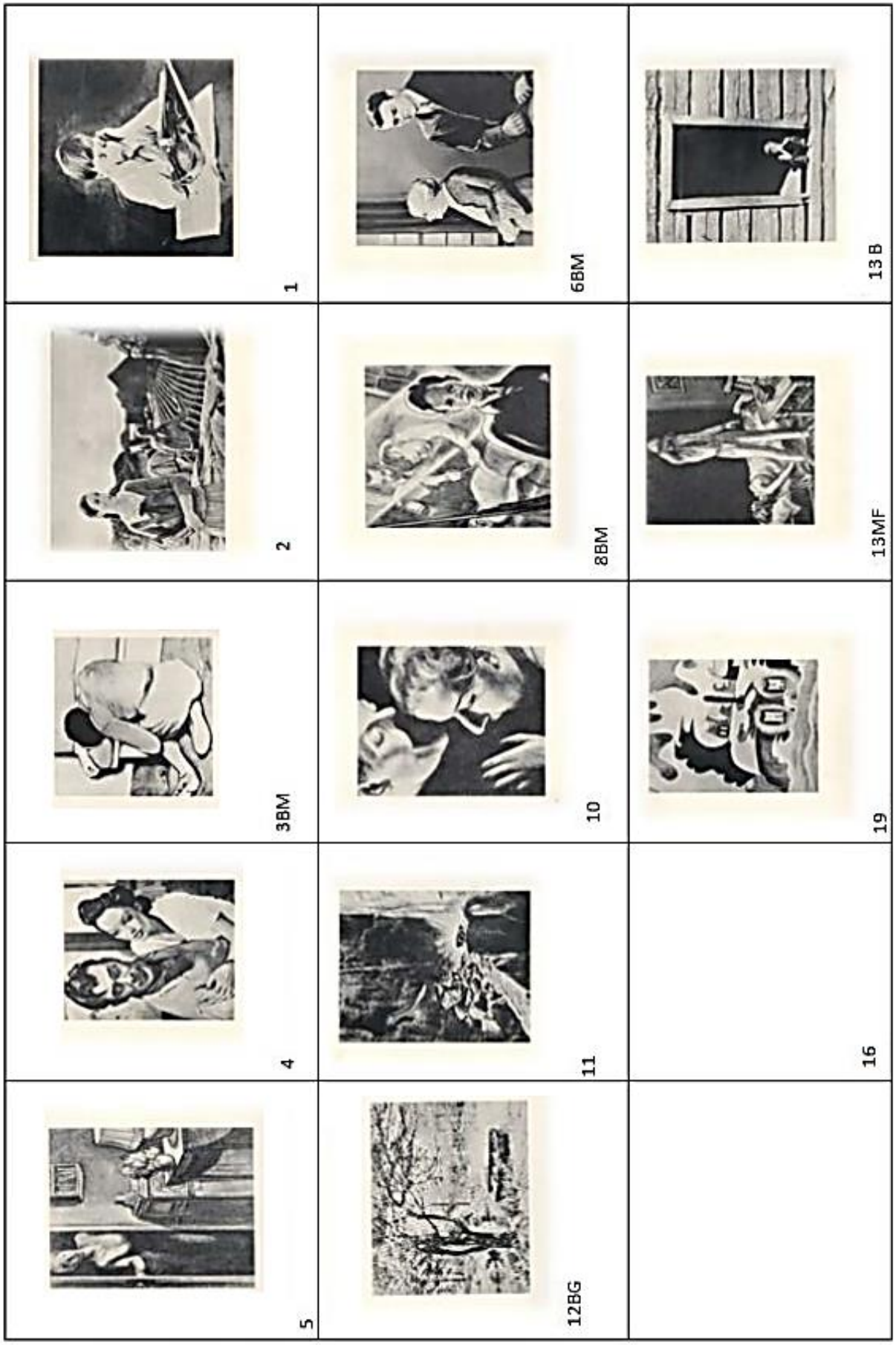

ملحق رقم: (9) الأدوية النفسية (les psychotropes) المستعملة من طرف مجموعة البحث.

اسم الدواء	الاستعمالات الطبية للدواء
KETYL ® (Benzodiazépine)	ينتمي إلى صنف مضادات القلق Anxiolytiques يمتلك تأثيراً مهدئاً ومنوماً.
LYSANXIA ® Prazépam	ينتمي إلى صنف مضادات القلق يستعمل لعلاج عرضي لمظاهر القلق الشديد.
LEXOMIL ® (Bromazépam)	ينتمي إلى صنف مضادات القلق يستعمل لعلاج القلق والوقاية وعلاج أعراض الانسحاب (الفطام) الكحولي.
RIVOTRIL ® Clonazépam	ينتمي إلى صنف مضادات القلق ومضاد للصرع Antiépileptique يستعمل في علاج نوبات الصرع (l'épilepsie)
LYRICA ®	ينتمي لصنف مضادات الصرع Antiépileptiques يستعمل في علاج الآلام العصبية Douleurs neuropathiques، علاج آلام الجهاز العصبي المركزي، وعلاج نوبات الصرع الجزئية واضطرابات القلق العام.
TRAMADOL ®	من مجموعة مضادات الألم Antalgiques يستعمل طبيا لخصائصه المضادة للألم، فيوصف لعلاج الآلام الشديدة.
L'ARTANE® trihexyphénidyle	علاج مرض باركينسون (Parkinson) وعلاج التشنجات العضلية المرضية واللإرادية
PARKIDYL® trihexyphénidyle	يستخدم لعلاج مرض باركنسون أو لعلاج الاعراض الجانبية التي قد تسببها بعض الأدوية مثل حركات الجسم اللاإرادية.
SUBUTEX ® Buprénorphine	ينتمي على فئة الأفيون، مادته الفعالة تشبه المورفين، يستعمل طبيا في علاج الأشخاص المدمنين على الهيروين والمخدرات، أو عند ظهور اعراض الانسحاب من تعاطي مواد مخدرة.

ملاحظة: رغم أن لكل دواء استعمالاته الطبية، غير أن تعاطيه من طرف مجموعة البحث كان لأسباب متعددة: من أجل الإحساس بالراحة وتقدير جيد للذات، البحث عن إحساس اللذة، الاثارة والنشوة، البحث عن أثرها المهدئ وكوسيلة مواجهة الضغوط والصراعات، وتحرض كل هذه الأدوية اعتماد نفسي وجسدي.